الدولة العباسية

دراسة فى سياستها الداخلية

من أوائل القرن الثانى الهجرى حتى ظهور السلاجقة

دكتور

بدر عبد الرحمن محمد

أستاذ التاريخ الإسلامى

بكلية آداب بنها

الناشر

مكتبة الانجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وبعد :

فهذا الكتاب يتناول الدولة العباسية : « دراسة فى سياستها الداخلية من أوائل القرن الثانى الهجرى حتى ظهور السلاجقة » ؛ يتجلى فيه جذور الدعوة العباسية وجهود العباسيين لنقل الخلافة إليهم ، معتمدين فى ذلك على العناصر الفارسية فى الكوفة وخراسان .

وعلى الرغم مما قام به الموالى الفرس من جهد كبير فى مساندة الدولة العباسية ، فلم يلبث الخلفاء العباسيين أن نكلوا بقيادتهم التى تمثلت فى أبى سلمة الخلال وأبى مسلم الخراسانى ، وكان ذلك فى عهد أبو العباس السفاح وأبى جعفر المنصور .

وظهرت مشكلة ولاية العهد أيام أبو جعفر المنصور ، إذ عز على أبى جعفر أن يؤول ذلك الملك الواسع إلى ابن أخيه عيسى بن موسى ، فمهد لخلع عيسى بن موسى وتعيين إبنه المهدى وليًا لعهده ، وسار المنصور فى ذلك إلى ترغيب عيسى ابن موسى فى أن يخلع نفسه من ولاية العهد طواعية ، فلما لم يستجب اتجه إلى دور الترهيب حتى أذعن عيسى بن موسى فى النهاية وتنازل عن ولاية العهد للمهدى .

وظهر الدور الفارسى فى الدولة العباسية أيام هارون الرشيد حيث ظهرت أسرة البرامكة ، التى استبدت بالأمور دون الخليفة ، وسيطروا على مرافق الدولة ومواردها المالية بحيث كان هارون الرشيد يطلب أقل القليل من المال ، فلا يصل إليه ، بينما تلقى الأموال من موكب يحيى بن خالد البرمكى مما حدا بالخليفة إلى أن ينكبهم ويقضى على أسرتهم .

ولم يلبث أن نشب الصراع بين الأمين وأخيه المأمون فى محاولة من جانب الأمين للتنازل عن ولاية العهد من قبل المأمون لابن الأمين ، ولم يلبث أن تطور

الصراع بين الأخوين على ولاية العهد إلى صراع بين العنصر العربى والعنصر الفارسى إذ وقف الفضل بن الربيع إلى جوار الأمين بينما وقف الفضل بن سهل إلى جوار المأمون وانتهت الفتنة بقتل الأمين وتولية المأمون .

لم تلبث الثورات أن قامت فى عهد المأمون وأهمها ثورة الزط التى استمرت إلى أيام الخليفة المعتصم ، الذى وجه عجيف بن عنبسة لحربهم سنة ٢١٩هـ/٨٢٤ - ٨٢٥م فحاربهم تسعة أشهر حتى أرغمهم على طلب الأمان فأسرهم وحملهم فى المراكب ودخل بهم بغداد إلى خانقين ثم نقلوا إلى الثغر إلى عين زربة ، وظلوا هناك إلى أن أسرهم الروم سنة ٢٤١هـ/٨٥٥ - ٨٥٦م .

وفى عهد الخليفة المعتصم اسقط العرب من ديوان العطاء وهو ما يعنى اعتماد الخلفاء العباسيين فى قوة الدولة العسكرية على العنصر غير العربى ، الأمر الذى أدى إلى ظهور عنصر الأتراك ، الذين تفاقم خطرهم أيام المعتصم مما حدا به إلى اختيار حاضرة جديدة بدلا من بغداد فأسس مدينة سامرا وجعلها حاضرة خلافته الجديدة .

وازداد خطر الأتراك فى عهد الواثق (٢٢٧ - ٢٣٢هـ/٨٤٢ - ٨٤٧م) ابن المعتصم الذى اقتدى بأبيه فى الاعتماد على الأتراك ، الذين كثر عددهم وشغلوا المناصب العالية فى الدولة ، فولى أشناس التركى السلطة وألبسه تاجا مرصعا بالجواهر .

وكان من أثر وقوف طاهر بن الحسين إلى جوار الخليفة المأمون أن ولاه خراسان فكان ذلك بداية ظهور الدولة الطاهرية ، وأشرنا إلى سياسة طاهر بن الحسين فى الحكم ، ثم عرضنا لخلفاء طاهر بن الحسين ومنهم ابنه عبد الله ابن طاهر الذى ولاه المأمون مصر بعد أن انتصر على نصر بن شبث العقيلى ، ثم سار بعد ذلك إلى خراسان حيث استمر يليها بعد وفاة المأمون .

بعد ذلك عرضنا لعلاقة عبد الله بن طاهر والمازيار بن قارن ، ثم تناولنا ولاية طاهر بن عبد الله بن طاهر بعد وفاة أبيه ، ثم أفول نجم الطاهريين .

وفى حديثنا عن الدولة الصفارية (٢٥٤ - ٢٩٠هـ/٨٦٧ - ٩٠٣هـ) أشرنا إلى يعقوب بن الليث الصفار وموقفه من الخلافة العباسية إلى أن توفى وخلفه أخوه عمرو بن الليث الصفار الذى سار على سياسة مغايرة لسياسة أخيه يعقوب إذ هادن الخلافة العباسية ، غيران الخلافة لم تنس لهذه الدولة وما حدث لها من حرج على يد يعقوب بن الليث الصفار الذى انتهز ثورة الزنج فى جنوب العراق وحاول إرغام الخلافة على الإذعان لسلطانه على سجستان ولم تنس ذلك حتى لأخيه عمرو الذى هادنها وتمكنت من القضاء عليه بواسطة إسماعيل بن أحمد السامانى .

أما عن حركة الزنج وموقف الخلافة العباسية منها ، فقد تناولنا جذور هذه الحركة مشيرين إلى حالة الخلافة العباسية من أيام الخليفة المتوكل إلى أيام المعتمد ابن المتوكل الذى تولى بعد مقتل الخليفة المهتدى فى جرب سنة ٢٥٦هـ / يونيو ٨٧٠م وأشرنا إلى نسب صاحب الزنج وبداية ظهوره فى البصرة ، وطبيعة حركة الزنج وبرنامجها فى طورها الأول (٢٥٥ - ٢٦١هـ/٨٦٨ - ٨٧٤م) ، ثم بداية حركتهم فى عهد الخليفة المهتدى بالله (٢٥٥ - ٢٥٦هـ/٨٦٨ - ٨٦٩م) وبناء صاحب الزنج مدينة المختارة . واستنجاد أهل البصرة بالخلافة ، واحتلال الزنج الأبله وعبادان والأهواز .

حاول الزنج أن يوسعوا من تأثير حركتهم بالاتصال بالصفارين فى سجستان ورغم أن الصفارين كانوا خارجين على سلطان الخلافة إلا أنهم لم يستجيبوا لهم لأنهم سنة وصاحب الزنج شيعى المذهب .

وظهر تأثير حركة الزنج على العلاقة بين الخلافة العباسية وأحمد بن طولون وإلى مصر والشام ، إذ طلب الموفق أخى الخليفة المعتمد وولى عهده الأموال من ابن طولون لحرب الزنج ، فلم يستجيب إلا بما تسمح به أطماعه فى إقامة ملك وراثى لأسرته فى مصر والشام فقامت الحرب بين الطرفين .

لم تلبث حركة الزنج أن ضعفت بعد بناء الموفق لمدينة الموفقية وتمكنه من أحكام الحصار حول صاحب الزنج وأتباعه ، الذين لم يلبثوا أن تساقطوا واحدًا بعد الآخر بعد الاغراءات التى منحتها الخلافة لمن استسلم لها من قادة الزنج مما أدى إلى انصراف قادة صاحب الزنج عنه ومقتله سنة ٢٧٠هـ/٨٨٣م .

وختمنا البحث بالحديث عن ضعف سلطة الوزراء أواخر القرن الثالث الهجرى نتيجة ازدياد نفوذ الأتراك وضعف الخلافة مما أدى إلى انتشار الفوضى والرشوة والمحسوبية وبيع المناصب الحكومية .

وفى أوائل القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ظهر بنو بويه (٣٣٤ – ٤٤٧هـ) نتيجة استفحال نفوذ الأتراك وضعف الخلافة العباسية كما ظهر الحمدانيون فى منطقة الجزيرة منذ سنة ٢٨١هـ/٨٩٤م واستمرت دولتهم فى الموصل حتى سنة ٤٩٨هـ . وفى خراسان وما وراء النهر ظهرت الدولة السامانية ، التى كان من أثر ظهورها مد النفوذ العباسى إلى أواسط آسيا ؛ غير أن تنافس أمراء السامانيين وتدخل الوزراء وقادة الجيش فى شئون الحكم أدى إلى انقراض الدولة السامانية التى استمرت قرابة مائة وخمسة وأربعين عامًا (٢٦١ – ٣٩٥هـ/٨٧٤ – ١٠٠٥م).

وقامت على أنقاض دولة السامانين الدولة الغزنوية فى بلاد المشرق الإسلامى والتى مدت نفوذها إلى الولايات الشرقية منذ أيام سبكتكين إلى أن سقطت تحت ضربات السلاجقة فى موقعة داندانقان سنة ٤٣١هـ/١٠٤٠م . وانتهى بذلك عصرها الذهبى فى المشرق الإسلامى حيث انسحب سلاطين الغزنويين إلى بلاد الهند واستمروا هناك إلى أن زالت دولتهم على يد شهاب الدين الغورى سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م .

والله نسأل أن يوفقنا إلى إلقاء مزيد من الضو على التاريخ والحضارة الإسلامية.

والله من وراء القصد ،،،

أ. د. بدر عبد الرحمن محمد

سياسة الخلفاء العباسيين الداخلية

من قيام دولتهم إلى نهاية القرن الثالث الهجرى

جذور الدعوة العباسية وجهود العباسيين لنقل الخلافة إليهم :

لم يدع أحد من العباسيين لنفسه بالخلافة طيلة القرن الأول الهجرى بل اقتصر الأمر على شيعة على بن أبى طالب[1] ، الذين رأوا أنهم أصحاب الحق الشرعى فى الخلافة . وناهضوا الأمويين الذين اعتمدوا على القوة فى سبيل توطيد نفوذهم وجعل الخلافة وراثية فى أسرتهم[2] .

---

(١) يذهب بعض المؤرخين إلى أن العباسيين الأوائل لم يكن لهم طموح سياسى فى صدر الإسلام ويدللون على ذلك بأن العباس بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ وجد العباسيين كان يرشح على بن أبى طالب للخلافة ويقدمه على نفسه ويزيدون فى ذلك أن عبد الله ابن العباس كان هو الآخر يؤيد على بن أبى طالب حتى إذا ما اغتيل أيضًا انصاع ابن عباس للأمويين وبايعهم بالخلافة واعتزل السياسة وتفرغ للعلم .

حسين عطوان : الدعوة العباسية تاريخ وتطور ص٤٨١ - ص٤٨٢ بيروت ١٩٨٤م ، محمد بركات البيلى : دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ص٥ ١٩٨٥ - ١٩٨٦م .

(٢) محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية فى الدولة العربية ص١٧١ دار الفكر العربى الطبعة الرابعة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .

أصبحت الأحوال السياسية فى بداية القرن الثانى الهجرى تنبئ بحدوث انقلاب فى الدولة العربية فكثر أنصار الخوارج[1] والشيعة[2] ، وقوى حزباهما ، بينما أخذ حزب بنى أمية فى الضعف وانقسم البيت المالك على نفسه انقسامًا عنيفًا ، فقد وقعت الحرب بين الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥هـ / ٧٤٣م) يناصره العنصر المضرى وبين يزيد بن الوليد بن عبد الملك يناصره العنصر اليمنى وانتهى الأمر بقتل الوليد بن يزيد فى جمادى الآخرة سنة ١٢٦هـ / مارس - إبريل ٧٤٤م مما أدى إلى عودة العرب إلى عصبية الجاهلية الأولى وظهور الشحناء والبغضاء بينهم ، ومن ثم لم يبق للأمويين سند قوى يساعدهم على تثبيت

---

(١) الخوارج : هم الذين خرجوا على على بن أبى طالب ورفضوا قبوله التحكيم فى موقعة صفين ، وغلبت عليهم تسمية الخوارج لأنهم خرجوا من الكوفة صوب الأقاليم الشرقية وكان الخوارج أول الأمر حزبًا سياسيًا لا يعدو بحثه مسألة الخلافة وما يتصل بها وكانوا يقولون بصحة خلافة أبى بكر وعمر وعثمان فى سنيه الأولى وعلى إلى أن حكم الحكمين ، وقد خرجوا على تقاليد الخلافة فجعلوها حقًا لكل عربى حر ،فلما انضم بعض المسلمين من غير العرب جعلوا حق الإمامة لكل مسلم يتصف بالصفات الحسنة وخالفوا بذلك نظرية الشيعة التى تحصر الخلافة فى بيت النبى ﷺ ، كما خالفوا أهل السنة القائلين بأن الخلافة فى قريش .

حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى جـ١ ص٣٩٧ الطبعة التاسعة سنة ١٩٧٩م .

(٢) بدأت هذه الفرقة فى الظهور منذ مقتل عثمان بن عفان وعرفوا بذلك لمشايعتهم على بن أبى طالب وقدموه على سائر الصحابة لاعتقادهم بأحقيته فى الخلافة وأن أبا بكر وعمر وعثمان أخذوا حق الإمامة المقدس من على ولم تعترف الشيعة بحق بنى أمية فى الخلافة حتى بعد أن تنازل الحسن بن على بن أبى طالب عن الخلافة .

أحمد أمين فجر الإسلام ص٢٦٨ الطبعة الثالثة ١٩٣٥م .

سلطانهم ، هذا فضلاً عن تعذر اعتمادهم على غير العرب من المسلمين الذين كانوا إذ ذاك ساخطين على الحكم الأموى[١] .

ولا شك أن فساد الأحوال فى الدولة الأموية شجع العباسيين على التطلع إلى نيل الحكم مع أنه ليس لهم حق شرعى فيه كالعلويين أو قوة كالأمويين . إذ وجدوا فى الوقت الذى وهن فيه الأمويين وأنهك فيه العلويين أنفسهم بالثورات، أن الجو أصبح ملائمًا لنشر دعوتهم ورأوا أنه لا بد من التذرع ببعض الأسانيد الشرعية قبل أن يقدموا على العمل لنقل الخلافة إليهم ، فأذاعوا بين الناس أنهم من سلالة العباس بن عبد المطلب عم النبى ﷺ كما أذاعوا أن الخلافة تصير إلى العم إذا يكن هناك وارث ذكر . وهكذا نظروا إلى الخلافة كأنها تركة تركها النبى ﷺ وتطبق عليها أحكام الميراث[٢] .

على أنه مما يجدر ذكره أن العباس بن عبد المطلب لم يكن له نفوذ كبير فى الإسلام بدليل أنه بعد وفاة الرسول لا نسمع له ذكرًا هامًا ، وتشير بعض الروايات فقط إلى اهتمامه بتولية ابن أخيه على بن أبى طالب إذ قال له « أمدد يدك لنبايعك » وهذا يدل على أنه لم يكن له أى طموح فى الخلافة[٣] .

وتوفى العباس فى سنة ٣٢هـ / ٦٥٢ - ٦٥٣م فى خلافة عثمان بن عفان وكان سنه ثمان وثمانين سنة وقد أعقب أولادًا كثيرين نذكر منهم ابنه الثانى عبد الله بن العباس وكان شخصية علمية فريدة معروفة لدى الأدباء والعلماء

---

(١) انظر ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حـ٤ ص٢٦٤ بيروت .

(٢) جمال سرور : الحياة السياسية فى الدولة العربية ص١٧٢

(٣) أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والفاطمى ص١٨ دار النهضة العربية بيروت - لبنان .

واللغويين إذ كان يؤخذ عنه الحديث وتفسير القرآن ، و لم يكن عبد الله يطمع في الخلافة لإيمانه القوى بحق على بن أبى طالب فيها ولهذا انضم إليه وأيده وولاه على ابن أبى طالب البصرة وأعمالها . وبعد مقتل على ترك البصرة ورحل إلى الحجاز حيث أقام بالطائف مسالمًا للأمويين إلى أن توفى فى خلافة عبد الملك بن مروان سنة ٦٨هـ / ٦٨٧ - ٦٨٨م ولقد انجب عبد الله بن العباس ولدًا أسماه عليا لأنه ولد فى نفس الليلة التى قتل فيها الإمام على سنة ٤٠هـ / ٦٦١م .

وكان على بن عبد الله بن العباس شخصية غامضة غير واضحة كوضوح شخصية أبيه ، نعلم أن الأمويين استدعوه إلى الشام أيام الخليفة عبد الملك ابن مروان واقطعوه قرية فى البلقاء بشرق الأردن إسمها الحميمة إلى الجنوب من البحر الميت على مقربة من العقبة[1] .

وعاش العباسيون فى الحميمة منذ سنة ٩٥هـ وكان زعيمهم على ابن عبد الله بن العباس يتطلع للزعامة السياسية بعد أن خلا المجال السياسى من العناصر العلوية القوية[2] . فاصبح على هذا رئيسًا للعباسيين من سنة ١٠٠هـ إلى سنة ١١٧هـ / ٧١٨ - ٧٣٥م وهو منظم الدعوة والدعاة فى العراق وخراسان[3] .

---

(١) ولعل اهتمام الأمويين بهذا المكان بالذات راجع إلى غرض سياسى أساسه الشك والتوجس فى نوايا هؤلاء القوم فجعلوهم تحت اشرافهم ورقابتهم بالشام أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباس والفاطمى ص١٩

(٢) توفى زين العابدين على بن الحسن سنة ٩٤هـ ومات أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية سنة ٩٨هـ . على حبيبة : العباسون فى التاريخ ص٣٠ مكتبة الشباب ١٩٨٠م

(٣) نفس المرجع ص٣٠

كذلك استطاع العباسيون أن يكسبوا ولاء الكيسانية[١] (أنصار أبى هاشم) لهم فيقال إن أبا هاشم بن محمد بن على بن أبى طالب، وكان فصيح اللسان حاضر الذهن ، بحيث خافه سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩هـ / ٧١٥ - ٧١٧م) فدس له من سمه[٢] . وهو فى طريقة إلى إقليم الشراة بين الشام والحجاز - فلما أحسن بدنو أجله عرج على الحميمة حيث كان يقيم محمد بن على بن عبد الله ابن العباس وافضى إليه بأسرار الدعوة الهاشمية وأمده بكتب يسلمها إلى داعى دعاته فى الكوفة ومن يليه من الدعاة ونزل له عن حقه فى الإمامة وأوصى[٣]

= ، حسن أحمد محمود ، أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ص١٥ دار الفكر العربى بدون تاريخ .

(١) الكيسانية : من فرق الشيعة وهى إحدى عشر فرقة . وهم القائلون بإمامة محمد بن الحنفية، وقد تنازعت الكيسانية بعد قولهم بإمامة محمد بن الحنفية فمنهم من قطع بموته ، ومنهم من زعم أنه لم يمت وأنه حى فى جبل رضوى ، وأنما سموا كيسانية لأن المختار بن أبى عبيد الثقفى الذى خرج وطالب بدم الحسين ابن على ودعا إلى محمد بن الحنفية كان يقال له « كيسان » . انظر : الأشعرى : مقالات الإسلاميين جـ١ ص٨٧ ، البغدادى : الفرق بين الفرق ص٢٧ - ص٢٨

سامية توفيق عبد الله : الحياة السياسية فى خراسان فى القرنين الأول والثانى الهجرى رسالة دكتوراه آداب القاهرة .

(٢) بلبن مسموم : اليعقوبى : تاريخه جـ٣ ص٤٠

، ابن الأثير : الكامل جـ٤ ص١٥٩ بيروت .

(٣) ابن الأثير : جـ٤ ص١٥٩ ويذكر اليعقوبى جـ٣ ص٤٢ (طبعة النجف) أن أبا هاشم أوصى لمحمد بن على فقال له : « ... وأعلم أن صاحب هذا الأمر من ولدك عبد الله بن الحارثية ثم عبد الله أخوه الذى أكبر منه » .

بأن تكون لابنه إبراهيم بن محمد الملقب بالإمام من بعده([1]) وبهذا تحول حق الإمامة من بيت على إلى بيت العباس بمقتضى وصية أبى هاشم .

ولكن ما الذى حدا بأبى هاشم أن يحول الخلافة إلى بنى عمه ويترك بنى أبيه من العلويين على كثرتهم وعلو شرفهم ؟

وللإجابة على ذلك نقول أنه ربما كان ذلك راجعًا إلى الاختلاف بين مبادئ الكيسانية شيعة أبى هاشم([2]) والإمامية شيعة أولاد فاطمة . على أن هناك مسألة جديرة بالملاحظة وهى أن نزول أبى هاشم بن محمد بن الحنفية لا يمكن أن يعتبر نزولاً من العلويين جميعًا لأن فريقًا كبيرًا منهم ظل متمسكًا بعقائد الشيعة الإمامية بدليل قيامهم فى وجه العباسيين بعد قيام دولتهم([3]) .

ابتدأت الدعوة العباسية على يد محمد بن عبد الله بن العباس وكان أرشد القوم رأيًا وأرجحهم عقلاً ، ورأى أن نقل السلطان من البيت الأموى إلى البيت العباس لا بد أن يسبقه اعداد أفكار الأمة لهذا الانتقال الذى يجب أن يتم بتؤده وأناةوحزم فى ذات الوقت ، فعهد إلى شيعته أن يؤلفوا منهم دعاة يدعون الناس إلى ولاية أهل البيت وكان يقول : « لنا ثلاث أوقات موت يزيد بن معاوية ورأس المائة ، وفتق بأفريقية فعند ذلك يدعو لنا دعاة ثم يقبل أنصارنا من المشرق حتى

---

(١) المسعودى : التنبيه والإشراف جـ٨ ص٢٣٨ طبعة دى غويه ابن الأثير جـ٤ ص١٥٩

(٢) سمى بابن الحنفية لأن أمه خولة بنت قيس بن جعفر الحنفى ، كانت من عرب بنى حنيفة وهم فرع من بكر بن وائل العدنانية وكانت منازل بنى حنيفة فى اليمامة .
أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباس والفاطمى ص١٩ هامش (١) .

(٣) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص٢١

ترد خيولهم المغرب » ، فلما قتل يزيد بن أبى مسلم بافريقيا وتعصب البربر ، بعث محمد الإمام رجلاً إلى خراسان وأمره أن يدعو إلى الرضا من آل محمد ولا يسمى أحدًا(١) ورأوا أن أحسن منطقة يبثون فيها الدعوة الكوفة وخراسان . أما الكوفة فهى مهد التشيع لآل البيت من قديم(٢) فيمكنهم أن يأووا إليها ويجعلوها نقطة مواصلاتهم ، وأما خراسان فسهولة الدعوة فيها مبنية على أمرين : الأول أن فكرة التشيع يفهمها الخراسانى من المسلمين بسهولة ، لأن مؤداها نقل الخلافة إلى بيت النبى ﷺ . وذلك قريب مما كان عندهم من الملك الذى يتوارثه أهل بيته ولا يجوز نقله إلى غير بيت الملك إلا إن كان ذلك عن اختلاس . الأمر الثانى : أن البلاد الفارسية كانت ذات تاريخ وملك قد يمين ، ولذلك فائدة كبيرة ، فقد تاقت نفوس الموالى من الفرس إلى التخلص من حكم الأمويين لما ارتكبوه من وسائل العنف فى قمع ثورات العلويين ومالوا إلى نصرة بنى هاشم ، فقد اعتقد هؤلاء الموالى أن اعتناقهم الإسلام لم يسو بينهم وبين العرب . ولا غرو فإن المسلمين من غير العرب قد ألحقوا بعد اعتناقهم الإسلام ببعض القبائل العربية ليكونوا موالى القبائل ، ونظر العرب الذين كانوا لا يحترمون سوى مهنة الحرب إلى هؤلاء الموالى

---

(١) البلاذرى : مخطوط أنساب الإشراف حـ٣ ص٢٨
، الذهبى : مخطوط سير أعلام النبلاء حـ٥ ص٤٢
أما يزيد بن أبى مسلم الثقفى فأنه توفى سنة ١٠٢هـ وكان قد تقلد ديوان الرسائل للحجاج . انظر ابن الأبار : اعتاب الكتاب ص٥٧ تحقيق صالح الأشقر . طبع مجمع اللغة العربية دمشق ١٩٦١م .

(٢) يذكر المقدسى ما ورد فى خطبة من إحدى خطب محمد بن على العباسى قوله : « أما الكوفة وسوادها فشيعة على » . أحسن التقاسيم ص٢٩٣ - ٢٩٤

نظرة الاحتقار لامتهانهم طبقات العمال الذين نشأ منهم الموالى ، هـذا فضلاً عن أن العنصر العربى كان بينهم هو صاحب الكلمة العليا والنفوذ السائد ولا يتولى من ليس منهم شيئًا من الولايات العامة ، فكان أهل فارس مستعدون لأن يقوموا بتغيير الدولة الحاضرة ، وأخراج الخلافة إلى الدولة المستقبلة كى يكون لهم فيها حظ أحسن من حظهم فى دولة بنى أمية(1) .

بدأت الدعوة السرية فى أوائل القرن الثانى للهجرة(2) من الحميمة التى إتخذها العباسيون مركزًا لنشر دعوتهم ، وذلك فى عهد عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١هـ / ٧١٧ - ٧٢٠م)(3) واظهر الدعاة العباسيون حماسة شديدة لنشر دعوتهم فى الولايات الإسلامية فكانوا يجوبون بلاد خراسان لبثها وظاهر أمرهم التجارة أو الحج(4) . كما أخذوا يصورون استبداد الأمويين بأسوأ الصور ، ويتهمونهم بأنهم لا يزالون يبطنون الكفر رغم ادعائهم الإسلام(5)

---

(١) بدر عبد الرحمن : الدولة العباسية دراسة فى سياسيتها الداخلية ص١٠ - ص١١

(٢) حسب وصية أبى هاشم لمحمد بن على العباسى بأن يبدأ يبث الدعوة عند تمام المائة سنة للهجرة . المسعودى : التنبيه والإشراف جـ٨ ص٢٣٨ (طبعة دى غويه) .

، حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ص٢١

(٣) الطبرى : الأمم والملوك جـ٦ ص٥٦٢ حوادث سنة ١٠٠هـ . بيروت .

(٤) الطبرى : جـ٦ ص٦١٦ - ٦١٧ بيروت .

، ابن الأثير : الكامل جـ٤ ص١٨٢ بيروت .

(٥) فان فلوتن : السيادة العربية ص٩٤ - ص٩٥ القاهرة ١٩٣٤م

كما وجهوا الطعن إلى ولاة بنى أمية وأسموهم ولاة الجور ، ورفعوا شعار الإصلاح[١] والدعوة إلى الحق والعدل[٢] .

الدعاة والنقباء :

احتل ائمة الدعوة العباسية قمة التنظيم السرى ؛ وكان يساعدهم طائفة من الدعاة ، هم وحدهم الذين يعرفون سر إمام الوقت ويحتفظون بهذا السر لأنفسهم، وكان الدعاة فى الحقيقة جميعهم من طراز واحد : قدرات عسكرية خلاقة وإخلاص للدعوة وفناء فيها ، وقدرة بارعة على الدبلوماسية والدهاء ومداراة الأحوال واجتذاب الأنصار . ومنطق فى المخاطبة فيه أدب وبلاغة وفن ومراعاة مقتضى ذلك[٣] .

لم يعمل الدعاة على الدعوة لشخص معين ، فقد قال الإمام محمد بن على لكاتبه ومتولى أمر الدعوة فى الكوفة بكير بن ماهان : « لتكن دعوتكم وما تلقى

---

(١) عرف العباسييون كيف يغرون الموالى على الإنضمام إليهم ، فاتخذوا من حق بنى هاشم الشرعى فى الخلافة أساسًا سياسيًا ودعوا لإرجاع الحق لأهله بدون الجهر باسم المدعو له ونادرًا بتحسين أوضاع الموالى ومساواتهم بالعرب واشراكهم فى الأمر متخذين من ذلك برنامجهم الاجتماعى ووعدوا بالعدل واتخاذ الكتاب والسنة دستورًا يستهدى به إمامها .
عبد العزيز الدورى : مقدمة فى تاريخ صدر الإسلام ص٨٨
، على الخربوطلى : الدولة العربية الإسلامية ص٢٩٤

(٢) حسن أحمد محمود : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ص٤٧

(٣) نفس المرجع : ص١٥ ويذكر أن أغلب الدعاة تعمقوا فى العلوم الإسلامية وبرعوا فى الحديث أو الفقه أو اللغة وتولوا التعليم وأخذ الناس عنهم .

بـه العـامة أن تدعوهـم إلى الرضـا من آل محمـد[١] . وتذكر جـور بنـى أميـة وأن آل محمد أولى بالأمر منهم[٢] ومن هنا صاروا يذيعون بـين النـاس أنـه لا خــلاص لهـم إلا إذا ولى أمرهـم آل البيت[٣] ومن ثم نجحت جهودهـم ، وقـد استطاعوا أن يجذبوا إلى حقوقهم الكثير من ذوى الرأى نخص منهم سليمان بن كثير الخزاعـى ومالك ابن الهيثـم وطلحه بن رزيـق وعمـر بن أعـين وأخيـه عيسـى ، وقحطبـة بنى شبيب الطائى ، وموسى بن كعب وغيرهم ممن كـان لإنضمـامهم إلى الدعـوة العباسية أثر كبير فى قيام الدولة العباسية[٤] .

لم تكن عين ولاة بنى أميـة فى خراسـان غافلة عـن هـؤلاء الدعـاة[٥] ، فقد وجه ميسرة العبدى اثنين من الدعاة هما أبا عكرمة وحيان العطار من العـراق

---

(١) هددت الدعوة العباسية جهود العلويين وبخاصة فى خراسان والتى كان يتزعمها «غـالب» وهو داع علوى متطرف ، فلما وصلت أخبار غـالب إلى مسـامع إبراهيـم الإمـام بعـث إلى خراسان سنة ١٠٦هـ / ٧٢٤م بزياد أبـى محمـد مـولى بنـى همـدان ، وقـامت بـين الاثنين مناظرة عدائية هذا ينتصر لبيت العباس وذاك لبيت على نتج عنها أن أصبحت الدعـوة بعـد ذلك تنص على « الرضا من آل محمد » وبذلك وحد العباسييون كما يقول نيكلسون فـى هذه اللفظة المبهمة عبارة يمكن تطبيقها على أبناء على وأبناء العباس .
Literary History of the Arabs. p. 258.

(٢) عبد العزيز الرورى : ضوء جديد على الدعوة العباسية ص٧٥ مجلة كلية الآداب ببغداد العدد الثانى ١٩٥٧م .

(٣) فان فلوتن : السيادة العربية ص٩٥

(٤) الطبرى : حـ٦ ص٥٦٢ ، ابن الأثير : حـ٤ ص١٥٩

(٥) يذكر اليعقوبى : تاريخه حـ٣ ص٥٢ أن « محمد بن علـى بـن عبـد الله بـن العبـاس بعـث ميسرة أبا رباح إلى العراق - الكوفة - ومحمد بن خنيس وأبا عكرمة السراج إلى خراسـان =

إلى خراسان فى عام ١٠٢هـ وجاء رجل من بنى تميم إلى سعيد خذينة والى خراسان من قبل يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥هـ / ٧٢٠ - ٧٢٤م) فوشى بهم عنده فاستدعاهم سعيد قائلاً لهم : جئتم دعاة فنفوا ذلك وادعوا أن شغلهم التجارة ، فاخلى سبيلهم بعد أن ضمنهم قوم من ربيعة([1]) .

إلى جانب ذلك تعرض بعض هؤلاء الدعاة لولاة الأمويين عند اكتشاف أمرهم ، ففى ولاية أسد بن عبد الله القسرى ، قبض على بعض الدعاة الذين وجههم بكير بن ماهان إلى خراسان على أثر وشاية رجل من كندة إلى أسد بخبرهم . فقطع أسد أيدى من ظفر منهم وأرجلهم([2]) ، وأخبر من نجا بكير ابن ماهان ، فلما أبلغ بكير ذلك إلى الإمام محمد بن على الذى أرسل إليه قائلاً : « الحمد لله الذى صدق مقالتكم ودعوتكم وقد بقيت منكم قتلى ستقتل»([3]) .

وفى ولاية الجنيد بن عبد الرحمن سار من دعاة بنى العباس جماعة إلى خراسان عام ١١٣هـ فأخذ الجنيد رجلاً منهم فقتله وقال : « من أصبت منهم فدمه هدر » لكن الدعاة على الرغم من ذلك لم يتراجعوا أو يتهاونوا فقد كانوا يؤمنون بصحة دعوتهم ويقتنعون كل الاقتناع بأن الحق فى جانبهم([4]) .

= وعليها يومئذ الجراح بن عبد الله عامل عمر بن عبد العزيز فلقوا من لقوا وانصرفوا وقد غرسوا غرسًا » انظر الطبرى حـ٦ ص٥٦٢ المقدسى : البدء والتاريخ حـ٦ ص٥٩ وقد تولى الجراح خراسان سنة ٩٩هـ وخرج منها أواخر رمضان سنة ١٠٠هـ

(١) الدينورى : الأخبار الطوال ص٣٣٣ مطبعة المثنى ببغداد .
، الطبرى : حـ٦ ص٦١٦ - ص٦١٧ بيروت

(٢) الطبرى : حـ٧ ص٤٠ حوادث سنة ١٠٧هـ .

(٣) ابن الأثير : حـ٤ ص١٩٧ بيروت .

(٤) الطبرى : حـ٧ ص٨٨ بيروت .

استعان بعض الدعاة بالعصبية القبلية للتخلص من إيذاء ولاة بنى أمية فعندما قبض على سليمان بن كثير وفريق من الدعاة العباسيين فى ولاية أسد ابن عبد الله القسرى الثانية قال سليمان بن كثير لأسد : « إنا أناس من قومك (اليمنية) وأن هذه المضرية إنما رفعوا إليك هذا الأنا كنا أشد الناس على قتيبة بن مسلم ... فأطلق أسد بن عبد الله من كان منهم من خزاعة وبكر وعاقب من كان منهم من تميم »[1] .

أبو مسلم الخراسانى :

وفى سنة ١٢٥هـ / ٧٤٢- ٧٤٣م انضم إلى محمد بن على العباس ، عبد الرحمن بن مسلم المكنى بأبى مسلم الخراسانى ، ولقد اختلف فى أصله فقيل إنه حر من ولد بزرجمهر (وزير كسرى آنوشيروان) وأنه ولد بأصفهان ونشأ فى الكوفة وأنه كان يسمى إبراهيم بن عثمان ويكنى أبا إسحاق وقيل أنه عبد من قبيلة بنى عجل ، وأنه كان فى شبابه سراجًا (أى يعمل فى صناعة السروج) أما هو فانه لما قويت شوكته إدعى أنه ابن سليط ابن عبد الله بنى العباس[2] .

---

(١) ابن الأثير : جـ٤ ص٢٢١ - ص٢٢٢

(٢) انظر اليعقوبى : تاريخه جـ٣ ص٣٢٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٠ ص٦٧ مكتبة المعارف بيروت ١٩٧٨م .

، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص٣٢٤ - ص٣٣٠

، ابن خلدون : العبر جـ٣ ص١١٨ ، ابن طباطبا : الفخرى : ص١٣٩ - ص١٤٠

، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى جـ٢ ص١٥ - ١٦

وقد تلقى أبو مسلم أصول الدعوة عن بكير بن ماهـان([1]) داعـى العباسـيين بالكوفة ، وفى مكة وكل محمد بن على بن عبد الله زعيـم العباسـيين أمـر الدعـوة إلى أبى مسلم ، لما أدركه عنده من الذكاء والشجاعة وأوصى أصحاب أبى مسـلم بمعاونته ومساندته عند الحاجة ، وكان أهالى خراسان فـى حاجـة إلى رجـل مثلـه كى يحققوا غرضهم ، بعد ما ساد الدولة الأموية مـن اضطـراب ووقـوع الخـلاف والشقاق بين عرب خراسان([2]) .

لما انتقلت رئاسـة الدعـوة بعـد وفـاة محمـد بـن علـى العبـاس([3]) إلى أبنـه إبراهيـم الملقـب بالإمـام([4]) وأرسـل جماعـة الدعـاة إلى خراسـان ، وكـاتب مشـايخها ودعـا فيهـا فأجـابوه ودعـوا إليـه سـرًا([5]) ، إلا أن إبراهيـم الإمـام اتخـذ خطـوة حاسمـة لكـى يقبـض علـى زمـام الأمـور فـى خراسـان قبضًـا تامًـا وذلـك

---

(١) كان بكـير بـن مـاهـان مـع الجنيـد بـن عبـد الرحمن أثنـاء ولايتـه للسـنـد ترجمانـًا لـه فلما عزل الجنيد قدم بكير بن ماهـان الكوفة عـام ١٠٥هـ ومعـه أربـع لبنـات (سـبائك) من فضة ولبنة (سبيكة) من ذهب ، فلقى أبا عكرمة الصادق وميسرة ومحمـد بـن خنيس وغيرهم من الدعاة فذكروا له أمر الدعوة العباسية فقبل الدخول فيها وانفق مـا معـه عليهـم وتقابل مع الإمام محمد بن على ، ولما توفى ميسـرة أختاره الإمـام محمـد بـن علـى ليكـون القائم على أمر الدعوة بالعراق .

، ابن كثير : جـ٤ ص١٩٢ - ١٩٣ بيروت .

(٢) محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية ص١٧٥

(٣) كان ذلك سنة ١١٨هـ الطبرى : جـ٧ ص١١١ بيروت .

(٤) ابن الأثير : جـ٤ ص٢٢٦ ، فـاروق عمـر : مقالـة (الألقـاب الإسـلامية) ص٣٩٧ مجلة كلية الآداب العدد الثالث عشر ١٩٧٠م .

(٥) الطبرى : جـ٧ ص٣٢٩ ، ابن طباطبا : الفخرى ص١٤٤

بأن وجه أبا مسلم إلى خراسان[١] بعد أن زوده بنصيحة قال فيها « يا أبا عبد الرحمن إنك رجل منا أهل البيت ، فاحفظ وصيتى ، وانظر هذا الحى من اليمن فاكرمهم وحل بين أظهرهم فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم وانظر هذا الحى من ربيعة فاتهمهم فى أمرهم ، وانظر هذا الحى من مضر فإنهم العدو القريب الدار ، فأقتل من شككت فيه ومن كان فى أمره شبهة ، ومن وقع فى نفسك منه شئ ، وإن استطعت ألا تدع بخراسان لسانا عربيا ، فأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله ، ولا تخالف هذا الشيخ (يعنى سليمان بن كثير)[٢] . وكان من أثر هذه الوصية أن عمد بعض المؤرخين إلى اتخاذها دليلاً على اعتماد الدعوة العباسية على العنصر الفارس وعدم تمسكها بالعنصر العربى وهى لا تقف أمام النقد الموضوعى وأول ما يلفت النظر أن هذه الوصية غير متفق عليها من قبل المؤرخين ولذلك لا يمكن قبولها بدون تمحيص لرواياتها[٣] . فمن جهة النقد الخارجى فالرواية يذكرها الطبرى[٤] بدون إسناد ويذكرها ابن قتيبة[٥] ولا ذكر لها عند البلاذرى ولا فى اليعقوبى وذكرها المقريزى[٦]

---

(١) ابن الأثير : جـ٤ ص٢٩٥ بيروت .

(٢) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة جـ٢ ص١٣٩ - ص١٤٠

، الطبرى : جـ٧ ص٣٤٤ بيروت ، الأزدى : تاريخ الموصل جـ٢ ص د ٦

، المقريزى : النزاع والتخاصم بين بنى أمية وبنى هاشم ص٥١

(٣) فاروق عمر : العباسيون الأوائل جـ١ ص٢٣

(٤) الم والملوك جـ٧ ص٣٤٤

(٥) الإمامة والسياسة جـ٢ ص١٣٩ - ١٤٠

(٦) النزاع والتخاصم بين بنى أمية وبنى هاشم ص٥١

وعلق عليها متعجبًا مما جاء بصدد قتل العرب وانفرد الدينورى[١] برواية مختلفة الوثيقة قال فيها إن أبا العباس أوصى أبا مسلم ألا يدع بخراسان عربيًا لا يدخل فى أمره إلا ضرب عنقه ، كما وردت بهذا المعنى فى كتاب العيون والحدائق[٢] .

أما النقد الداخلي للوصية فإن متنها مفصول فى رواية الطبرى إلى قسمين تذكر بينهما حوادث الثورة ، كما وأنها تأتى تحت عنوان - سبب قتل مروان ابن محمد لإبراهيم الإمام - مما تدل على أن كلها أو بعضها دعاية أموية ضد العباسيين وضعت لتبرير قتل مروان لإبراهيم الإمام ، ثم إن متن الرواية يظهر تناقضات كثيرة فكيف يصح بأن يأمر إبراهيم الإمام بقتل كل العرب وهو يدرك أهميتهم ويوصيه فى بداية الرواية بتعهد اليمانيين والربيعيين منهم ، ثم إن سياسة أبى مسلم فى خراسان لا تتفق أبدًا مع الوصية المزعومة ، وذلك لأنه تقرب إلى اليمانيين والربيعيين حتى أنه قبل الكثير من المضريين الذين وثق بهم فى صفوف الأتباع[٣] .

إلا أننا نرى أن إبراهيم الإمام فى وصيته إلى أبى مسلم الخراسانى لم يكن غرضه القضاء على العرب أو من يتكلم العربية ، بل ربما قصد من ذلك إحكام أبو مسلم لقبضته على أمور الدعورة فى خراسان ، ويحذره من العناصر العربية التى تعيش فى هذه البلاد وعندما ميل إلى الثورة[٤] ، خاصة وأنهم كانوا غير متساوين فى الحقوق مع الفرس أهل تلك البلاد .

---

(١) الأخبار الطوال ص٣٥٩

(٢) مجهول : جـ٣ ص١٨٤

(٣) فاروق عمر : العباسيون الأوائل جـ١ ص٢٣ - ٢٤

(٤) محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية ص١٧٦

وعلى أى حال فقد صار أبو مسلم فى عام ١٢٨هـ ممثل العباسيين فى خراسان ورئيسًا للدعوة وبذلك أعطى العباسيون ثقتهم لأحد الموالى ليكون على رأس الهاشمية بخراسان وجعلوا له سلطة تامة على النقباء والدعاة(١) .

وكان انتشار العصبية القبلية بين عرب خراسان عاملان اضعافهم مما شجع الموالى على الثورة على الأمويين ، فقد أثار نصربن سيار والى خراسان حقد اليمانيين لأنه كان مضريًا ، وظل أربع سنين لا يستعمل فى خراسان إلا مضريا(٢) ، كما ساءت العلاقات بين القبائل العربية بخراسان .

وبعد أن نزل أبو مسلم خراسان أخذ فى دراسة أحوال أهلها والمباعدة بين أحزابهم ، ثم جهر بالدعوة لآل البيت سنة ١٢٩هـ فنزل بقرية من ضواحى مرو يقال لها - سفيذنج - وهناك بث دعاته بين الناس فأقبل إليه كثير من الموالى(٣) واصابت دعوته جميع أراضى خراسان وقد أكد ذلك الدينورى(٤) بقوله : « وحان الوقت الذى واعد أبو مسلم مستجيبيه فخرجوا جميعًا فى يوم واحد من كور خراسان حتى وافوه » ويشير ابن الأثير(٥) إلى أن أبا مسلم أتاه فى ليلة واحدة أهل ستين قرية لمبايعته وكان أكثر اتباع أبى مسلم من الزراع والأعاجم

---

(١) بدر عبد الرحمن محمد : الدولة العباسية ص١٦ - ص١٧

(٢) الطبرى : حـ٧ ص١٥٨ ، ابن الأثير : حـ٤ ص٢٣٩ بيروت .

(٣) يذكر كارل بروكلمان : أن الموالى فى خراسان سارعوا إلى الأنضواء تحت حركة أبى مسلم منذ البداية . تاريخ الشعوب الإسلامية حـ١ ص٢٠٠ - ص٢٠٢

(٤) الأخبار الطوال ص٣٦٠

(٥) الكامل حـ٤ ص٣٠٤

من الموالى فى قرى مرو[1] ، فكان أهالى خراسان من السكان الأصليين يتسابقون إلى تأييد أبى مسلم ونصرته لأنه كان منهم ولأن غايته تتفق مع أغراضهم ، وتوافق هوى فى نفوسهم ، وفى هذا يقول الدينورى[2] : « وانجفل الناس على أبى مسلم من هراة ويوشنج ومرو الروز والطالقان ومرو ونسا وابيورد وطوس ونيسابور وسرخس وبلخ والصغانيان والطخارستان وختلان وكش ونسف وكانوا زهاء مائة ألف رجل » .

تجلى الدور الكبير الذى قام به أبو مسلم الخراسانى فى نجاح الدعوة العباسية فى جهوده الصادقة التى بذلها فى خراسان ، فقد حارب الوالى الأموى بمن معه من شيعته من الموالى ومن أتاه من قبائل اليمانية ولاسيما قبيلة خزاعة[3] التى كانت أول من وافاه إذ كان معظم الدعاة منها[4] ونزل قصر الإمارة بمرو فى أوائل عام ١٣٠هـ[5] واضطر نصر بن سيار إلى الرحيل عنها وبذلك خلا الجو لأبى مسلم فى مرو ، وأمر بأخذ البيعة من الجند الهاشمية وكانت كما يلى[6] « أبايعكم على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ ، والطاعة للرضا من آل بيت رسول الله ﷺ ، عليكم بذلك عهد الله وميثاقه والطلاق

---

(١) فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ص٥٠٣

(٢) الأخبار الطوال ص٣٦١ ، ص٣٦٢

(٣) ابن الأثير : جـ٤ ص٣٠٤ بيروت .

(٤) الطبرى : جـ٧ ص٣٧٧ - ص٣٧٨

(٥) نفسه جـ٧ ص٣٧٩ .

Guest (BR): Action of Abu Muslim. p.55, the journal of the Royal Asiatic socieety. 1932.

(٦) الطبرى : جـ٧ ص٣٨٠

والعتاق والمضى إلى بيت الله ، وعلى ألا تسألوا رزقًا . ولا طمعًا حتى يبدأ بكم ومنكم وإن كان عدو أحدكم تحت قدميه فلا تهيجوه إلا بأمر ولاتكم » .

وتوالت مدن خراسان الكبيرة فى السقوط فى يد أبى مسلم الواحدة بعد الأخرى مثل سرخس وطوس ونيسابور والرى[١] . وما لبث نصر بن سيار أن توفى بجوار الرى فى عام ١٣١هـ[٢] ، فغلب على خراسان كلها بعد أن تخلص من شيوخ القبائل الذين نازعوه السيادة فى خراسان ، واتبع هذا العمل بإرسال قواده إلى بلاد فارس واستولى على كثير من مدنها[٣] .

ومن الجدير بالذكر أن أبا مسلم لم يذكر اسم الإمام الذى يدعوا إليه حتى ذلك الوقت صراحة خوفًا من أن تتصدع الجبهة الهاشمية إلى عباسى وعلوى ، أو خشية أن يتعرض الإمام للقتل على يد الأمويين ، ولكن ذلك لم يمنع مروان ابن محمد الخليفة الأموى من متابعة الحركة والوقوف على الحقيقة ، فلم يكن الأمويين طوال هذه المدة على علم بمن يدعوا إليه العباسيين حتى وقع فى يد الخليفة الأموى كتاب إبراهيم الإمام الذى بعث به إلى أبى مسلم يأمره فيه بقتل كل من يتكلم العربية بخراسان[٤] فأرسل مروان بن محمد إلى واليه بدمشق يأمره بأن يطلب إلى عامل البلقاء القبض على إبراهيم حيث يقيم بالحميمة[٥] ولما علم إبراهيم بما سيؤول إليه مصيره ، أوصى إلى أخيه أبى العباس

---

(١) ابن الأثير : حـ٤ ص٣٠٩ - ص٣١٠ بيروت .

(٢) المسعودى : مروج الذهب حـ٣ ص٢٨٥ ، ابن الأثير : حـ٤ ص٣١٧ بيروت .

(٣) فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ص٥٠٧

(٤) الطبرى : حـ٧ ص٣٢٩

Noldeka: Sketches from Eastern History.p.111.

(٥) الطبرى : حـ٧ ص٤٢٢ - ص٤٢٣ ، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر حـ١ ص٢٢١ ، ابن الوردى : تاريخه ص٢٧٥

بالإمارة وأمر أهله بالرحيل إلى الكوفة(١) ، وأن يكونوا فى طاعته ، وانتهت حياة إبراهيم وتوفى فى سجن بنى أمية بحران(٢) .

- أبو سلمة الخلال :

لما قتل مروان بن محمد إبراهيم الإمام ، خاف بنو العباس ، فساروا يريدون الكوفة تنفيذًا لوصيته(٣) ، وهناك التقوا بأبى سلمة الخلال(٤) أحد دعاة العباسيين وكان أيضًا من الموالى ، وكان إبراهيم الإمام قد اتخذه داعيًا فى العراق بعد موت بكير بن ماهان(٥) ، ويعد من أهم دعاة آل العباس ،

---

(١) ابن الأثير : جـ٤ ص٣٢٣ ، الفخرى : ص١٤٦ .

(٢) المسعودى : التنبيه والإشراف ص٢٩٢ ، ابن الساعى : مختصر أخبار الخلفاء ص٤ .

Browne: Aliterary History of persia Vol,1, p.292

(٣) اودع إبراهيم الإمام وصيته هذه قبل مقتله عند سابق الخوارزمى مولاه .

، المسعودى : مروج الذهب جـ٣ ص٢٦٧ ، حسن فاضل زعين العانى : سياسة المنصور أبى جعفر ص٦٨ .

(٤) هو أبو سلمة حفص بن سليمان مولى بنى حارث بن كعب ويعرف بأبى سلمة الخلال وقيل فى نسبته بالخلال ثلاث أوجه : **أحداهما** : أن منزله بالكوفة كان قريبًا من محله الخلالين وكان يجالسهم فنسب إليهم . **وثانيها** : أنه كان له حوانيت يعمل فيها الخل فنسب إلى ذلك . **وثالثها** : نسبة إلى خلل السيوف وهى أغمادها . انظر الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص٨٣ - ص٨٤ ، ابن طباطبا : الفخرى ص١٥٣ - ص١٥٤ .

(٥) لما حضرت بكير بن ماهان الوفاة كتب إلى إبراهيم الإمام يخبره أنه استخلف حفص ابن سليمان فكتب إلى أبى سلمة يأمره بالقيام بأمر أصحابه ، وكتب إلى أهل خراسان أنه قد أسند أمرهم إليه ومضى أبو سلمة إلى خراسان فقبلوا أمره ودفعوا إليه خمس أموالهم ونفقات الشيعة . الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص٨٤ ، الروحى : بلغة الظرفاء ص٢٦ .

إذ كان من مياسير أهل الكوفة[١] وكان صهرًا لبكير بن ماهان ، وانفق من ماله على الدعوة لآل البيت[٢] حتى استحق التلقيب بوزير آل محمد[٣] ، وكان كثير التنقل بين الحميمة والكوفة وخراسان ، وبفضل نشاطه سقطت الكوفة أهم مدن العراق فى أيدى العباسيين .

انزل أو سلمة الخلال بنى العباس فى إحدى دور الكوفة ، ثم مالبث أن أهمل شأنهم حتى أنه أبى أن يدفع أجرة الحمالين الذين تولوا نقلهم ونقل امتعتهم واخفى أمرهم[٤] وأمر بمراقبتهم ، وأخذ يعمل سرًا على تحويل الخلافة إلى أحد العلويين[٥] .

ويدفعنا ذلك إلى أن نتساءل عن الدوافع التى دفعت بالخلال للقيام بهذا العمل ؟ فقد اختلف المؤرخون فى تفسيرها ، فمنهم من

---

(١) عبد المنعم ماجد : العصر العباسى الأول جـ١ ص٣٧

(٢) الزركلى : الأعلام جـ٢ ص٢٩١

(٣) المسعودى : التنبيه والإشراف ص٢٩٣

(٤) لم يأذن أبو سلمة لبنى العباس بدخول الكوفة أول الأمر ، وأمر بأن يقيموا بقصر مقاتل – وهو على بعد مرحلتين من الكوفة – ثم سمح لهم بدخول الكوفة وحبسهم فى دار الوليد ابن سعد مولى بنى هاشم فى بنى أود فكان إذا بعث أبو العباسى يسأله عن خبرهم عنده يقول : لم يأت ظهوركم بعد ، وخبأهم أربعين ليلة و لم يصرح لأحد من النقباء بمكانهم . الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص٨٥ ، البلاذرى : مخطوط أنساب الأشراف جـ٣ ص١٣٤ ، الطبرى : جـ٧ ص٤٢٣ – ص٤٢٤ ، ص٤٣٠ – ص٤٣١

(٥) الجهشيارى : ص٨٤ – ٨٧ ويشير المسعودى إلى أن أبى سلمة حين بلغه مقتل إبراهيم الإمام أضمر الرجوع عما كان عليه من الدعوة العباسية إلى آل أبى طالب . مروج الذهب جـ٣ ص٢٦٨

يقول بأنه أراد أن يجعل الأمر شورى بين بنى هاشم من عباسيين وعلويين ، ومنهم من يرى أنه خاف إنتقاض الأمر وفساده بعد وفاة إبراهيم الإمام ، وتخوفه على مصير الدعوة وفشلها ؛ إلا أننا نعتقد بأن الخلال لم يكن واثقًا من أبى العباس حيث أن علاقته به لم تكن وثيقة كعلاقة الخلال بإبراهيم ، وقد أدرك الخلال أن تسلم أبى العباس للسلطة ربما سيحد من نفوذه ، الذى أخذ يتعاظم ، خاصة بعد نجاح الثورة وسيطرة الخراسانية على الكوفة ، ولذلك حاول الخلال أن يجد شخصية أخرى هاشمية غير عباسية ينصبها خليفة ، ويحتفظ هو بنفوذه السياسى الكبير ، ذلك لأنه سيكون صاحب الفضل على الخليفة الجديد ، وسيلعب دور صانع الملوك فى الدولة الجديدة([1]) .

استأثر أبو سلمة بالسلطة وعين القواد ، دون الرجوع إلى أبى العباس([2]) ، فعين أبا الجهم على ديوان الجند وأبا غانم عبد الحميد بن ربعى على الشرط وعبد الله بن بسام على الحرس وعمرويه الزيات على حجابته ، والمغيرة بن زيان على الخراج([3]) ، وفرق عماله على السهل والجبل ، وصارت الدواوين بحضرته والكتب تنفذ منه وإليه([4]) .

---

(١) فاروق عمر : العباسيون الأوائل حـ١ ص٣٤

(٢) خليفة بن خياط : تاريخه حـ٢ ص٤٢٤ ، الدينورى : الأخبار الطوال ص٢٥١ ، البلذرى : أنساب الإشراف (مخطوط) حـ٣ ص١٣٤

(٣) مؤلف مجهول : نبذة من كتاب التاريخ ص٢٠١

(٤) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص٨٥ - ص٨٦

غير أن زعماء العباسيين لم يلبثوا أن أحبطوا مؤامرة الخلال[1] فذهبوا إلى الكوفة ، وقابلوا أبا العباس عبد الله ، وبايعوه بالخلافة ، واضطر أبو سلمة أن يسلم هو أيضًا على أبى العباس بالخلافة[2] ويشير الجهشيارى[3] إلى ذلك بقوله : « إن أبو سلمة قبل يد أبى العباس وقدميه وبدأ فى الاعتذار فقال له أبو العباس : « عذرناك أبا سلمة غير معتد ،

---

(١) باءت محاولة الخلال بالفشل لشك العلويين وحذرهم منهم :

أولاً : ولتردد الشخصيات العلوية (التى أرسل إليها يدعوها بالخلافة وهم الإمام جعفر الصادق وعبد الله بن الحسن المحسن الحسنى وعمر بن على بن على بن الحسن) بالمغامرة التى تتطلبها السياسة .

ثانيًا : لقوة الدعاة العباسيين فى الكوفة .

ثالثًا : اكتشاف الدعاة مكان أبى العباس وإعلانهم بيعته فاروق عمر : العباسيون الأوائل جـ١ ص٣٣ - ٣٥

(٢) اتخذ نقباء الدعوة احتراءات أمن مشددة ضد أبى سلمة فأوصى أبو الجهم أبا حميد - محمد بن إبراهيم الحميرى - قائلاً : « إن آتاكم أبا سلمة فلا يدخل إلا وحده فإن دخل وبايع فسبيله ذلك وإلا فاضربوا عنقه ، فلما قدم أبو سلمة ادخلوه وحده فبايع لأبى العباس » فقال له أبو حميد : « على رغم أنفك يا ابن الخلال » فقال له أبو العباس : « مه وجعل أبو سلمة » يقول : « إنما أردت إظهار أمر أمير المؤمنين بعد أن أحكم له الأمور » .

البلاذرى : أنساب الإشراف « مخطوط » جـ٣ ص٢٤

، الطبرى : جـ٧ ص٤٢٤ ، ص٤٣٠ - ص٤٣١

انظر : مؤلف مجهول : نبذة من كتاب التاريخ ص١١٧ ، العانى : سياسة المنصور أبى جعفر ص٧٠ - ٧١

(٣) الوزراء والكتاب ص٨٧

وحقـك معظـم وسابقتـك فـى دولتنـا مشـكورة وزلتـك مغفـورة انصـرف إلى معسكرك لا يدخلـه خلـل ... »(١) .

وفي يوم الجمعـة الثانى عشـر مـن ربيـع الأول سـنة اثنين وثلاثـين ومائـة للهجرة خرج أبو العباس على أثر بيعتـه إلى مسـجد الكوفـة حيـث خطـب خطبـة أشـار فيهـا إلى أن الخلافة حـق شـرعى لأسـرته(٢) ، فقـال : « الحمـد لله الـذى اصطفى الإسلام لنفسه تكرمة ، وشرفه وعظمه واختاره لنـا وأيـده بنـا وجعلنـا أهلـه وكهفـه وحصنـه والقـوام بـه والذابـين عنـه والمناصـرين لـه ... وخصنـا برحم من الإسلام رسول الله وقرابته ، وأنشأنا مـن آبائـه وأنبتنـا مـن شـجرته ... ووضعنا من الإسلام وأهله بالموضع الرفيع وأنزل بذلك علـى أهـل الإسـلام كتابًا فقال : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا ﴾(٣) ، وقال : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة فى القربى ﴾(٤) فاعلمهم جل ثنـاؤه فضلنـا وأوجب عليهم حقنـا ومودتنـا وأجـزل من الفـئ والغنيمـة نصيبـًا تكـرمة لنـا وفضلاً علينـا والله ذو الفضل العظـم ، وزعمـت السـبئيـة الضـلال أن غيرنـا أحـق بالرياسـة فشـاهت وجوههـم بما ولم . أيها النـاس ؟ وبنـا هـدى الله النـاس بعد ضلالتهم وبصرهم بعد جهـالتهم وأنقذهـم بعـد هلكتهـم ، واظهـر بنـا الحـق

---

(١) الوزراء والكتاب ص٨٧ ، الأزدى : تاريخ الموصل حـ٢ ص١٣٢ .

(٢) الطبرى : حـ٧ ص٤٢٤ - ص٤٢٦ ، ابن الأثير حـ٥ ص٦٦ .

، ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب حـ١ ص١٨٣ ، مكتبة القدس - القاهرة ١٣٥٠هـ .

Nicholson: Aliterary History of the Arabs. p.253.

، فاروق عمر : العباسيون الأوائل حـ١ ص٣٥ - ص٣٦

(٣) سورة الأحزاب : الآية ٣٣ .

(٤) سورة الشورى : الآية ٢٣ .

ودحض بنا الباطل وأصلح بنا ما كان فاسدًا ... فتمم الله ذلك منة ومنحة لمحمد ﷺ ، فلما قبضه الله إليه قام بذلك الأمر من بعده أصحابه وأمرهم شورى فحووًا مواريث الأمم فعدلوا فيها ووضعوها مواضعها واعطوها أهلها ، ثم وثب بنو حرب ومروان فابتزوها وتداولوها بينهم ، فجاروا فيها ، واستأثروا بها وظلموا أهلها ، فأملى الله لهم حينا حتى أسفوه فلما اسفوه انتقم منهم بأيدينا ورد علينا حقنا ، وتدارك بنا أمتنا وتولى نصرنا ليمن بنا على الذين استضعفوا فى الأرض ... وإنى لأرجو ألا يأتيكم الجور من حيث أتاكم الخير ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح ، وما توفيقنا أهل البيت إلا بالله ، يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا ومنزل مودتنا ، أنتم الذين لم تتغيروا لذلك ولم يثنكم عنه تحامل أهل الجور عليكم حتى أدركتم زماننا وأتاكم الله بدولتنا فأنتم أسعد الناس بنا وأكرمهم علينا ، وقد زدتكم فى أعطياتكم مائة درهم ، فأستعدوا فأنا السفاح المبيح والثائر المبير » .

ثم خطب بعده عمه داود بن على فقال : « الحمد لله ... الذى أهلك عدونا ... إنا والله ما خرجنا فى طلب هذا الأمر لنكثر لجينا ولا عقيانًا ولا نحفر نهرًا ، ولا نبنى قصرًا ... وإنما أخرجتنا الأنفة عن ابتزازهم (أى الأمويين) حقنا والغضب لبنى عمنا ، وما كرهنا من أموركم ... ولقد كانت أموركم ترمضنا... ويشتد علينا سوء سيرة بنى أمية فيكم وخرقهم بكم واستذلالهم لكم ، واستئثارهم بفيئكم وصدقاتكم ومغانمكم عليكم ، لكم ذمة رسول الله وذمة العباس أن نحكم فيكم بما أنزل الله ونعمل بينكم بكتاب الله ونسير فى العامة منكم والخاصة بسيرة رسول الله ﷺ ... يا أهل الكوفة إنا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقنا حتى أتاح الله لنا شيعتنا أهل خراسان فأصابهم حقنا وأفلج بهم حجتنا وأظهربهم

دولتنا ، وأراكم والله ما كنتم تنتظرون ... وأدالكم على أهل الشام ونقـل إليكـم السلطان وعز الإسلام[١] .

ومن هاتين الخطبتين يتبين لنا الاتجاهات الجديدة للعهد ومنها :

١ - أن الثورة العباسية قامت من أجل الإسلام الـذى فشـل الأمويـون فـى تطبيـق مبادئه .

٢ - أن للعباسيين الحق فى الخلافة لأنهم أقرباء الرسول من جهة عمه العبـاس بـن عبد المطلب الذى توفى بعد الرسول .

٣ - أن الثورة العباسية تعنى العدالة للمظلومين والمستضعفين من الناس .

٤ - وتعنى الثورة كذلـك انتصـار العـراق علـى الشـام بعـد الكفـاح المريـر الـذى خاضته العراق خلال العصـر الأمـوى ، وقـد أشـار الخليفـة إلى ثـورات أهـل البيت مثل الحسين بن على والمختار الثقفى وابن الحنفية وعبد الله بـن معاويـة وزيد بن على بن الحسين .

٥ - وعد الخليفة بزيادة العطاء إلى مائة درهم وذكرهم السفاح المبيح .

٦ - بين موضع العباسيين من الإسلام وأهله وأنهم بنى هاشم وأهل البيت .

٧ - فند الخليفة العباسى رأى السبئية (ويعنى هنا شيعة العلويين) فـى قولهـم بـأن الخلافة من حق آل على وبين أثر العباسيين فى أحقاق الحق وازهاق الباطل .

٨ - ندد أبو العباس بسياسة الأمويـين وظلمهـم للنـاس وكيـف أن العباسـيين هـم الذين وضعوا نهايتهم[٢] .

---

(١) الطبرى : حـ٧ ص٤٢٦ - ص٤٢٨ بيروت .

(٢) فاروق عمر : العباسيون الأوائل حـ١ ص٣٦ - ص٣٧ .

رأى أبو العباس بعد أن تمت له البيعة فى الكوفة ان يتخلص من مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين ، فوجه إليه عمه عبد الله بن على الذى أوقع به الهزيمة على نهر الزاب - أحد روافد دجله -[1] وأخذ يتعقبه فى بلاد الشام حتى اضطر مروان إلى الاتجاه مصر فدخل الفسطاط ثم رحل منها إلى بوصير[2] - من أعمال الفيوم - حيث قتله صالح بن على العباس فى أواخر سنة ١٣٢هـ وبذلك انتهى حكم البيت الأموى وانتقل مركز العالم الإسلامى من الشام إلى العراق .

نشط العباسيون منذ أن انتقلت إليهم الخلافة فى القضاء على الأمويين واستئصال شأفة الأحياء منهم ، وإزاء تلك السياسة عمد الأمويون إلى الاختفاء والهرب ، غير أن كثيرًا منهم تعرضوا لأذى العباسيين فتتبع عبد الله بن على - عم الخليفة - من كان بالشام من أولاد الخلفاء وغيرهم ونكل بهم[3] ، كما استدعى الخليفة نفسه عددًا كبيرًا منهم ، وأكرمهم ثم غدر بهم ، وقتل داود بن على بمكة والمدينة عددًا وافرًا من الأمويين ، كذلك قضى سليمان بن على على من كان منهم بالبصرة ، ولم يفلت منهم إلا عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك، الذى فر إلى المغرب ومنها إلى أسبانيًا وأسس الدولة الأموية بالأندلس ، ولم يقنع العباسيون بما فعلوا بالأحياء فعمدوا إلى قبور بنى أمية فنبشوها حتى محو آثارها[4] .

---

(١) الطبرى : جـ٧ ص٤٣٢ ، ص٤٣٧ - ص٤٤١ بيروت .

(٢) الاصفهانى : الأغانى جـ٤ ص٩٢

، ابن الأثير : جـ٤ ص٣٢٧ ، ص٣٣٠ بيروت

(٣) اليعقوبى : تاريخه جـ٢ ص٩٢ - ص٩٣

(٤) الطبرى : جـ٧ ص ٤٥٩ ، ابن الأثير : جـ٤ ص ٣٣٣ بيروت .

خلفاء العصر العباسى الأول

(١٣٢ - ٢٣٢هـ / ٧٥٠ - ٧٥٤م)

أبو العباس السفاح (١٣٢ - ١٣٦هـ/٧٥٠ - ٧٥٤م):

ولد أبو العباس فى مستهل رجب سنة ١٠٤هـ بالحميمة ، وأمة ريطة بنت عبد الله بن عبد الله بن عبد الدار الحارثى(١) ولم يكن أبو العباس سفاحًا(٢) بالمعنى الحرفى لهذه الكلمة بل يغلب على الظن أن اسمه(٣) ، اقترن بتلك الصفة منذ أن قال فى خطبته أنا السفاح المبيح والثائر المبير ، ومعناها الرجل الكريم الذى يكثر الذبح لضيوفه ، كما كان دمث الأخلاق(٤) جميل التكوين يحب الشعر والأدب

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ٥ ص ١١٣ ، ابن الأثير جـ٤ ص ١٨٨ .

، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٠ ص ٥٨ مكتبة المعارف ، بيروت ١٩٧٨م .

(٢) اطلق هذا الاسم على بعض شيوخ القبائل فى الجاهلية ، ويقال إن سلمة بن خالد الذى قاد بنى تغلب فى موقعة الكلاب الأولى سمى السفاح لأنه أفرغ مزاد جيشه قبيل المعركة

Nicholson : Aliterary Hist of the Aralis. p. 253.

، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى جـ٢ ، ص ٢٢ .

وعن اقتران لقب السفاح بأبى العباسى وعمه عبد الله بن على راجع البحث القيم الذى أورده الدكتور / أحمد مختار العبادى فى كتابه : فى التاريخ العباسى والفاطمى ص ٤١ - ٤٤ مشير ا إلى مقالة للدكتور / عبد الحميد العبادى بعنوان : صور وبحوث فى التاريخ الإسلامى جـ٢ ص ٧٠ ، الإسكندرية ١٩٤٨م .

(٣) يقال لأبى العباس : المرتضى والقاسم .

، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٠ ص ٥٨ .

(٤) انظر المسعودى : مروج الذهب جـ٢ ص ١٩٢ - ١٩٤ .

، ابن طباطبا : الفخرى ص ١٢٨ ، جمال سرور : الحياة السياسية ص ١٧٩ .

أما من ناحية حكمة فلم يكن مطلق السلطة ، فكان يشترك معه فى إدارة الدولة العباسية أبو مسلم الخراسانى بالمشرق ، وأبو جعفر المنصور بالجزيرة ، وعبد الله بن على بالشام وكان ما يجرى فى دولته من خير وشر يقع على أيديهم[١] .

وكان أبو العباس غاضبًا على[٢] بنى أمية كما كان أهله غاضبين عليهم معه ، وإن لم يذهب به غضبه بعيدًا ليفعل بهم ما كان يفعل بهم أعمامه وأقاربه[٣] ، فلقد قتل قائد العباسيين يحى بن محمد بن عبد الله ابن العباسى[٤] ، ثمانية عشر ألفا م أهل الموصل فى مسجدها العام ، ولما تساءلت زوجة الخليفة عن أسباب هذه المذبحة العامة رد عليهم بأنه لا يعرف عنها شيئًا ، ولقد أكل عمه عبد الله بن على على جثث

---

(١) محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(٢) عرف من عنف خصومته للأمويين أنه قابل رأس الخليفة مروان بن محمد بالسجود لله شكرًا ، وقال : إن دماءهم من الغيظ لا ترويه ، وكان يخرج عن اتزانه وحكمته لو حرضه بعض الناس على قتل الأمويين ولو كانوا ضيوفه ، وعرف من ذلك أنه أمر بأن يجر أحدهم - وهو سليمان بن هشام - من رحله ليلقى مصرعه فى بيته ، وكان سليمان ضيفه وأحد المعارضين للنظام الأموى قبله .

على حبيبة : العباسيون فى التاريخ ص ٧٢ حاشية (٢) مكتبة الشباب ١٩٨٠م .

(٣) عرف الكثير عن مأساة بنى أمية أمام بنى العباس عند ظهور دولتهم حتى لقد نبشت قبورهم وصلبت أجسادهم وحرق رفاتهم وطورد الأحياء منهم فى كل مكان وقيل أن بنتا من بنات الخليفة مروان بن محمد استعطفت أحد قادة العباسيين ليبقى على أقاربه الأمويين بعد الانتصار عليهم فقال : إنه سوف لا يبقى منهم أحدًا أبدًا .

على حبيبة : نفسه ص ٧٢ حاشية (٣) .

(٤) الأزدى : تاريخ الموصل ص ١٤٥ - ١٥٥ .

ضيوفه الأمويين وهم يئنون تحته ، وأحل أخوه المنصور بكل عهوده مع أنصار بنى أمية و لم يوف لهم بشىء ألزم به نفسه[1] أمام الناس .

مقتل أبي سلمة الخلال :

لم تكن سياسة العنف والتنكيل التى اتخذها العباسيون سلاحًا للقضاء على خصومهم موجهة فقط إلى الأمويين ، بل اتبعوها أيضًا مع أنصارهم الذين شكوا فى إخلاصهم فاتهم أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال الذى كان يقال له وزير آل محمد[2] ، لما تم الأمر لبنى العباس أتهم بانه كان يعمل على تحويل الخلافة إلى العلويين[3] ، وقد قيل أن أبا العباس استوزر أبا سلمة على كره منه ، لما كان يتمتع به من مكانة سامية ونفوذ كبير فى نفوس الخراسانيين ، وخشى إذا قتله أن يقوم أهل خراسان فى وجهه ويثأروا له ، فبدأ أبو العباس يخطط للتخلص من الخلال[4] ، فبدأ فى إقصاء أتباعه والولاة الموالين له ، ثم اتصل بأبى مسلم

---

(١) قيل إن المنصور لم يكن يلتزم بعهوده كلها ، ومنها تعهده بالإبقاء على حياة قائد الأمويين – ابن هبيرة – بالعراق وتعهد بضمان السلامة لعمه الخارج عليه – عبد الله بن على – حتى كان خصومه يفضلون الموت أمامه فى ساحات الحرب على أن يرضوا بعهود موثقة لا يرعى حرمتها ، وكانوا يعيرونه بهذا الضعف فى سلوكه.

على حبيبة : نفسه ص ٧٣ حاشية(١) .

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد حـ٥ ص ١١٣ ويذكر أنه أول من لقب بالوزارة ، ويذكر ابن الأثير حـ٤ ص ٣٣٦ أنه كان يقال له أيضًا وزير آل محمد .

(٣) ابن الأثير : حـ٤ ص ٣٣٦ .

(٤) اتفق البلاط العباسى على التخلص من أبى سلمة الخلال ، وكان الخليفة يرى التريث فى قتل أبى سلمة أما رأى المنصور وعمه داود بن على فكان الإسراع بتنفيذ الأمر ، إلا أنهما لم يلبث أن ركنا إلى رأى أبى العباس ورأوا أن يكتب إلى أبى مسلم الخراسانى ليوجه من يقتله .

، ابن الأثير : حـ٤ ص ٣٣٦ بيروت ، العانى : سياسة المنصور ص ٧١ ، ص ٧٣ .

الخراسانى[١] واتفقا على التخلص من أبى سلمة الخلال[٢] ويـروى أن أبـا مسـلم هو الذى اقترح قتله[٣] للتخلص منه وأرسل من قتله[٤] فى خراسان سنة ١٣٢ هـ وقبـل مقتـل الخـلال أعلـن بـان الخليفـة رضـى عـن الخـلال وأضفـى عليـه الهدايـا والإكرام[٥] ، وبعد اغتياله أذيع بين الناس بان الخوارج هـم الذين قتلوا الخلال[٦].

قتل أبو مسلم الخراسانى سليمان بن كثير :

ومن الشخصيات التى تم التخلص منها نتيجة الشك فى إخلاصهـا سليمان بن كثير وهو لا يقل أثرًا عن أبى سلمة[٧] فهو نقيب النقباء للدعوة العباسية وكان

---

(١) أرسل أبو العباس رسالة مع أبى جعفر المنصور إلى أبى مسلم الخراسانى يقول فيها المنصور على لسان أبى العباس متهما أبا سلمة بأنه قد شمخ بأنفه على أمير المؤمنين حتى أنه ما يعد الخلافة بشىء وأنه يعترض علينا اعتراضًا يجل عن الوصف وما يمنع أمير المؤمنين من الاساءة والوقوف عليه إلا غضبك لأنك أنت الذى جعلته مشيرًا ووزيرًا .

ابن اعثم الكوفى : مخطوط الفتوح جـ٢ ، البلعمى : تاريخ طبرى ص ٧٤٠ .
بالفارسية مطبعة نول كشور الهند ١٢٩١هـ .

(٢) أرسل أبو مسلم إلى مرار بن أنس الضبى وقال : انطلـق إلى حفـص بـن سـليمان بالكوفة فأقتله حيث لقيته . البلاذرى : مخطوط أنساب الإشراف جـ٣ ص٣٦ أ ، الطبرى جـ٧ ص٤٤٧ .

(٣) كان أبو الجهم عطية عينا لأبى مسلم ، فلما اتفـق البـلاط العباسـى علـى قتـل أبـى سـلمة الخلال أرسل إليه بالأخبار فقال : « إن حفصًا كان غاشًا لله والرسول والأئمـة فـالعنوه » فكتب أبو مسلم لأبى العباس كتابًا يشير عليه بقتل أبى سلمة الخـلال وقـال : « قـد أحـل الله لك دمه، لأنه نكث وغير وبدل » البلاذرى : مخطوط أنساب الأشراف جـ٣ص٣٦ أ. ، اليعقوبى : جـ٣ ص ٩٣ ، المسعودى : مروج الذهب جـ٢ ص ٢٨٤ .

(٤) كمن له مرار بن أنس بعد خروجه من سمر عند الخليفة وقتله .
البلاذرى : نفسه ، اليعقوبى : نفسه ، الأزدى : تاريخ الموصل جـ٢ ص ١٤٥ .

(٥) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٩٠ .

(٦) البلاذرى : نفسه ، الأزدى : نفسه ، الجهشيارى : نفسه .

(٧) انظر الطبرى : جـ٧ ص ٤٥٠ بيروت .

يتمتع بنفوذ قبلي واسع ، ويبدو أنه اتصل بأبي جعفر أخي الخليفة حين زار خراسان واتفقا على ضرورة التخلص من أبي مسلم ، على أن هناك روايات أخرى تظهر أنه اتصل بعبيد الله بن الحسين (العلوى) ، الذى كان مرافقًا لأبي جعفر واتفق معه على الثورة وسلب السلطة من العباسيين(١) .

على أي حال فقد قتل أبو مسلم سليمان بن كثير متعذرًا بأوامر أو وصية سابقة من إبراهيم الإمام حين قال له في حينه « ومن شككت به فاقتله » فأعلن أنه شك في نوايا سليمان وتآمره ضد السلطان (الخليفة) ولذلك قتله ، ولكن الواقع يؤكد بأن أبا مسلم قتل سليمان بن كثير لأنه كان ينافسه في الزعامة على خراسان لقدمه في الدعوة وسلطته على القبائل اليمانية والربيعية خاصة ، وقد قتل أبو مسلم سليمان دون أخذ موافقة الأمير أبي جعفر الذى كان حاضرًا في خراسان مما سبب غضبه ولكنه كتم غضبه و لم يتجاسر أن ينكر ذلك على أبي مسلم(٢) .

عهد أبو العباس قبل وفاته ولاية العهد إلى أخيه أبو جعفر ، ثم لابن أخيه عيس ابن موسى بن محمد على العباس بالتعاقب ، فسار بذلك على سياسية الأمويين في توليه العهد لأكثر من واحد ، فكان ذلك من عوامل ظهور الخلاف والنزاع بين أفراد البيت العباس(٣) .

ظل أبو العباس في الخلافة أربع سنين وتسعة أشهر ، ومات بالجدرى في مدينة الأنبار التى اتخذها قاعدة لخلافته يوم الثانى عشر من شهر ذى الحجة سنة ١٣٦هـ(٤) .

---

(١) انظر الطبرى : حـ٧ ص ٤٥٠ بيروت .

(٢) الطبرى : نفسه ، فاروق عمر : العباسيون الأوائل حـ١ ص ٤١ - ٤٢ .

(٣) الطبرى : حـ٧ ص ٤٧٠ حوادث سنة ١٣٦هـ .

(٤) ابن الأثير : حـ٤ ص ٣٤٦ بيروت .

أبو جعفر المنصور[1] (١٣٦ - ١٥٨هـ/ ٧٥٤ - ٧٧٥م) :

لما توفى أبو العباس[2] بالأنبار سنة ١٣٦ هـ خلفه أبو جعفر[3] الذى لقب بالمنصور[4] والذى يعد المؤسس الحقيقى للدولة العباسية[5] ، والذى يعزى إليه تمكين الأسرة العباسية من الحكم عدة قرون ، وحرصه على إعلاء شأن الخلافة مما ساعد على تدعيم سلطانهم[6] .

وفى أيام المنصور حدثت أحداث خطيرة منها خروج عمه عبد الله بن على[7] وإلى بلاد الشام على طاعته ، وادعى أن أبا العباس جعل الخلافة من بعده

---

(١) ولد أبو جعفر فى أوائل ذى الحجة سنة وخمس وتسعين وكان أسمر رقيق السمرة موفور اللمة خفيف اللحية ، رحب الجبهة ، اعين .
انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد حـ٥ ص ١١٤ ، ابن قتيبة : الإمامة والسياسة حـ٣ ص ١٣٩ ، الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد حـ١٠ ص ٥٤ مطبعة السعادة ١٩٣١م .

(٢) رزق أبو العباس من الولد اثنين محمد ومات صغيرًا وابنة سماها ريطة ابن عبد ربه : العقد الفريد حـ٥ ص ١١٣ .

(٣) كان أبو جعفر يلقب فى صغره بمدرك التراب. الديار بكرى: تاريخ الخميس حـ٢ ص٣٦٢ ومدرك كثير الأدراك انظر ابن منظور : لسان العرب حـ١٢ ص ٣٠٢-ص٣٠٦ . ولقب قبل أن يلى الخلافة بالطويل وبعبد الله الطويل ابن الأبار : الحلة السيراء حـ١ ص ٣٣ .

(٤) لقب أبى جعفر « المنصور بالله » يذكر العينى أنه أول من لقب بالمنصور انظر العينى : عقد الجمان (مخطوط) حـ٧ ص ١٦١ .

(٥) مدحه حماد عجرد قائلا :

أتوك بعد أبى العباس إذ بانا	يا أكرم الناس أعراقا وعيدانا
لو عج عود على قوم عصارته	يعج عودك فينا الشهد والبانا

ابن عبد ربه : العقد الفريد حـ١ ص ٣١٦ دار الكتاب العربى ٧ أجزاء .

(٦) جمال سرور : الحياة السياسية ص ١٨٠ ، يروى ابن تغرى روى : النجوم الزاهرة حـ٣ ص ٣٣ حوادث سنة ١٥٨ هـ عن الربيع بن يونس الحاجب أنه (الخليفة) قال : الخلفاء أربعة أبو بكر وعمرو وعثمان وعلى والملوك أربعة معاوية وعبد الملك وهشام وأنا .

(٧) كان أبو جعفر المنصور يخاف شر عمه عبد الله بن على وقد أفضى بذلك إلى أبى مسلم حينما جاءه مهنئا بالخلافة قائلاً : أتخوف من عمى عبد الله بن على فقال له : لا تخفه وأنا أكفيكه .
ابن الأثير : حـ٤ ص ٣٤٨ حوادث سن ١٣٧ هـ .

لمن انتدب لقتل مروان بن محمد فبعث إليه المنصور بأبى مسلم الخراسانى[١] الـذى تمكن من هزيمته بالقرب من نصيبين فى جمادى الآخرة سنة ١٣٧ هـ ، وفر مع نفر من خواصه إلى أخيه سليمان بن على أمير البصرة فـأواه عنـده[٢] ، ولما علـم أبـو جعفر بذلك أرسل إلى سليمان يأمره بإنفاذ عبد الله بـن على إليـه ، وأعطـاه مـن الأمـان مارضى به ، فخرج سليمان إلى المنصور سنة ١٣٩ هـ ، ولكن المنصور لم يف بأمانـه لعبد الله بن على ، بل أمر بحبسه بعد قدومه إليه[٣] ، ثم قتله سنة ١٤٧هـ[٤] .

لم يكن عبد الله بن على محقا فى ثورته على الخليفة أبى جعفر لعدة أسـباب منها أن المنصور عينه واليًا على بلاد الشام وهو منصـب لـه وزنـه فـى الدولـة ، إذ يعتبر مـن الرجـال المعدوديـن والشـخصيات البـارزة فـى بـلاط المنصـور ، ثانيًـا : احتجاج عبد الله ابن على بأن أبا العباس السفاح جعـل الخلافـة لمـن انتـدب لقتـل مروان بن محمد لا يعد وثيقة لها سندها الشرعى ، إذا كان مـن المعـروف أن ولى عهـد أبى العباس حسب وصية إبراهيم الإمام كانت أن يلى الخلافة أبو العبـاس عبـد الله ، ثم أخيه أبى جعفر ثم ابن أخيه عيسى بن موسى[٥] . و لم يحدث أن تغير الأمر بعد ولاية أبى العباس الخلافة ومن ثم يكون ادعائه بان أبـى العبـاس جعـل الخلافـة لمـن انتدب لقتل مروان بى محمد لا يعدو إلا أن يكون على سبيل التحفيز والتحميس .

على أى حال فقد كان لثورة عبد الله بن على ثلاث معان أولها : أنها ثورة زعيـم من زعماء الدولة العباسية عمل لا نجاحها بالقضاء على آخر خلفاء الدولة الأموية ،

---

(١) ابن الأثير : نفسه .

(٢) الطبرى : جـ٧ ص ٤٧٤ وما بعدها حوادث سنة ١٣٧هـ .

(٣) المسعودى : مروج الذهب جـ٣ ص ٢٣٠ .

(٤) الطبرى : جـ٨ ص ٧ - ٨ ويذكر ابن الأثير جـ٥ ص ٢٤ حوادث سنة ١٤٧ هـ أن أبا جعفر المنصور عهد إلى عيس بن موسى بقتل عبد الله بن على لكى يثير عمومته عليـه ، إلا أنه لم يقتله ، فتخلص المنصور من عبد الله بحبسه فى بيـت أساسـه ملـح واجرى المـاء فى أساسه فسقط عليه فمات .

(٥) الطبرى : جـ٧ ص ٤٧٠ حوادث سنة ١٣٦ هـ .

ثانيها : أنها تعنى انشقاق فى صفوف البيت العباس حول مشكلة ولاية العهد ، **وثالثها :** أنها تعنى ثورة أهل الشام على العباسيين ، ولذلك دلالته لأن أهل الشام فى الحقيقة استغلوا عبد الله بن على العباس ليعبروا عن سخطهم على الدولة الجديدة(١) .

عصيان أبو مسلم الخراسانى وموقف الخلافة منه :

لم يلبث أبو مسلم الخراسانى أن أصبح الزعيم الذى لا منافس له فى خراسان سنة ١٢٩هـ/ ٧٤٧م(٢) ، حين أمره إبراهيم بإظهار الدعوة وإعلان الثورة فى خراسان فتمكن بكل ما أوتيه من ذكاء ومقدره عسكرية من السيطرة على الوضع هناك ، فاستطاع أن يوحد الصفوف تحت قيادته فى وقت قصير ، رغم تطاحن القوى وتصارعها سياسيًا وقبليًا ، وبذلك قلب موازين القوى فى المنطقة بتحويله الموقف لصالح الثورة العباسية(٣) ، وبدأ نفوذه يتسع خارج خراسان وفى أقاليم فارس ، وتخلص من كل العناصر التى كانت تنازعه السيادة(٤)، وكان يرفض أن يكون أحدًا وصيًا على تصرفاته ، فتجاهل تمامًا شيوخ ونقباء الدعوة معه فى خراسان ، والأغرب من ذلك أنه رفض الإذعان لأمر الخليفة العباسى حين وجه عمه عيس بن على سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠م واليًا على فارس ، وكان عليها محمد بن الأشعث فأراد محمد قتله فقيل له : إن هذا لا يسوغ لك فقال : بلى أمرنى أبو مسلم أن لا يقدم أحد على يدعى الولاية من غيره إلا ضربت عنقه ، ثم خلى سبيله(٥) ، فرجع عيس إلى الخليفة فأخبره ذلك فكظم

---

(١) فاروق عمر : العباسيون الأوائل حـ١ ص ٤٩ .

(٢) الطبرى : حـ٧ ص ٣٥٥ ، الذهبى : سير أعلام النبلاء حـ٥ ص ٣٥ .

، العانى : سياسة المنصور ص ١٦٢ .

(٣) العانى : سياسية المنصور ص ١٦٢ .

(٤) فان فلوتن : السايدة العربية ص ١٢٩

(٥) ابن الأثير : حـ٤ ص ٣٣٩ بيروت .

غيظه ، وأمر عمه بالمقام عنده فأقام[١] ، فكانت قرارات أبو مسلم تتصادم مع قرارات الخليفة ، ولذلك لم يعد الخليفة أبو العباس أو أبو جعفر يتحملان سلطته الواسعة[٢] .

ويبدو أن أبا العباس كان أعجز من أن يتخذ ضد أبى مسلم أى إجراء صارم ، أما المنصور فكان على عكس ذلك ، لأنه كان يرغب فى أن تكون سلطة الدولة ظاهرة فى جميع المناطق التى تسيطر عليها ، ويجب على الجميع بما فيهم الولاة احترام وتنفيذ القرارات الصادرة عنها ، وكل من يشذ عن هذه القاعدة يجب اتخاذ القرار المناسب تجاهه ، بغض النظر عما قدم من خدمات[٣] .

وزادت سياسة اللين أبى مسلم من غروره الذ دفعه إلى تعيين أبى الجهم عطيه جاسوسًا له فى بلاط العباس ، وكان الخليفة يعلم هذه الحقيقة ، لكنه تجاهلها خوفًا من اغضاب أبى مسلم الذى كان يرى فى غضبه خطرًا على كيان الدولة الجديدة[٤] .

كان المنصور على النقيض من سياسة أخيه الخليفة و لم يوافقه فى نظرته هذه فضلاً عن أنه لم يكن مرتاحا لوجود أبى الجهم فى البلاط بهذا الشكل ، واعتبر وجوده إهانة للبلاط بأسره ، وكان من حصيلة اختلاف وجهات النظر هذه بين الخليفة وأبى جعفر من جهة وأبى جعفر وأبى مسلم من جهة أن برزت المنافسة بين المنصور وأبى مسلم من أجل الزعامة والتصدى للأمور ، فكانت جميع تصرفات أبى مسلم لولى العهد منصبة على هذه الناحية ، ناسيًا أو متناسيًا ماللمنصور من مكانه سياسية مرموقة عند الخليفة ، وربما أثرت هذه المكانة على مستقبله السياسى ، ولكن يبدو أن أبا مسلم كان يسعى لازاحة المنصور عن طريقه،

---

(١) الدينورى الإخبار الطوال ص ٣٥٧ .

(٢) فاروق عمر : العباسيون الأوائل جـ١ ص ٥١ .

(٣) العانى : نفس المرجع ص ١٦٣ - ١٦٤ .

(٤) ابن الأثير : جـ٤ ص٣٣٨ .

لذا لم يعبأ لوجوده أو لمكانته ، يؤيد ذلك ما قاله وهو فى طريقه إلى العراق « إنى لأرجو أن يموت أبو العباس ، فاكون أقوى مما بعده ، ثم أغلب على الأمر ويكون لى شأن من الشأن ، فلا تبقى بلدًا إلا وطيته برجلى هاتين[1] .

لم تلبث هذه المنافسة أن ظهرت بصورة واضحة سنة ١٣٢ هـ/ ٧٥٠م حين أرسل الخليفة أخاه المنصور بصحبة الحجاج بن أرطاه الفقيه واسحق بن الفضل الهاشمى وغيرهم إلى خراسان لاستشارة أبى مسلم وأخذ رأيه فى انحراف أبى سلمة الخلال فلم يحتفل به ... »[2] .

ومما زاد الأمر سوءًا إقدام أبى مسلم على قتل سليمان بن كثير الخزاعى شيخ النقباء العباسيين حين وشى به أنه قال : « حفرنا نهرًا فجاء غيرنا فأجرى فيه الماء (يعنى أبا مسلم) فبلغ أبا مسلم قوله فاستوحش منه وشهد عليه بقوله : « اللهم سود وجه أبى مسلم كما سودت هذا العنقود »[3] .

وجرت هذه الحادثة أثناء وجود المنصور هناك ، فتجاهل أبو مسلم وجوده و لم يستشره فى هذا الأمر الخطير ، ونفذ الأمر فى سليمان دون الرجوع إلى رأيه ، واكتفى بأن كتب إلى الخليفة يعلمه بقتله لسليمن فلم يجيه على كتابه[4] ويظهر أن قتل سليمان كان سببه التنازع على السلطة التى أرد أن ينفرد بها أبو مسلم دون منافس[5] .

---

(١) انظر الدينورى : الأخبار الطوال ص ٣٥٦ .

(٢) البلاذرى : مخطوط أنساب الأشراف جـ٣ ص ٣٩ أ ، العينى : الخطوط عقد الجمان جـ٧ ص ١٥ وهذا يفسر لنا وضعه قوات فى الرى بلغ قوامها ثمانية آلاف مقاتل لتكون على أهبة الاستعداد عند استدعائها وأقبل فى ألف مقاتل .
، البلاذرى : نفسه ، الطبرى : جـ٧ ص ٤٤٨ .

(٣) اليعقوبى : تاريخه جـ٣ ص٩١ ، مخطوط أنساب الأشراف جـ٣ ص ٣٥ ب ، ٣٩أ ، الأخبار الطوال ص ٣٥٦ ، بيرس الجوادار : زبرة الفكرة جـ٤ ص ١٣٦ .

(٤) البلاذرى : أنساب الأشراف جـ٣ ص ٣٧ أ (مخطوط) ، عقد الجمان : جـ٧ ص ٣٠ أ ، العانى : سياسة المنصور ص ١٦٥ .

(٥) انظر مؤلف مجهول (من القرن ١١ م) تاريخ الخلفاء ص ٥٢٠ .

وهذه الحادثة وسابقتها أثارت فى نفس المنصور حقدًا شديدًا على أبى مسلم ، وشعور بالمرارة جعلته يقول لأخيه عند رجوعه من خراسان « لست بخليفة ولا أمرك بشىء إن لم تقتل أبا مسلم فقال أبو العباس : وكيف ذلك ؟ فقال : لا والله ما يعبأ بنا ، ولا صنع إلا ما يريد فقال له أبو العباس : اسكت واكتمها »([1]) .

لم يتخل المنصور عن سياسته تجاه أبى مسلم ، و لم يشأ أن يتركه يستمر فى غطرسته وجبروته ، وأخذ يلح على أخيه بضرورة التخلص منه ، وتحت وطأة هذا الإلحاح اقتنع الخليفة أخيرًا بوجهة نظر أخيه ودبر لاغتيال أبى مسلم سنة ١٣٥ هـ/٧٥٢م حين دس له سباع بن النعمان الأزدى ، فلما اتجه أبو مسلم للقضاء على تمرد زياد أخبره هذا بتفاصيل المؤامرة فقبض أبو مسلم على سباع الأزدى وقتله([2]) .

أما المحاولة الأخيرة لاغتيال أبى مسلم ، فقد جرت أحداثها فى الأنبار ستة ١٣٦هـ / ٧٥٣م حين كتب أبو مسلم إلى أبى العباس يستأذن فى الحج ، فكتب إليه أن الجهاد أفضل من الحج ، فكتب إليه أنه لا بد لى من الحج ، فإنى حججت وأنا تابع بغير مالى وعلى غير طهرى وفى نفسى من ذلك شىء ، فكتب إليه يامره بالمسير إليه فى ألف ويقول له: انما تسير فى سلطان أهلك وطريق مكة لا تحتمل العسكر،

---

(١) أنساب الأشراف حـ٣ ص ١٣٧أ .

(٢) الطبرى : حـ٧ ص ٤٥٠ ، بيرس الدوادار : مخطوط زبدة الفكرة حـ٤ ص ١٢٦ وفى رواية انه قال لأبى العباس : لست بخليفة مادام أبو مسلم حيا ، فاحتل لقتله قبل أن يفسد عليك أمرك ، فلقد رأيته وكان لا أحد فوقه ومثله لا يؤمن غدرة ونكثه فقال أبو العباس : وكيف يمكن ذلك ومعه أهل خراسان وقد أشرب قلوبهم حبه وإتباع أمره وايثار طاعته فقال له : فذاك والله أحرى أن لا تأمنه فاحتل له فقال أبو العباس : يا أخى اضرب عن هذا ولا تعلمن رأيك فى ذلك أحد » .

، الدينورى : الأخبار الطوال ص ٣٥٦ ، بن كثير : البداية والنهاية حـ١٠ ص ٩٨ .

فأما المال فلا تستكثر منه وعول علينا به ، فأقبل فى الرجـال ومعـه الأمـوال حتـى نزل الرى ، فخلف فيه ثمانية آلاف فارس وخلف الأموال وأتى الأنبار فى ألـف[١] ، واستخلف على خراسان خالد بن إبراهيم الذهلى[٢] أما الجهشيارى[٣] فذكـر أن « أبا الجهم بن عطية كان ينوب عن أبى مسلم بحضرة أبى العباس ويخلفه ، فلما ثقلت وطأة أبو مسلم على أبى العباس ، وكثر خلافه إياه ورده لأمره قال لأبـى الجهـم : اكتب إليه وأشر عليه بالاستئذان فى القدوم فكتب إليه أبو الجهم بذلك ... فكتب مستأذنًا فمنعه أبو العباس وقال له : خراسان لا تحتمل مفـارقتك لهـا وخروجـك عنهـا وتركه شهرًا ثم قال لأبى الجهم أعدله الكتاب يمثل ذلك ... وفى الثالثة أذن له » .

وفى نفس الوقت كان الخليفة قد كتب لأخيه المنصور وهو يومئـذ بـالجزيرة يقول له ، « إن أبا مسلم قـد استأذن فـى الحـج وهـو مغلـس ، فـأقدم حاجًـا[٤] فأسرع المنصور وقدم الأنبار فوصلها قبل وصول أبى مسلم إليها » .

وقد رأى المنصور أن هذه الفرصة مناسبة جدًا لاغتيال أبى مسلم فى الانبـار بعيدًا عن مركز قوته فى خراسان ، وزاد من تدهور الموقـف وتصعيـد روح الحقـد والكراهية فى نفس المنصور أن أبا مسلم لما دخل على أبـى العبـاس وسـلم عليـه ، تجاهل وجود أبى جعفر و لم يسلم عليه فنبهه الخليفة قائلاً : هـذا أبـو جعفـر أخـى فأجاب أبو مسلم : إن مجلس أمير المؤمنين لا تقضى فه الحقوق »[٥] .

---

(١) أنساب الأشراف جـ٣ ص ٣٩ أ ، الأخبار الطوال ص ٣٥٧ ، الطبرى : جـ٧ ص ٤٦٩ ، ابن الأثير : جـ٤ ص ٣٤٥ .

(٢) الذهبى : مخطوط سير إعلام النبلاء جـ٥ ص ٣٦ أ .

(٣) الزراء والكتاب ص ٩٣ - ٩٤ .

(٤) عقد الجمان (مخطوط) جـ٧ ص١٥٧ - العانى : سياسة المنصور ص ١٦٨ .

(٥) أنساب الأشراف جـ٣ ص ٣٧ أ ، اليعقوبى : تاريخه جـ٢ ص ٩١ .
، ابن قتيبة : عيون الأخبار جـ١ ص ١٧ .

ولا شك أنه كان لهذه الحادثة ردود فعل عنيفة في نفس المنصور ، ظهرت بوادرها واضحة على سلوكه وتصرفاته ، فأشار على أخيه بضرورة التخلص من أبي مسلم فقال له : يا أمير المؤمنين أطعني واقتل أبا مسلم ، فوا الله إن في رأسه لغدرة فأجابه الخليفة : يا أخي قد عرفت بلاءه ، وما كان منه فقال أبو جعفر : يا أمير المؤمنين إنما كان بدولتنا ، وا الله لو بعثت سنورًا لقام مقامه وبلغ ما بلغ في هذه لدولة ، فقال له أبو العباس : فكيف نقتله ؟ فقال له : إن دخل عليك وحادثته واقبل عليك فدخلت فتغفلته فضربته من خلفه ضربة أتيت بها على نفسه، فقال له أبو العباس : فكيف بأصحابه الذين يؤثرونه على دينهم ودنياهم ؟ قال : يؤول ذلك كله إلى ما تريد ، ولو علموا أنه قد قتل تفرقوا وذلوا قال : عزمت عليك إلا كففت عن هذا قال : أخاف وا الله إن لم تتغده اليوم يتعشاك غدًا قال : فدونكه أنت أعلم ...»(١) .

على أي حال فقد استمر أبو مسلم يتردد على مجلس الخليفة ، فلما قرب موسم الحج استأذنه في أن يكون أمير الموسم فقال أبو العباس : لولا أن أخي على الحج عام هذا لوليتك الموسم فأنك رجل منا أهل البيت ، فامتعض أبو مسلم من ذلك وقال : أما وجد أبو جعفر سنة يحج فيها إلا هذه السنة التي حججت فيها وأضطغنها أبو جعفر عليه(٢) .

لم يتوانى أبو العباس عند محاولة اغتيال أبي مسلم عدة مرات كان آخرها يوم أن مر أبو مسلم بمدينة الهاشمية يريد الحج سنة ١٣٦ هـ ، إلا أن الخليفة عدل عن رأيه في اللحظة الأخيرة رغم الحاح أخيه أبي جعفر على قتله .

---

(١) الطبري : جـ٧ ص٤٦٨ ، المقدسي : البدء والتاريخ جـ٦ ص٧٥ ، ابن الأثير : جـ٤ ص٣٤٦ .

(٢) أنساب الأشراف (مخطوط) جـ٣ ص ٣٩ أ ، الطبري : جـ٧ ص ٤٧٠ ، ص ٤٧٩ .

وفى طريق الحج كان موكب أبو مسلم يضاهى موكب أبى جعفر فى أبهته وعظمته وإسرافه[1] وفى طريق الرجوع حدث أن توفى الخليفة أبو العباس موصيا لأبى جعفر بالخلافة ، ولكن أبا مسلم لم يهتم بالخليفة الجديد[2] ، وقد راودت أبا جعفر فكرة قتل أبى مسلم قبل الوصول إلى العراق ، وبلغ من شدة غضبه أن استدعى عطية بن عبد الرحمن التغلبى ، وأعطاه كتابًا إلى أبى مسلم[3] يرد فيه على كتابه وأوصاه باغتيال أبى مسلم أثناء قراءته الكتاب ، فقال له اسحق بن مسلم : يا أمير المؤمنين إنه لا يؤمن أن ينبو سيفه فيقتل باطلاً ويكر العلج علينا ، وقال يزيد بن أسيد قول القطاعى :

قد يدرك المتأنى بعض حاجته   وقد يكون مع المستعجل الزلل

ثم أشار عليه قائلاً : إنى أكره أن تجامعه فى الطريق والناس جنده وهم له أطوع ، وله أهيب ، وليس معك أحد ، وقال له أبو أيوب كاتبه : آخر الأمر حتى

---

(١) كان أبو مسلم يتقدم أمام أبى جعفر غاديا وراجعًا خوفًا على نفسه ، وقام على تسهيل الطرق وحفر الآبار وكسوة الأعراب فى كل مكان ، فكان الصيت والذكر له دون الخليفة ابن الأثير : جـ٤ ص ٣٥٠ .
وأمر مناديًا الطريق : بريت الذمة من رحل أو قد نارًا فى معسكر الأمير ، فلم يزل يغذيهمويعيشهم حتى بلغ مكة وأوقف فى المسعى خمسمائة وصيف يسقون من سعى من الحجاج بين الصفا والمروة . ابن جابر الله مخطوط مختصر مرآة الجنان حوادث سنة ١٣٦هـ .

(٢) علم أبو مسلم بخبر وفاة أبى العباس أولاً لتقدمه فى المسير فكتب إلى أبى جعفر : عافاك الله وامتع أحرك ، أتانى خبر وفاة أمير المؤمنين رحمه الله ، فبلغ منى أعظم مبلغ وزادنى وجعًا وألمًا : فلما قرأ المنصور استشاط غضبًا لأن أبا مسلم بدأ الكتاب بنفسه أولاً ولم يهنئه بالخلافة ثانيًا . مخطوط أنساب الأشراف : نفسه .

(٣) جاء فيه : من عبد الله أمير المؤمنين إلى عبد الرحمن وصل كتابك فرأيتك غير موفق المرشد ولا مسدد الصواب ، ولكنى ذكرت ما تقدم من طاعتك فعطفت عليك وقد وليتك مقدمتى ، فسر على اسم الله وبركته حتى توافى الأنبار ، ومن أنكرت من أمره شيئًا من عمالنا فاصرفه والاستبدال به . أنساب الأشراف : نفسه .

نقدم إلى شيعتك وأهل بيتك ، فاقتنع المنصور بوجهه نظرهـم وأجـل الموضـوع إلى وقت أكثر ملائمة وأنفذ الكتاب مع شخص آخر[١] .

عدل أبو جعفر عن فكرة قتل أبى مسلم ، بعد أن استشار صحابته فى ذلـك ، لأنه كان إزاء خطر عمه عبد الله بن على فى الشام حيث كان أبو جعفر يتوقع أن يثور هذا العباسى الطموح ، وكذلك محمد ذى النفس الزكية فى الحجاز[٢] .

ورغم كثرة الروايات وتناقضها ، فيبدو أن أبـا مسـلم تـأخر فى إعطـاء البيعـة لأبى جعفر[٣] ، إلا أنه بعد أن بايعه أبدى استعداده للمساعدة تجاه الأخطار المحتمـل حدوثهـا[٤] وقد أمره الخليفة أبو جعفر بالإسراع إلى الكوفة والسيطرة عليها قبل حدوث الشغب[٥] .

ويظهر أبو مسلم فى الكوفة لأول مرة نواياه الخطـرة تجـاه المنصـور فيعـرض على ولى العهد عيسى بن موسى أن يتعاونًا سويًا لتنحية الخليفة وتنصيب عيـس خليفـه للمسلمين ، وقد أنكر عيس ذلك وحذره من مغبة هذه الخطة[٦] وفشل المشروع .

---

(١) البلاذرى : نفسه .

(٢) فاروق عمر : العباسيون الأوائل جـ١ ص ٥١ .

(٣) أرسل له البيعة بعد يومين ، وكان قصد أبو مسلم من ذلك إرهـاب أبى جعفـر بتأخيرهـا أنساب الأشراف : نفسه .

(٤) لما علم أبو مسلم باستخلاف المنصور كتب إليه : بسم الله الرحمن الرحيم أصلحك الله يا أمير المؤمنين صلاحًا ناميًا باقيًا ، بلغنى هذا الأمر الذى افظعني وأتانى به كتـاب عيـس بـن موس مع محمد بن الحصين إلا أنه سرى عنى الغم ولوعة المصيبة ما صار إليـك مـن الأمـر ، فنسأل الله أن يعظم أجرك ويحسن الخلافة عليك فيما ولاك وأن يبـارك لـك فيمـا قلدتـه ، اعلم إنه ليس لك يا أمير المؤمنين أشد تعظيمـا لحقـك وحرصًا على سيرتك منـى ، والله أسأل لك السلامة فى الدين والدنيا . البلاذرى : أنساب الأشراف جـ٣ ص ٣٩ أ . ، الطبرى : جـ٧ ص ٤٧٢ .

(٥) فاروق عمر : العباسيون الأوائل جـ١ ص ٥١ .

(٦) وقال له : الأمر لعمى ولو قدمنى أبو العباس لقدمته على نفسى : أنساب الأشراف : نفسه ، ابن اعثم الكوفى : مخطوط الفتوح جـ٢ ، العانى ص ١٧٣ .

ولا شك أن الظروف الى واجهت أبا جعفر كانت حرجة ، ولم يكن هناك مجال للقضاء على أبى مسلم ، فقد ثار عبد الله بن على[١] فى الشام وتمكن من السيطرة على حلب وقنسرين وديار ربيعة ومضر وسائر الشام[٢] وقضى أبو مسلم على حركته ، وكان إرسال أبو جعفر أبى مسلم لمواجهة عبد الله حركة بارعة ، ذلك لأن الخليفة سينتفع إذا قتل أى منهما ، ثم إن إرسال أبى مسلم إلى الشام ، حال دون رجوعه إلى خراسان مركز نفوذه وقوته ، كما وأن الخليفة لم يعط أبا مسلم القيادة الكاملة لكل القوات العباسية فى الشام ، بل أرسل كتائب أخرى بقيادة الحسن الطائى وصالح بن على العباس ، وكان هذان القائدان غير مرتبطين بأبى مسلم ، كما كانت لديهما الأوامر بمراقبة تحركات ونوايا أبى مسلم[٣] .

وبعد القضاء على ثورة عبد الله بن على وهروبه إلى البصرة[٤] عول أبو مسلم على الرحيل إلى خراسان ، لكن الخليفة عاجله بإرسال يقطين بن موسى يحصى غنائه وأمواله[٥] التى حصل عليها من عبد الله ، وقد أثار هذا العمل أبا

---

(١) يذكر بعض المورخين عن عبد الله أنه قال حين صمم على الثورة « وأن أبا العباس حين أراد أن يوجه الجنود إلى مروان بن محمد دعا بنى أبيه فأغراهم على المسير إليه فقال : من انتدب فيكم فسار إليه ، فهو ولى عهدى ، فلم ينتدب أحد غيرى ، فعلى هذا خرجت من عنده وقتلت من قتلت » . اليعقوبى : تريخه جـ٣ ص١٠٤ ، أنساب بالأشراف جـ٣ ص٣٠ أ ، الطبرى : جـ٧ ص٤٧٤ ، ابن اعثم : نفسه ، الأزدرى : تاريخ الموصل جـ٢ ص١٦٢ .

(٢) ابن العديم : زيدة الحلب جـ١ ص ٥٧ ، وانظر ياسين العرى (مخطوط) غاية المرام فى تاريخ محاسن بغداد ص ١٢٥ .

(٣) فاروق عمر : العباسيون الأوائل جـ١ ص٥١-٥٢ ، العانى : ساسية المنصور ص١٧٢-١٧٣ .

(٤) أنساب الأشراف (مخطوط) جـ٣ ص ٣١ أ . ، ابن أعثم الكوفى : مخطوط الفتوح جـ٢ ، العينى : عقد الجمان جـ٧ ص ٣٦٢ .

(٥) ابن قتيبة : عيون الأخبار جـ١ ص ٦ ، البسوى : المعرة والتاريخ جـ١ ص ٥٨ . ، مخطوط أنساب الأشراف جـ٣ ص ٤١ أ .

مسلم واعتبرها إهانة موجهة له فقال : « أمين على الدماء خائن فى الأموال »(١) ، ورفض هو وقواده تسليم الأموال على اعتبارها غنائم توزع على المقاتلة(٢) ، لكن الخليفة تصرف بحذر وذكاء فكتب إلى أبى مسلم الخراسانى يعلمه أنه لم يكن فى نيته أخذ الغنائم ، بل إنه تنازل عن حصة بيت المال ، وأنه سيرسل جوائز سنية إلى القواد بمناسبة الانتصار وطلب الخليفة من أبى مسلم مقابلته لأمر هام(٣) غير أن أبا مسلم كانت من الفطنة والدهاء ، بحيث لم يؤخذ بتلك الحيلة ، فعزم على الرحيل وكتب إلى الخليفة : « أنه لم يبق لأمير المؤمنين أكرمه الله أحد إلا ومكنه الله منه ، وقد كنا نروى عن ملوك آل ساسان بأن أخوف ما يكون الوزراء إذا سكنت الدهماء ، فنحن نافرون من قربك ، حريصون على الوفاء بعهدك ما وفيت ، حريون بالسمع والطاعة ، وغير أنها من بعيد تقارنها السلامة فإن أرضاك ذلك فإنا كأحسن عبيدك ، فإن أبيت إلا أن تعطى نفسك إرادتها نقضت ما ابرمت من عهدك ضنا بنفسى »(٤) فأجابه الخليفة : قد فهمت كتابك ، وليس صفتك صفة أولئك الوزراء الغششة ملوكهم الذين يتمنون اضطراب حبل الدولة لكثرة جرائمهم ، فإنما راحتهم فى انتشار نظام الجماعة ،

---

(١) البسوى : جـ١ ص١١٩ ، أنساب الأشراف جـ٣ ص٤١ أ ، العقوبى : تاريخه جـ٣ ص١٠٦ .

(٢) لما رأى يقطين ثورة أبى مسلم وغضبه أراد أن يهدىء من نفسه فقال له « إن أمير المؤمنين ما وجهنى إليك إلا مهنئًا بالفتح » وقد عجلت أيها الأمير ، إنما أمرنى أن أحصى ما وجدت بعسكر عبد الله ثم أسلمه إليك لتعمل فيه برأيك وتصنع ما أردت » ابن قتيبة : عيون الأخبار جـ٢ ص٢٦ ، البلاذرى : نفسه ، اليعقوبى : نفسه . ، المسعودى : مروج الذهب جـ٣ ص٣٠٢ .

(٣) كتب الخليفة إلى أبى مسلم أبى أردت مذاكرتك فى أشياء لم يحتملها الكتاب فأقبل فإن مقامك قلبى » ، الدينورى : الأخبار الطوال ص ٢٥٩ ، المسعودى : نفسه .

(٤) الطبرى : جـ٧ ص ٤٨٣ ، الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ١١ ، الأزدى : تاريخ الموصل جـ٢ ص ١٦٥ ، مخطوط زبدة الفكرة جـ٤ سنة ١٣٧ هـ .

فلم سويت نفسك بهم وأنت فى طاعتك ومناصحتك واضطلاعك بما حملت من أعباء هذا الأمر على ما أنت به وليس من الشريطة التى أوجبت منك سمع ولا طاعة ، وحمل إليك أمير المؤمنين عيس بن موسى رسالة لتسكن إليها أن اصغيت إليها وأسأل الله أن يحول بين الشيطان ونزغاته وبينك[١] فإنه لم يجد بابا يفسد به نيتك أوكد عند - وأقرب من طبه (سحره) من الباب الذى فتحه عليك »[٢] وأرسل أبو جعفر الرسالة مع كبار رجال البلاط وبعض الهاشميين الذين طلبوا منه أن يقدم إلى الخليفة حيث ولاه الشام ومصر ، فاجاب أبو مسلم : « هو يولينى الشام وخراسان »[٣] و لم يكن مقتنعًا بنوايا المنصور ، ولذلك استمر فى سفرته إلى خراسان[٤] .

إن هذه اللحظة الحاسمة من العلاقات بين الخليفة وأبى مسلم شهدت سلسلة جديدة من المناورات السياسية التى تضمنتها الرسائل المتبادلة بين أبى مسلم والخليفة ، على أن ما يلفت النظر فى هذه الرسائل هى تلك التى أرسلها أبو مسلم لغرابتها فى الألفاظ والنص ورغم قوة اسنادها ، فإن طبيعة متنها يجعلنا نشك فى صحتها ، ذلك لأن أبا مسلم يهاجم فى هذه الرسالة إبراهيم الإمام ويصفه بالتطرف ، وأنه حرف القرآن طمعًا فى الدنيا ومكاسبها ، وأنه أباح له القتل بالشك من أجل انجاح الدعوة والتخلص من الخصوم وتثبيت سلطان العباسيين وطمس حق العلويين[٥] ونص هذه الرسالة

---

(١) الطبرى : حـ٧ ص ٤٨٢ - ٤٨٤ ، المقدس : البدء والتاريخ حـ٦ ص ٧٨ .

(٢) مخطوط أنساب الأشراف حـ٣ ص ٤١ أ ، الطبرى : حـ٧ ص ٤٨٢ - ٤٨٤ .

(٣) كتب الخليفة إلى أبى مسلم : إنى قد وليتك الشام ومصر فهما أفضل من خراسان ، فوجه إلى مصر من أحببت وأقدم بالشام فتكون بقرب أمير المؤمنين فإن أحب لقاءك أتيته قريب : البلاذرى : أنساب الأشرا حـ٣ ص ٤١ أ ، الطبرى : حـ٧ ص ٤٨٣ ، ابن الأثير : حـ٤ ص ٣٥٠ - ٣٥٩ .

(٤) الطبرى : حـ٧ ص ٤٨٣ - ٤٨٤ ، ابن الأثير حـ٤ ص ٣٥١ - ٣٥٢ .

(٥) الطبرى : نفسه ، فاروق عمر : العباسيون الأوائل حـ١ ص ٥٢ - ٥٣ .

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الرحمن بن مسلم إلى عبد الله بن محمد : أما بعد فإنى اتخذت أخاك أمامًا - يقصد إبراهيم الإمام - وكان فى قرابته برسول الله ﷺ ومحله من العلم على ما كان ثم استخف بالقرآن وحرفه طمعًا فى قليل من الدنيا ، قد نعاه الله لأهله ، ومثلت له ضلالته على صورة العذاب . فامرنى أن أجرد السيف ، وأخذ بالظنة ، ولا أقبل معذرة ، وأن أسقم البرئ وأبرئ السقيم ، وأثر أهل الدين فى دينهم ، وأوطانى فى غوركم من أهل بيتكم الغشوة بالإفك والعدوان ، ثم إن الله بحمده ونعمته استنقذنى بالثورة وكره لى الجور ، فإن يعف فقديما عرف ذلك منه ، وأن يعاقب فبذنوبى ، وما الله بظلام للعبيد »(١) .

أنه لمن الصعب تصور أبى مسلم وهو يكتب مثل هذه الرسالة ، ثم يسمح لنفسه بعدها بمقابلة الخليفة ، ولكن إذا كانت هذه الرسالة صحيحة فهى تظهر أبى مسلم فى حالة نفسية وعصبية لا يحسد عليها ، حيث شعر بأن كرمته قد جرحت بعدم تقييم الخليفة لموقفه أثناء الثورة وقضائه على أعداء الدولة وآخرهم عبد الله ابن على ، خاصة وأن أبا مسلم كان معتزا بنفسه وبأعماله فى سبيل الدعوة ، لذلك اندفع إلى كتابة هذه الرسالة ، وهو فى حالة شديدة من الغضب ، ولكن الخليفة ظل رابط الجأش مسيطرة على أعصابه حذرًا فى اتخاذ الموقف لئلا يجعل أبا مسلم يفلت من قبضته(٢) .

وأرسل المنصور إلى ابى مسلم كتابًا مع ابى حميد المروزى وأوصاه قائلاً : كلم أبا مسلم بألين ما تكلم به أحد ومنه ، وأعلمه أنى رافعه وصانع ما لم يصنعه

---

(١) مخطوط : أنساب الأشراف جـ٣ ص ١٤١ ، الطبرى : جـ٧ ص ٤٨٣ - ٤٨٤ ، ابن أعثم : مخطوط الفتوح جـ٢ ، الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ١٠ ص ٢٠٨ .

(٢) البلاذرى : مخطوط أنساب الأشراف جـ٣ ص ١٤١ .

أحد ، إن هو صلح وراجع ما أحب ، فإن أبى أن يرجع فقل له : يقول لك أمير المؤمنين : لست للعباس وأنا برئ من محمد ، أن مضيت مشاقًا ولم تأتنى ، أن وكلت أمرك إلى أحد سواى ، وإن لم آل طلبك وقتالك بنفسى ، ولو خضت البحر لخضته ، ولو اقتحمت النار لاقتحمتها ، حتى أقتلك أو أموت قبل ذلك ؛ ولا تقولن له هذا الكلام حتى تأيس من رجوعه ولا تطمع منه فى خير »(١) .

وعلى أثر وصوله أبى حميد والوفد المرافق له تغير الموقف لصالح الخليفة ، فحين دخل عليه ، وهو لا يزال بحلوان ، دفع إليه كتاب المنصور وقال له : أن الناس يبلغونك عن أمير المؤمنين ما لم يقله ، وخلاف ما عليه رأيه فيك حسدًا وبغيًا ، يريدون إزالة النعمة وتغييرها ، فلا تفسد ما كان منك ، وأنك لم تزل أمين آل محمد يعرفك الناس ، وما ذخر الخليفة لك من الأجر عنده فى ذلك أعظم مما أنت فيه من دنياك ، فلا تحبط أجرك ، ولا يستهوينك الشيطان ، فقال له ابو مسلم : متى كنت تكلمنى بهذا الكلام ؟ قال : أنت دعوتنا إلى هذا وإلى طاعة أهل بيت النبى ﷺ ، أمرتنا بقتال من خالف ذلك ، فدعوتنا من ارضين متفرقة ، واسباب مختلفة ، فجمعنا الله على طاعتهم ، وألف بين قلوبنا بمحبتهم وأعزنا بنصرنا لهم ، ولم نلق منهم رجلاً إلا بما قذف الله فى قلوبنا ، حتى أتيناهم فى بلادهم ببصائر نافذة وطاعة خالصة ، أفتريد حين بلغنا غاية منانا ومنتهى أملنا أن تفسد أمرنا وتفرق كلمتنا ، وقد قلت لنا : من خالفكم فاقتلوه ، وأن خالفتكم فاقتلونى ؛ فالتفت أبو مسلم إلى ابى نصر مالك بن الهيثم الخزاعى ، فقال له : يا مالك أما تسمع ما يقول هذا ، ما هذا بكلامه يا مالك ؟ فقال مالك : لا تسمع كلامه ، ولا يهولنك هذا منه ، فلعمرى لقد صدقت ما هذا كلامه ، ولما بعد هذا

---

(١) الطبرى : نفسه ، ابن الأثير : نفسه .

أشد منه ، فأمض لأمرك ولا ترجع فوا الله لئن أتيته ليقتلنك ، وقد وقع فى نفسه منك شىء لا يأمنك أبدًا فقال : أبو مسلم : قوموا فنهضوا وأرسل إلى نيزك وقال له : يا نيزك أنى وا الله ما رأيت طويلاً أعقل منك ، فما ترى ، فقد جاءت هذه الكتب وقد قال القوم ما قالوا ؟ قال : لا أرى أن تأتيه ، وارى أن تأتى الرى تقيم بها ، فيصير ما بين خراسان والرى لك وهم جندك وما يخالفك أحد فإن استقام لك استقمت له ، وأن ابى كنت فى جندك ، وكانت خراسان من ورائك ورأيت . رأيك . فدعا أبا حميد فقال : ارجع إلى صاحبك فليس من رأيى أن آتيه قال : قد عزمت على خلافه : قال : نعم قال : لا تفعل . قال : ما أريد أن ألقاه فلما أيسه من الرجوع قال له ما أمره به أبو جعفر فوجم طويلا ثم قال : قم ، فكسره ذلك القول ورعبه[1] .

وقد استطاع أبو جعفر المنصور فى نهاية المطاف باستغلاله بعض أصحاب أبى مسلم أمثال عيسى بن موسى ، وجرير بن يزيد البجلى أن يقنع أبا مسلم بضرورة مقابلة الخليفة ، وقد تمكن جرير البجلى . وكان أوحد زمانه فى المكر والخداع والدهاء أن يخدعه بكلامه وسحره[2] ، حين قال له : أيها الأمير ، ضربت الناس عن عرض لأهل هذا البيت ، ثم تتصرف على هذه الحالة ، ما أمن أن يعييك من هنالك ومن ههنا ، وأن يقال طلب بثأر قوم ثم نقض بيعتهم ، فيخالفك من تأمن مخالفته أياك ، وأن الأمر لم يبلغ عن خليفتك ما تكره ، ولا أرى أن تتصرف على هذه الحال ، وساعده عيسى بن موسى ، حتى أنه ضمن له الوفاء من المنصور[3] .

---

(١) الطبرى : جـ٧ ص٤٨٤ - ٤٨٥ ، ابن الأثير : جـ٤ ص ٣٥١ - ٣٥٢ .

(٢) المقدسى : البدء والتاريخ جـ٦ ص٧٩ .

(٣) البلاذرى : (مخطوط) أنساب الإشراف جـ٣ ص ١٤١ .

ولم يجد أبو مسلم طريقًا آخر إلا الطريق الذى يوصله إلى الخليفة خاصة بعد أن سد أبو جعفر فى وجهه طريق خراسان بتعينه واليًا جديدًا لها هو أبو داود خالد بن إبراهيم الذهلى[1] ، الذى أرسل رسالة[2] إلى أبى مسلم يعلمه فيها بان الطاعة خير من المعصية ، ويحذره من العودة إلى خراسان دون موافقة الخليفة ، فاستدعى أبو مسلم أبا أسحق المروزى ، وكان ممن يثق بهم فشاوره فى الأمر وقال له : « ... وهذه سيوف أبى جعفر من خلفنا ، وقد أنكرت من كنت أثق من أمر أمرائى فقال أبو اسحق : أيها الأمير هذا رجل يضطغن عليك أمورًا متقدمة ، فلو كنت إذ ذاك هداك رأيك ووليت رجلاً من آل على بن أبى طالب كان أقرب ، ولو أنك قبلت توليته إياك .. الشام والصائفة مدت بك الأيام وكنت فى فسحة من أمرك فوجهت إلى المدينة ، فاختلست علويا فنصبته أمامًا ، فاستملت به أهل خراسان وأهل العراق ورميت أبا جعفر بنظيره ، فكنت على طريق تدبير ، أتطمع أن تحاسب أبا جعفر وأنت بحلوان وعساكره بحلوان ، وعساكره بالمدائن وهو خليفة مجمع عليه ... لكن بقى لك أن تكتب إلى قوادك ... قال : هذا راى إن وافقنا عليه قوادنا ، قال : فما دعاك إلى خلع أبى جعفر وأنت على غير ثقة من قوادك ... أرى أن توجه بى إليه حتى اساله لك الأمان ، فأما صفح وأما قتل على عز ، قبل أن ترى المذلة من عسكرك ، أما قتلوك وأما سلموك[3] .

---

(١) صديق أبى مسلم ونائبه على خراسان .

(٢) يقول فيها « إنا لم نخرج لمعصية الله وأهل بيت نبيه ﷺ » . الطبرى : جـ٧ ص٤٨٦ .
، الذهبى : سير أعلام النبلاء (المخطوط) جـ٥ ص ٣٩ .
، العان : ص ١٨١ – ص ١٨٢ .

(٣) الذهبى : (مخطوط) سير أعلام النبلاء جـ٥ ص ٣٩ .

رأى أبو مسلم أن يبعث بأبى اسحق إلى مقر الخليفة ليطلع على شعور المنصور والقواد نحوه(١) ، فلما علم الخليفة بإرسال أبى اسحق إليه أمر أفراد البيت الهاشمى بتلقيه وإكرامه واستقبله بالحفارة والتعظيم ، وتمكن من استمالته إلى جانبه ووعده بولاية خراسان قائلاً له : أصرفه عن وجهه ولك ولاية خراسان(٢) ، فرجع أبو اسحق إلى أبى مسلم وقال له : ما أنكرت شيئًا رأيتهم معظمين لحقك يرون لك ما يرون لأنفسهم وأشار عليه أن يرجع للخليفة فيعتذر إليه عما كان منه، وهكذا كان لابد لأبى مسلم أن يقابل الخليفة ، فقد نجح المنصور نجاحًا باهرًا فى كسب واستمالة أصحاب أبى مسلم المقربين إلى صفه ، فاقنع هؤلاء أبا مسلم أما بطريق التهديد ، أو الترغيب مقابلة الخليفة ، فاستجاب أبو مسلم أخيرًا وقرر السفر إلى المدائن لمقابلة المنصور ، رغم تحذير مستشاره نيزك بعدم الذهاب ، فلما أعياه ذلك قال له : أما إذا اعتزمت على هذا فخار الله لك ، واحفظ واحدة ، إذا دخلت على المنصور فأقتله ، ثم بايع لمن شئت فإن الناس لا يخالفونك(٣) .

وكتب أبو مسلم إلى الخليفة يخبره بأنه منصرف إليه واستدعى أبا نصر مالك ابن الهيثم فاستخلفه على عسكره وأمواله ، وأمره بالمكوث فى حلوان وقال له : أقم حتى ياتيك كتابى ، فإن أتاك مختومًا بنصف خاتم فانا الذى كتبته ، وأن أتاك بالخاتم كله ، فلم أكتبه ولم أختمه ، وصحب معه نحو ثلاثة آلاف فارس بأسلحتهم وتوجه إلى المدائن(٤) .

---

(١) الطبرى : جـ٧ ص٤٨٦ .

(٢) الطبرى : نفسه ، الذهبى : جـ٥ ص ٣٩ .

(٣) الطبرى : جـ٧ ص ٤٨٦ .

(٤) نفس المصدر : ص ٤٨٩ ، ابن الأثير : جـ٤ ص ٣٥٣ .

ويذكر الطبرى فى نفس الصفحة أنه لما دنا أبو مسلم من المدائن تلقاه رجل من قواده ، فسلم عليه وقال له : إطعنى وارجع فأنه أن عاينك (يقصد المنصور) قتلك فقال له أبو مسلم : قد قربت من القوم فاكره أن ارجع .

ولما وصل كتاب أبى مسلم إلى المنصور استعد هو الآخرللمواجهة الشاقة، والحرجة ، فرتب أموره ، وأخذ يستطلع آراء المقربين له ، ليتعرف على رأيهم في قتل أبى مسلم ، فدعا أبا اسحق بن مسلم العقيلى ، وشاوره فى قتل أبى مسلم ، فأشار عليه بأن يفعل ذلك(١) ، واستشار يزيد بن أسيد الذى أكد ضرورة التخلص منه حفاظًا على سلامة الدولة(٢) ، وشاور مسلم بن قتيبة فى الموضوع فقال له : ما ترى فى قتل أبى مسلم ؟ فقال مسلم : لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا : « فقال المنصور : حسبك يا أبا أمية ، لقد أودعتها أذنًا واعية »(٣) .

وإزاء القوات التى كان أبو مسلم يصطحبها معه فكان لابد للمنصور من إجراءات أمن مشددة ، وفى نفس الوقت أراد أن يبعث الأمن والطمأنينة فى قلب أبى مسلم ، فقبل الاقتراح الذى تقدم به وزيره أبو أيوب المورياني لتحقيق هذه الفرصة ، فأخبره بأنه اتفق مع مسلمة بن سعيد بن جابر ، ووعده بولاية كسكر وأطمعه فى إحسان كبير على أن يأتى أبا مسلم ويعرفه أن أبا جعفر قد عزم أن يوليه ما وراء بابه ، ويستريح ويريح نفسه وأن يسأل أبا مسلم أن يوليه تلك البلد، كما أن الخليفة قابل سلمة قبل سفره لهذه المهمة فقال له : أفتحب أن تلقى أبا مسلم ؟ قال : نعم فقال المنصور له : قد أذنت فأقرئه السلام ، واعلمه بشوقنا إليه، فخرج سلمة فلقيه فقال ، أمير المؤمنين ؟ أحسن الناس فيك رأيا فطابت نفسه، واعتقد أن ذلك هو الحق ، فقصر فى التحرز والتأهب

---

(١) انظر الجاحظ : البيان والتبين حـ٣ ص ٣٦٧ - ٣٦٨ العانى ص١٨٣ .

(٢)انظر الزبير بن بكار : الأخبار الموفقيات ص ١٣٩ .

(٣) انظر ابن قتيبة : عيون الأخبار حـ١ ص ٢٦ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد حـ١ ص ٨٠ .
، المسعودى : مروج الذهب حـ٣ ص ١٠٣ .

واسترسل(١) ، وقد رأى المنصور استكمالاً لنجاح خطته أن يأمر الناس بالترحيب به ، فكان لا يمر بمكان إلا واستقبلوه بالبر والإحسان والإكرام(٢)، فلما دنا من المدائن، بعث لاستقباله ولى عهده عيسى بن موسى ، زيادة فى الحفاوة به ، ولإدخال الطمأنينة فى قلبه ، خاصة وأن عيسى كان شديد التعظيم لأبى مسلم ، وهذا كان يقدره ويحبه(٣) ، لذلك قال له عيس حين قابله : « لو خير المنصور بين موت ابنه وموتك لاختار موت ابنه ، فإنه لا يجد خير منك خلقًا »(٤) ، وذهب لأكثر من هذا حين ضمن له الوفاء من المنصور(٥) ، وهو لا يعلم بالخطة التى بيتها المنصور .

لقد كانت المقابلة الأولى(٦) بين الخليفة وأبى مسلم ودية ، إذ استقبل أبا مسلم بالحفاوة والتعظيم حين دخل عليه فى مجلسه فبادره أبو مسلم وقبل يده وقام

---

(١) الطبرى : حـ٧ ص ٤٨٧ ، الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ١١٢ .
، العينى : عقد الجمان حـ٧ ص١٦٢ .
، وكسكر : كورة واسعة قصبتها واسط .
(٢) ابن أعثم الطوفى : مخطوط الفتوح حـ٢ .
(٣) البلاذرى : (مخطوط) أنساب الإشراف حـ٣ ص ١٤١ .
، الطبرى : ج٧ ص٤٨٩ .
(٤) المقدس : البدء والتاريخ حـ٧ ص ١٦٢ .
، العينى : عقد الجمان ، حـ٧ ص ١٦٤ .
(٥) المقدس : البدء والتاريخ حـ٧ ص ١٦٢ .
، العينى : عقد الجمان ، حـ٧ ص ١٦٤ .
(٦) أشار أبو أيوب الموريانى على الخليفة بأن لا يتعجل فى مقتل أبى مسلم يوم وصوله معللا ذلك بقوله : انشدك الله ، أنه يدخل معه الناس وقد علموا ما صنع ، فإنه دخل عليك و لم يخرج لم آمن البلاد ، ولكن إذا دخل عليك فأذن له أن ينصرف فإذا غدا عليك رأيت رأيك .
، الطبرى : حـ٧ ص ٤٨٧ .
، العينى : عقد الجمان ، حـ٧ ص ١٦٤ .

قائمًا بين يديه[١] ، فقال له الخليفة : كدت أن تمضى قبل أن أفضى إليك ما أريد ، قال : لقد أتيت يا أمير المؤمنين فأمر بأمرك[٢] ، فأمره بالانصراف وراحة نفسه من عناء ومشقة السفر ، فخرج وخرج الناس .

وفى المقابلة الثانية كان الخليفة قد هيأ رئيس الحرس عثمان بن نهيك مع جماعة[٣] من الحرس لقتل أبى مسلم بعد أن يأمرهم[٤] بذلك وزيادة فى احتياطات الأمن ، أمر المنصور حاجبه أن يأخذ سيف أبى مسلم إذا دخل عليه ليأمن شره[٥] .

ولا شك أن ابا مسلم خالجه إحساس أن وراء استدعاء المنصور أمرًا فأفضى بمخاوفه إلى عيسى بن موسى قائلاً : اركب معى إلى أمير المؤمنين ، فقد أحسست بالشر ، ولما كان عيسى يجهل نية المنصور فأنه قال له : أنت فى ذمتى فتقدم فإنى

---

(١) أنساب الإشراف (مخطوط) حـ٣ ص ١٤١ .
، ابن الأثير : حـ٤ ص ٣٥٤ بيروت ، الفخرى ص ١٣٥ .

(٢) اليعقوبى : تاريخه حـ٣ ص١٠٧ ، المسعودى : مروج الذهب حـ٣ ص٢٠٣ .

(٣) فيهم شبيب بن واج المرزوى ، وابن بنته على بن أحمد بن بسطام ، وأبو حنيفة حرب بن قيس ، ابن الأثير : حـ٤ ص ٣٥٤ .

(٤) البلاذرى : أنساب الإشراف (مخطوط) حـ١ ص١٤١ ; حـ٣ ص ١٠٧ .
، الطبرى : حـ٧ ص٤٨٨ ، المسعودى : مروج الذهب حـ٣ ص ٢٠٣ .
وكانت الإشارة المتفق عليها أثناء معاتبته لأبى مسلم أن يصفق المنصور فيخرجوا من وراء ستر خلف أبى مسلم فيقتلوه . المصادر السابقة - والخطيب البغدادى : تاريخ بغداد حـ١٠ ص ٢٠٩ ، العانى : ص١٨٦ .

(٥) الدينوى : الأخبار الطوال ص٣٦٠ ، تاريخ الموصل : حـ٢ ص ١٦٥ .

لاحقك ، فلا تعجل بالدخول حتى أدخل معك[1] ، فأقبل أبو مسلم واستأذن بالدخول إلى الخيفة ، فاخبروه بانه يتوضأ ، وطلبوا منه أن يجلس برهة حتى ينتهى المنصور من وضوئه ، وأبطأ عليه عيسى بن موسى ، وجاء الأذن من المنصور بالسماح له بالخلو . فلما قام ليدخل أدخله سلام الحاجب فى دهليز وحده دون جماعته[2] ، ثم طلب نه أن ينزع سيفه ، ونزع سيفه متغربًا بعد أن ألح عليه السلام الحاجب فقال أبو مسلم : الآن عرف الدامى موضع سهمه »[3].

أما ما حدث فى المقابلة الأخيرة ، فيختلف فيه المؤرخون ، ونود أن نشير إلى أن المصادر تزخر بالروايات الموضوعة ، وذلك لأن المؤرخين حاروا فى تفسير سبب مقتل أبى مسلم ، ووضعوا تفسيرات متنوعة من نسج خيالهم ، ثم أن حب الرواة العرب لعنصر الإثارة جعلهم يضعون كثيرًا من الزركشة على الحوادث ، وكانت بعض الوقائع التى اشار إليها المؤرخون حول المقابلة تستند مثلاً إلى أحداث وقعت فى السابق وسببت غضب الخليفة على أبى مسلم ، ولكن لا نستطيع الجزم أنها كانت سببًا مباشرًا قتله كما يزعم هؤلاء[4] .

---

(١) أنساب : الإشراف حـ٣ ص ٤١ ب ، الطبرى : حـ٧ ص ٤٨٩ .
، المسعودى : مروج الذهب حـ٣ ص٢٠٣ ، وانظر الجاحظ : التاج فى أخلاق الملوك ص ٨٣ مطبعة السعادة ١٩٠٦م .

(٢) اليعقوبى : تاريخه حـ٣ ص ١٠٧ ، العانى : ص ١٨٦ .

(٣) أنساب الإشراف (مخطوط) حـ٣ ص ١٤١ ، الطبرى : حـ٧ ص ٤٩١ .
، عقد الجمان حـ٨ ص ١٦٤ والمثل يقال لمن أمكن عدوه من نفسه .

(٤) فاروق عمر : العباسيون الأوائل حـ١ ص ٥٤ .

أن العداوة بين أبى جعفر وأبى مسلم ترجع إلى أيام أبى العباس ، فقد أشار أبو جعفر على الخليفة بقتل أبى مسلم عدة مرات ، والواقع أن خليفة مثل المنصور لم يكن يحتمل واليًا قويًا مثل أبى مسلم([1]) .

وقد يكون من المستحسن أن نعطى صورة صورها لنا المؤرخون عن طبيعة القمابلة والاتهامات التى وجهت إلى ابى مسلم :

١ - لقد عاتب الخليفة أبا مسلم لعدم تحيته وسلامه عليه حينما زار الأخير البلاط فى عهد أبى العباس([2]) .

٢ - ذكر الخليفة أبا مسلم بتحريض عيسى بن موسى على التمرد ضده فى الكوفة([3]) .

٣ - عاتبه على تقدمه إياه فى الحج([4]) .

٤ - وبخه لأنه قدم اسمه فى بعض المراسلات([5]) .

٥ - انبه لأنه ناداه باسمه لا بكنيته فى بعض المناسبات([6]) .

---

(١) العانى سياسة المنصور ص ١٨٨ .

(٢) ابن قتيبة : عيون الأخبار حـ١ ص ١٧ ، البلاذرى : أنساب الإشراف حـ٣ ص ١٣٧ اليعقوبى : حـ٣ ص ٧١ ، العقد الفريد : حـ١ ص ١٧ .

(٣) البلاذرى : إنساب الإشراف حـ٣ ص ١٢٩ ، أبن أعثم : مخطوط الفتوح حـ٢ ابن الأثير : حـ٤ ص ٣٥٠ .

(٤) أنساب الإشراف حـ٢ ص ٢٩ أ ورد عليه أبو مسلم : كرهت احتماعنا على الماء فيضر ذلك الناس ، ابن الأثير : حـ٤ ص ٣٥٤ .

(٥) أنساب الإشراف حـ٣ ص ٣٩أ . ابن الأثير : حـ ٤ ص٣٥٤ .

(٦) رد عليه أبو مسلم قائلاً : أن وحدت الله يقول : محمد رسول الله ﷺ فى حق نبيه وقال فى حق عدوه : تبت يدا أبى لهب ، فسمى نبيه وكنى عدوه . ، البلاذرى : أنساب الإشراف حـ٢ ص ٣٥٤ب .

٦ - تهجم عليه لأنه ادعى النسب العباسي من نسل سليط بن عبد الله العباس(١).

٧ - وبخه لأنه خطب امرأة عباسية(٢) .

٨ - عاتبه لأنه تأخر عليه في البيعة بعد سماعه بوفاة أبي العباس(٣) .

٩ - ذكره بالغنائم التي حصل عليها بعد قضائه على عبد الله بن على بن العباس في الشام وخاصة مخلفات عبد الله العباس نفسه(٤) .

١٠ - قتله سليمان بن كثير الخزاعي رئيس النقباء في خراسان ، وهو من الشخصيات ذات المكانة المرموقة من الدعوة العباسية دون الرجوع إلى الخليفة أو إلى ولى العهد الموجوده آنذاك في خراسان ، والذى اعتبره المنصور تحديًا للدولة بأسرها ، وإهانة لهيبة الخلافة وله كولى للعهد(٥) . وقتله كذلك أفلح ابن مالك الفزارى أحد الشيوخ الموالين للدولة العباسية . وأجاب أبو مسلم بأنه شك في سليمان بن كثير وقتله استنادا على السلطة المخولة إليه من إبراهيم الإمام .

١١ - وأخيرًا واجهه الخليفة بالسؤال المحرج . لماذا قررت المسير إلى خراسان بدون استئذان بذلك .

---

(١) الطبرى : جـ٧ ص ٤٩١ ، ابن الأثير : جـ٤ ص ٣٥٤ بيروت .

(٢) قائلاً : «وخطبتك أمينة بنت على» الطبرى : جـ٧ ص٤٩١ ، ابن الأثير جـ٤ ص ٣٥٤.

(٣) البلاذرى : مخطوط أنساب الإشراف جـ٣ ص ٣٩ أ .

(٤) العينى : مخطوط عقد الجمان جـ٧ ص ١٦٤ .

(٥) الطبرى : جـ ٧ ص ٤٩١ / ابن الأثير : جـ٤ ص ٣٥٤ .

، ابن كثير : الدباية والنهاية جـ ١٠ ص٧٠ .

ولم يكن لأبى مسلم من جواب إلا أن يذكر المنصور بخدماته فى سبيل الدعوة فأجابه الخليفة بأن العباسين بمالهم من مكانة وكفاءة هم الذين أوصلوا الدعوة إلى النجاح ، وليس لأبى مسلم شىء فإنهم لو أرسلوا مكانه أمة إلى خراسان لقامت بمثل ما قام به أبو مسلم(١) .

لقد ذكر المؤرخين كل هذه التهم ، لكن يبدو أن القليل منها كان موضع مناقشة فى المقابلة الأخيرة ، ولو أن معظمها كان صحيحًا من الناحية التاريخية ، وربما كان من العوامل المساعدة التى البت الخليفة على أبى مسلم ، ولكن قتل أبى مسلم جاء بسبب تعاظم نفوذه بعد نجاح الثورة فى خراسان والأقاليم الشرقية وحتى فى البلاط العباسى حيث كان له جواسيس مثل أبى الجهم بن عطية الباهلى، ولذلك قال الخليفة له قبل قتله : ولقد أرتقيت مرتقا صعبًا(٢) ووصفه قائلا .

لقـــد اكتنفتـــك خلال ثلاث   جلـــبن عليك محذور الحمـــام

خلافك [illegible]ـك ترتمينـــى   وقـودك الجماهـــير العظـــام

وقتل أبو مسلم فى نهاية المقابلة وقال للخليفة قبل قتله : «استبقنى لعدوك» فقال له الخليفة : وأى عدو أعدى لى منك ، ألست الذى بايعتنا على أن من خرج علينا قتلته ، وأنت خرجت علينا فحكمنا عليك حكمك فى غيرك»(٣) .

---

(١) فاروق عمر : العباسيون الأوائل جـ١ ص ٥٥ .

(٢) البلاذرى : (مخطوط) أنساب الإشراف جـ١ ص ٤١ ب .

، العانى سياسة المنصور ص ٥٢١ .

(٣) العينى (مخطوط) عقد الجمان جـ٧ ص ١٦٤ .

ومن الجدير بالذكر أنه بعد قتل أبى مسلم أتهم بأنه كان ذا ميـول علوية ، أو أنه ينادى بآراء متطرفة بعيدة عن الإسلام ، وأنه كان زنديقـا ، وهـى اتهامـات ليس لها أساس من الصحة ، فقد بقى أبو مسلم مواليا للعباسـيين حتـى خلافـة مـع أبى جعفر ، وإذا كانت هذه التهم صحيحة فإنها يجب أن توجه أولاً إلى العباسيين قبل أن توجه إلى أبى مسلم الوالى المخلص للقضية العباسية([1]) .

ومما ينبغى الإشارة إليه أن الصراع بين أبو جعفر المنصور وأبى مسلم الخراسـانى كان له جانبه السياسى والدبلوماسى ، فعلى الصعيد السياسى اعتقد كـلا مـن المنصـور وأبى مسلم أن لكل منهما مكانته التى يجب أن يرعاها الجانب الآخر ، وكان موقـف المنصور الشرعى كـولى للعهـد فـى عهـد أبـى العبـاس ، ثم خليفـة لأخيـه وأمـيرًا للمؤمنين يحتم على ابى مسلم الطاعة والولاء ، إلا أن الأخـير ظـن أن سـابقته فـى مناصرة الدعوة وقيام الدولة العباسية توجب على المنصور إغضاء الطرف عن كثـير من تصرفات أبى مسلم غير أن المنصور كان على علو من الخطر والهمة مما يجعله لا يركن إلى تلك الإدعاءات ، لذا كان لابد من حـدوث الصـدام منـذ ولايـة عهـده حتى حادثة خروج عمه عبد الله بن على بالشام . أمـا علـى الجـانب الدبلوماسـى فقد ايقن كلا الطرفين ابو جعفر المنصور وأبو مسلم أنهم لن يلتقيا علـى خـير ، إذ أضمر كل منهما الشر لأخيه ، وكان على المنصور إلا يجعـل صيـده يفلـت يـده ، فأخذ يحيك الشباك حـول أبـى مسـلم ، ويسـد كـل ثغـرة يمكـن أن ينفـذ منهـا ، واستعان بأصدقاءه ومناهم حتى دفعوه إلى لقاءه دفعًا ، وكانت الورقة التى فى يـد أبى مسلم هى جيش الشرق أو جيش خراسان والتى كان يخشاها أبو جعفر والتـى لم يستطيع استغلالها فى وجه أبى جعفر ، مما جعل الأخير يحطم كل سلاح فى يـد أبى مسلم ، فلم يجد أبو مسلم بدأ من التسليم ليلقى نهايته .

---

(١) فاروق عمر : العباسيون الأوائل جـ١ ص ٥٥ – ص٥٦ .

على أى حال فقد كان أبو جعفر المنصور يرى أن خلافته مهددة بالزوال طالما بقى أبو مسلم على قيد الحياة ؛ وبتخلصه منه سنة ١٣٧ هـ أصبح المنصور الحاكم الفعلى للدولة الإسلامية(١) .

مشكلة ولاية العهد أيام أبو جعفر المنصور :

أسند أبو العباس قبل وفاته ولاية العهد إلى أخيه أبو جعفر المنصور(٢) ثم لابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن على البعس بالتعاقب ، فسار بذلك على سياسة الأمويين فى توليه العهد لأكثر من واحد . فكان ذلك من عوامل ظهور الخلاف والنزاع بين أفراد البيت العباسى(٣) .

لما توفى أبو العباس بالأنبار سنة ١٣٦ هـ خلفه أبو جعفر المنصور والذى يعد المؤسس الحقيقى للدولة العباسية ، والذى يعزى إليه تمكين الأسرة العباسية من الحكم عدة قرون ، وحرصه على إعلاء شأن الخلافة مما ساعد الخلفاء العباسيين على تدعيم سلطانهم(٤) .

---

(١) محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية ص ١٨٢ .

(٢) ونصه « هذا ما عهد أمير المؤمنين إلى عبد الله بن محمد ، فإن حدث بعبد الله حدث الموت فإلى عيسى بن موسى » .

أبو بكار : الأخبار الموفقيات ص ١٩٦ ، الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ١٠ العانى : سياسة المنصور ص ٣٧٣ .

(٣) جمال سرور : الحياة السياسية ص ١٨٠ .

(٤) العانى : سياسة المنصور ص ١٦٢ .

، بدر عبد الرحمن : ولاية العهد من بداية الدولة الأموية حتى أوائل القرن الثالث الهجرى . مكتبة الأنجلو المصرية ص ٦ سنة ١٩٨٦م .

(أ) التمهيد لخلع عيسى بن موسى :

تشير الدلائل على أن أبا جعفر التزم بكون عيسى بن موسى وليا للعهد من بعده لبضع سنوات من حكمه ، وكان هذا الالتزام ظاهريًا لعدم اقتناعه به . وقد كشفت الحوادث صحة ذلك ، حيث كان سكوته طيلة السنوات المحصورة بين سنة ١٣٦ - ١٤٧ هـ / ٧٥٣ - ٧٦٤م ضرورة سياسية أملتها الظروف الحرجة التى مرت بها الدولة أنذاك . فلما تمكن من تصفية العناصر المناهضة له . وبدأت الأحوال تميل إلى الاستقرار والهدوء ، عز عليه بعد هذا الجهد الكبير الذى بذله أن يرث هذا الملك الواسع أحد من غير أبنائه لشعوره أن مأثر الأبناء تكملة وامتداد لحياة الأباء(١) .

ومن هذا المنطلق بدأ المنصور بالفعل فى نقض العهد السابق بكل وسيلة . ليهيىء المناخ الطبيعى لتولى ابنه المهدى بالذات الخلافة من بعده ، رغم أنه لم يكن ولده الوحيد(٢) ، ولكنه كان مشغوفًا به ، شديد الحب له(٣) .

وبدا المنصور بإعداد ابنه المهدى لمهام الخلافة ، واشركه فى الأحداث السياسية . فأرسله إلى خراسان وهو ابن خمسة عشر سنة ، على

---

(١) العانى : سياسية المنصور أبى جعفر ص ٣٧٣ .

(٢) أولاد المنصور ثمانية أولاد وبنت واحدة . أكبرهم كان جعفر الأكبر ويليه المهدى . انظر اليعقوبى جـ٣ ص ١٢٧، الطبرى : جـ٨ ص١٠٢ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص١٢.

(٣) ابن طباطبا : الفخرى ص ١٢٦ - ص ١٢٧ .

رأس حملة عسكرية لقمع ثورة عبد الجبار الأزدى[١] وضم إليه القائد خازم بن خزيمة وأمره بنزول الرى ، وبعد القضاء على الثورة[٢] ، أمره بغزو طبرستان ، فتم له ذلك ، واستمر فى الإقامة بالرى ، ولما قرر المجىء إلى العراق سنة ١٤٤هـ/ ٧٦١م احتفل بمقدمه ، وأمر كبار البيت الهاشمى والقواد بتلقيه والترحاب به وزوجه بريطة بنت أبى العباس[٣] .

---

(١) اختار المنصور لولاية خراسان صاحب شرطته عبد الجبار الأزدى ، وهو أحد الدعاة العباسيين السبعين - بعد وفاة واليها أبو داود خالد بن إبراهيم الذهلى « فسار سيرة حسنة فى أهلها ونظر فى الخراج وقوى الدعوة ، ويبدو أن الوشاية التى قام بها المسيب بن زهير الضبى الذى أصبح رئيسًا لشرطة المنصور بعد عزل عمر بن عبد الرحمن الأزدى عنه كانت السبب الرئيسى فى دفع عبد الجبار للثورة ، فتشير بعض الروايات إلى أن المسيب أفسد حال عبد الجبار عند الخليفة وأوحشه منه وأغراه به فكتب إليه أن المنصور قال ذات يوم من ولى خراسان فأصلح ثغورها وأحسن السيرة فى أهلها ورزق جنودها وكان بيت ماله بعد ذلك عشرة آلاف ألف فهو الكامل ، فكتب إلى المنصور يعلمه أنه عنده بعد سد الثغور واعطاء المقاتلة عشرة آلاف ألف فكتب إليه المنصور فى حملها ، ولم تكن عنده ، وأنما كذبه : والح المنصور فيها فكتب عبد الجبار يسأله الأذن له فى إشخاص عياله إليه فلم يأذن له فى ذلك ، فخلع وقال : أن أبا جعفر دعانى إلى عبادته وأسرف فى القول ، وربما كان السبب الرئيسى فى غضب الخليفة على عبد الجبار يعود إلى قتله العناصر المعروفة بولائها للعباسيين ، البلاذرى : أنساب الإشراف جـ٤ ص ١ ب ، اليعقوبى : جـ٣ ص ١١٠ ، الطبرى : جـ٧ ص٥٠٣ ، العانى : ص ٢٠٢ - ٢٠٥ .

(٢) أن تمكن الجنيد بن خالد من أسر عبد الجبار وحمله إلى المنصور الذى أمر بضرب عنقه ، البلاذرى : أنساب الإشراف جـ٤ ص ١ ب ، الطبرى جـ٧ ص ٥٠٩، ابن الأثير : جـ٥ ص٥٠٦.

(٣) مخطوط أنساب الإشراف جـ٤ ص٤ ب ، العانى ص ٣٧٤ .

لم تلبث هذه الأحداث أن أكسبت المهدى خبرة وتجربة فى مجال السياسة ، والحرب ، فحظى باحترام البيت العباسى ، وصار أبوه يجلسه عن يساره فى مجلسه العام تقديرًا وإكرامًا ، رغم أنه لم يجاوز الخامسة عشر من عمره(١) .

على أنه ذلك لا يخفى ما لعيسى بن موسى من خدمات جميلة أسداها للدولة العباسية ، فقد قلده أبو العباس الكوفة تكريمًا له . وقام بدور بارز فى أخذ البيعة للمنصور وهو بمكة ، كما أنه لم يتجاوب مع أبى مسلم حين دعاه إلى خلع أبى جعفر وتنصيبه بدلاً منه ونهره قائلاً : « ويحك يا أبا مسلم ، إنما نحن بنى عم فأينا صار إليه الأمر فهو محل .. أو يجوز أن أتقدم على عمى وهو شيخ كبير .. والله لو قدمنى عليه أمير المومنين الماضى لكرهت ذلك(٢) .

وعلى الرغم من اعتراف المنصور بجهود عيسى بن موسى الكبيرة ، فإن رغبته فى خلعه من ولاية العهد طغت على هذه الجهود . وبدأت بوادر هذه الرغبة منذ إرسال عيسى لقمع ثورة النفس الزكية(٣) بالمدينة سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م يدل عليها قوله : « لا أبالى أيهما قتل صاحبه »(٤) .

وبعد أن قضى عيسى على النفس الزكية : زجه المنصور فى قمع ثورة أخيه إبراهيم التى أعلنها فى البصرة ، وتمكن عيسى من القضاء على هذه الثورة أيضًا ، غير أن تلك الانتصارات التى حققها عيسى بن موسى وأشاد بها المنصور فى

---

(١) مخطوط أنساب الإشراف جـ٤ ص ٤ ب ، العانى : ص ٣٧٤ .

(٢) ابن الأثير : جـ٥ ص ٤١٩ .

(٣) محمد بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب .

(٤) الطبرى : جـ٧ ص ٥٧٧ ، الكامل : جـ٥ ص ٥٤٤ ، العانى : ص ٣٧٥ وهى نفس خطته مع أبى مسلم وعبد الله بن على .

خطبه فى الكوفة وبغداد[١] ، لم تكن حائلاً دون تنفيذ المنصور رغبته فى خلعه من ولاية العهد ، وبدا بالشروع فى وضع خطته سنة ١٤٧ هـ /٧٦٤م[٢] . وسار فيها بين الترغيب والتهديد .

دور الترغيب :

بدأ أبو جعفر يجس نبض عيسى بن موسى للتعرف على مدى تجاوبه وتقبله التنازل عن حقه فى ولاية العهد ، فاستدعاه وفاتحه فى الأمر وكلمه بألين الكلام وأرفقه ، فرد عليه عيسى بن موسى : « يا أمير المؤمنين ، كيف بالإيمان ، والعهود والمواثيق ، ولئن فعلت هذا لتكون حجة لمن ترك الوفاء وخان العهود »[٣] ، ورفض إجابة المنصور إلى طلبه وقال له : « ليس إلى ذلك سبيل يا أمير المؤمنين »[٤]، وأصر على موقفه ، و لم تجد محاولات المنصور نفعًا فى تغيير موقف ابن موسى للعدول عن رأيه . وفى ذات الوقت إستعان المنصور بالخطباء

---

(١) قال فيها : « أن عيسى بن موسى لم يزل مصيبًا فى رايه سديدًا فى أمره ، ماضيًا فى عزمه، كافيًا فيما أسند إليه ميمون النقبية فيما استكفيته مويدًا بالنصر ، مستعملاً للأناة والصبر ، وقد كفى الغائب ، وناب عن الحاضر ، فاحمدوا الله على ما وهب من رأى أمير المؤمنين وأهل بيت نبيكم » .

، الأزدى : تاريخ الموصل جـ٢ ص ١٩٤ ، العانى ص ٣٧٥ - ٣٧٦ .

(٢) ابن خياط : تاريخه جـ٢ ص ٤٥٢ ، اليعقوبى : تاريخه جـ٢ ص ١١٩ ، الطبرى : جـ٨ ص٩ ، الأزدى : تاريخ الموصل جـ٢ ص ١٩٤ .

(٣) البلاذرى : أنساب الإشراف جـ٤ ص ٤ب ، الطبرى : جـ٨ ص ١٠ ، العينى : عقد الجمان (مخطوط) جـ٧ ص ١٩٥ ، العلنى : ص ٢٧٦ .

(٤) الطبرى : نفسه ، الأزدى : تاريخ الموصل جـ٢ ص ٢٠٠ ، الكامل جـ٥ ص٣٧٣ (طبعة أزهرية).

والشعراء(١) ، لمدح ابنه وتبيان فضائله ، ولتهيئة الناس لقبول ما يمكن أن يقوم به المنصور تجاه ولى العهد الرسمى عيسى بن موسى .

- دور الترهيب :

أما دور الترهيب فقد بدأ حينما غير المنصور موقفه الودى السابق فى تقدير واحترام عيس بن موسى ، إزاء إصراره وتعنته فى عدم تنازله عن حقه فى ولاية العهد للمهدى ، فلجأ إلى التقليل من مكانة عيسى بن موسى السياسية ، فبعدما كان يجلسه عن يمينه فى مجلسه العام ويستشيره فى الأمور الهامة ، أخذ يجلس ابنه المهدى مكانه ، ثم أخذ يأذن لأعيان البيت الهاشمى فى الدخول عليه قبل عيس بن موسى ، فكان يأذن لعلى بن عيس ، ثم لعبد الصمد بن على ، واتبع ذلك بعض المضايقات لعلها تأتى بنتيجة ، فكان يامر ينثر التراب عليه من سقف مجلسه(٢) .

ولما انتشر خبر محاولات المنصور لمضايقة عيسى بن موسى بين الجند، طمع هؤلاء بعيسى كى يرضوا الخليفة ، فكان إذا ركب عرضوا له بما يكره واسمع الكلام(٣) ، فشكا ذلك إلى المنصور ، فى رسالة بعثها إليه يشكو ما قاله الجند

---

(١) منهم الشاعر أبو نخيلة بن حوز ، ومضيع بن إياس الذى أسرف فى المدح والثناء حتى أنه وضع حديثًا ونسبه إلى النبى ﷺ قال فيه : « المهدى منا محمد بن عبد الله وأمه من غيرنا يملأها عدلاً كما ملئت جورًا » .

الأصفهانى : الأغانى جـ١٢ ص ٨١ ، ص ١٦ ، جـ١٨ ص ١٢٩ ص ١٥٢ ويذكر جـ١٨ ص ١٣٩ ، أن عيسى بن موسى قتل الشاعر أبى نخيلة بن حوز فى طريق خراسان انتقامًا لتعريضه به . العانى ص ٣٧٦ - ص ٣٧٧ .

(٢) الطبرى : جـ٨ ص ١ ، العينى : عقد الجمان (مخطوط) جـ٧ ص ١٩٥ العانى ص ٣٧٧ .

(٣) البلاذرى : أنساب الإشراف جـ٤ ص ٤ ب .

وفى رواية أخرى أن المنصور حرض الجند على النيل من عيسى وشتمه . الطبرى : جـ٨ ص ١٤ ، الفخرى : ص ١٣٨ .

الخراسانيين من إهانة وتهديد بالقتل[١] . فرد عليه المنصور[٢] ردًا هدأ به خاطره ، واعدا أياه بأنه سيكف أيدى أولئك المعتدين من الجند[٣] .

ولكى يظهر المنصور أنه غير راض عن تصرف هؤلاء الجند ، استدعى قائد شرطته المسيب بن زهير الضبى وقال له : « تقدم إلى القود والجند فى أن يمسكوا لعن ابن أخى ، ولا يؤذوه فانه ثمره قلبى ، وجلدة ما بين عينى ، من العقل والفضل والسخاء »[٤] .

ويبدو أن موقف المنصور هذا لم يكن سوى لعبة سياسية ذكية بدليل أنه لم يكف عن محاولته إجبار عيسى على التنازل ، فعاد إليها واستهلها بأن أرسل إلى عيسى كتابًا طويلاً[٥] ذكر فيه « ما قذفه الله فى قلوب أنصار الدعوة وأهل

---

(١) قال فيها : « لو سامنى غيرك ما سامنى لاستنصرتك عليه ولاستشفعتك به إليك حتى تقر الحرم مقرها وتترك للوفاء منزلته ، ونحن أول من يستن بعلمنا فيها ، وينظر إلى ما أخذناه منها ، وقد استعنت بك على قوم لا يعرفون الحق معرفتك ، ولا يلحظون العواقب لحظتك، فكن لى عليهم مغيرا ومنهم مجيرًا يجزك خير جزائك عن صلة الرحم قطع الظلم انشاء الله والصولى : كتاب الأوراق جـ٢ ص ٣١٦ ، العانى : ص ٣٧٧ - ص ٣٧٨ .

(٢) « لولا أنك تسام النزول عن حق لك ، واحب فى يديك لزال الضرع إليك والتحمل عليك ، لولا أننى أخاف أن تسبق أيدى هذه العصبة من أهل الدولة إليك ، لما كلفتك شاقًا ، ولا حملتك مكروها ، ولكنى عندك بالنصح لك ، والاشفاق عليك فى حنبة من لا يرضى منك إلا بإرادته ، ولا يستمهل أيامك لسرعته وما الذى اسمو بك إليه بدون الذى يستنزلون عنه والله يوفقك ويحسن الاختيار لك » . المصدر السابق .

(٣) الصولى : الأوراق جـ٢ ص ٣١٦ ، العانى : ص ٣٧٨ .

(٤) أنساب الأشراف : جـ٤ ص ٤ ب (مخطوط) .

(٥) انظر الطبرى : جـ٨ ص ١٤ - ص ١٧ ، الصولى : الأوراق جـ٢ ص ٢٠ وما بعدها : وقد أورد بعض فقراته البلاذرى : أنساب الأشراف جـ٤ ص ٤ ب ، واليعقوبى : تاريخه جـ٣ ص ١١٩ .

المشايعة على الحق وشربها من محبة المهدى ومودته وفضله ، حتى صاروا له صا-
ولأعناقهم مادين ، لا يذكرون إلا فضله ، ولا يعرفون إلا حقه ، ولا يفوهون إلا باسمه، وأنه لما رأى ذلك ، علم أنه أمر تولاه الله له ليس للعباد فيه صنع وأنه لابد من استصلاحهم ومتابعتهم ، ويعلمه الله أنه يرى له إذا اجتمع الناس على ابن عمه أن يكون أول ما يبدر إلى البيعة له ، وأن يعرف له ما عرفوه ويؤمل فيه ما أملوه»([1]).
فلما وصل الكتاب إلى عيسى بن موسى كتب إليه كتابًا شديد اللهجة جوابًا على ذلك([2]) . يذكره الوفاء ، ويعلمه أن كثيرًا من الناس ، قد نازعتهم أهوائهم ودعتهم أنفسهم إلى مثل الذى هم به ولده ، فأثروا الله وحقه وكرهوا الغدر وعاره وسوء عواقبه فى الدنيا والآخرة ، فامسكوا عن ذلك وكرهوه »([3]) .

وحين وصل كتاب عيسى إلى المنصور ، وقرأه غضب غضبًا شديدًا « فقراه على الناس ، فعاد القواد والجند لأشد ما كانوا عليه ، وكان أشد الناس فى ذلك قولاً أسد بن المزربان ، ونصر بن حرب ، وعقبه بن مسلم ، فكانوا يأتون باب عيسى فيمنعون من أن يدخل عليه أحد ، ويسيرون إذا ركب ويقولن : أنت البقرة التى قال الله ﴿ فذبحوها وما كادوا يفعلون ﴾([*]) فشكاهم إلى المنصور الذى قال له : أن هؤلاء القوم قد غلب عليهم حب هذا الفتى ، واجتمعت عليه آراؤهم ، وأنا والله يا ابن أخى وحبيب قلبى ، أخاف عليك وعلى نفسى ، فلو قدمته بين يديك ، حتى يكون بينى وبينك كفوًا وأنا لك ناصح وأنت أعلم »([4]) .

---

(١) أنساب الإشراف : حـ٤ ص ٤ ب ، اليعقوبى : حـ٣ ص ١١٩ .
(٢) الطبرى : حـ٨ ص ١٧ - ص ١٩ الصولى : الأوراق حـ٢ ص ٣١٣ وما بعدها ، وهناك كتب أخرى أوردها الصول حـ٢ ص ٣١٩ .
(٣) أنسب الأشراف : حـ٤ ص ٤ ب ، اليعقوبى : حـ٣ ص ١١٩ .
(*) سورة البقرة الآية ٧١ .
(٤) أنساب الأشراف حـ٤ ص ٤ ب ، وانظر الطبرى : حـ٨ ص ١٩ ، ابن الأثير حـ٥ ص ٢٧٥ (ط أزهرية) ، ابن طباطبا : الفخرى ص ١٣٨ وتشير بعض الروايات إلى أن الخليفة استعان بعمه عيسى بن على لإقناع عيسى بن موسى بالتنازل والبيعة للمهدى ، فقام هذا بدس شربة سم لعيسى بن موسى فأفلت منها بعد أن شارف على الموت ، انظر الطبرى : حـ٨ ص ١٤ .

واختلف المؤرخون فى وصف الطريقة التى لجأ إليها المنصور لإجبار عيسى ابن موسى على البيعة للمهدى ، وذكروا فى ذلك روايات عدة منها رواية تقول: « أن المنصور أمر بخنق موسى بن عيسى بحضرة أبيه ، فخاف عيسى على ابنه وخلع »(١) .

وقد روى الطبرى تلك الرواية لكنه شكك فى صحتها فقال : « وهذه القصة فيما قيل منسوبة إلى آل عيسى أنهم يقولونهما »(٢) ، أما البلاذرى فرواها بصورة مختلفة فقال : « وقال قوم من ولد موسى بن عيسى ، أمر المنصور بموسى فخنق بحمايل سيفه وضمن له المنصور رضاه فوفى له »(٣) .

وهذا التضارب الوارد فى أحداث الرواية وأشخاصها يجعلنا نشك فى صحتها خاصة إذا علمنا أن من أبرز سمات المنصور الوصول إلى هدفه دون أن يعطى الآخرين الفرص لتوجيه أصبع الاتهام إليه .

أما الرواية التى تذكر « أنه ذهب إلى عيسى بن موسى ثلاثون رجلاً فسألوه أن ينزل عن الخلافة فأبى .. »(٤) فقد رواها كل من الطبرى(٥) ،

---

(١) فقد قيل للمنصور : أن عيسى إنما يحب الخلافة لولده موسى ، فلو أوهمته قتله لنزل عن الخلافة ، فأخذ ولده بحضرته ، وقال للربيع : اخنقه . فلف حمايل سيفه على عنقه ، يوهمه أنه يخنقه ، فلما رأى عيسى الجد قال : أشهدك أن نسائى طوالق ومماليكى أحرارًا ، وكل ما أملك فى سبيل الله، وهذه يدى بالبيعة للمهدى ، ابن الجوزى : المنتظم حـ٨ ص١٤٧.

(٢) الطبرى : حـ٨ ص ١١ - ١٤ .

(٣) أنساب الأشراف حـ٤ ص ٤ب .

(٤) يذكر ابن الجوزى : أنه ذهب إلى عيسى بن موسى ثلاثون نفسًا فسألوه أن ينزل عن الخلافة ، فلم يفعل ، فخرجوا ، فأخبروا المنصور أنه قد نزل وشهدوا عليه بذلك ، فكتب بذلك الأخبار ، فلما أنكر شهدوا عليه ، المنتظم حـ٨ حوادث سنة ١٤٧هـ .

٥) الأمم والملوك حـ٨ ص ١٩ وما بعدها .

والأزدى(١) عن أبـى الأسوارى ، فمصـدر الوراية عند كليهمـا واحـ

أما رواية ابن طباطبـا(٢) ، والعينى(٣) ، فهما متـأخران ، ومـع هـذا فـإن هــذه الوراية تعارضهــا روايــة البلاذرى(٤) ، والطــبرى(٥) اللذان ذكــرا « أن سلم (سالم) بن قتيبة دخل على عيسى فقال له : « أيها الرجل بايع هذا الأمير وقدمه ، فانك لن تخـرج مـن الأمـر وأرض عمـك ، فقبـل قولـه وبايع »(٦) .

وأساس التعارض فى الروايتان هو كيف أن عيسـى بـن موسـى لم يسـتجب لطلب خالد بن برمـك ومـن معـه مـن كبـار رجـال الشيعة رغـم إلحـاحهم عليـه واستجاب لقول سلم بن قتيبة فضلاً عن أن ابـن الأثـير ضعـف هـذه الروايـة حـين قال: وقيل أن أبا جعفر بعث إلى خالد بن برمك وأرسله إلى عيسى ليسأله التنــازل عن حقه(٧) .

أمـا الروايـة التـى يمكـن قبولهـا والقـول بأنهـا العـامل المؤثـر فـى تنـازل عيسى بـن موسـى هـى التـى ذكـرت بـأن « الجنـد كـانوا يـؤذون عيسـى إذا ركـب .. فبـايع » لأن الدلائـل تشـير إلى أن المنصـور اسـتعمل مـع عيسـى

---

(١) تاريخ الموصل جـ٢ ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

(٢) الفخرى : ص ١٣٨ .

(٣) مخطوط عقد الجمان : جـ٧ ص ١٩٥ .

(٤) مخطوط أنساب الأشراف : جـ٤ ص٤ ب .

(٥) الأمم والملوك : جـ٨ ص ٢٤ .

(٦) ذكر ابن الجوزى : المنتظم حوادث سنة ١٤٨ هـ أن سـلم بـن قتيبـة أشـار عليـه بذلـك فقبل منه » .

(٧)

الأذى فى بادئ الأمر ، لرفضه الاستجابة لطلب التنازل ، حتى وصلت إحداها إلى دس السم بغرض التخلص منه[١] ، فلما باءت المحاولة بالفشل، واضطر الخليفة لاستعمال أسلوب العنف المقرون « بالتهديد والوعيد»[٢]، فسلط عليه بعض الجنود الخراسانيين الذين أهانوه وشتموه وهدده بالقتل[٣] ، فى محاولة لإجباره على التنازل ، فشكاهم إليه ، ولكن الخليفة لم يتخذ إجراء صارمًا تجاههم لردهم وأيقافهم عند حدهم ، وكتب إلىعيسى كتابًا يطلب منه التنازل عن ولاية العهد لابنه ، معللاً طلبه هذا بانه يخاف عليه أن يقوم الجند ضده أن استمر فى رفضه[٤] .

وإزاء هذه التهديدات التى واجهها من الجند الخراسانيين ، وتيقنه من عدم حماية المنصور له ، الأمر الذى أدى به أن يخش على نفسه من تنفيذهم تهديداتهم، وسلم بالأمر الواقع وبايع للمهدى ، يؤيد ذلك قول اليعقوبى « وقدم عيسى بن موسى بغداد ، فوثب به الجند يومًا بعد يوم وصاروا إلى بابه حتى خاف على نفسه ، فلما رأى ذلك رضى وسلم فبايع المنصور بولاية العهد لابنه المهدى سنة ١٤٧هـ[٥] .

---

(١) البلاذرى : أنساب الأشراف حـ٤ ص ٤ ب وانظر الطبرى : حـ٨ ص ١٩ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية حـ١٠ ص ١٠٤ .

(٣) أنساب الأشراف حـ٤ ص ٤ ب ، وانظر اليعقوبى حـ ٣ ص ١١٨ ، الطبرى : حـ٨ ص ١٤ ، ابن طباطبا : الفخرى ص ١٣٨ .

(٤) أنساب الأشراف حـ٤ ص ٤ ب ، اليعقوبى : نفسه ، الطبرى : حـ٨ ص ١١٩ ، الصولى: كتاب الأوراق حـ٢ ص ٣١٦ .

(٥) اليعقوبى : حـ٣ ص ١١٩ .

وبعـد أن خلـع عيسى بـن موسـى أغـدق عليـه الخليفـة و ولـده الأمـوال والعطايـا الجزيلـة(١) ، فكسـب ودهـم وأزال مـا علـق فـى قلوبهـم مـن كراهيـة وغيـظ مـن جـراء الإكـراه فـى التنـازل للمهـدى ، وهـى مـن الناحيـةالأخرى تظهـر للنـاس أن عيـس تنـازل عـن حقـه وبـاع نصيبـه بالمـال(٢).

علـى أى حـال فقد اطمئـن المنصور بذلك على مصـير الخلافة من بعده ، فضمن استمرارها فى ذريتـه ، وهـو الهـدف الذى سعـى إلى تحقيقـه ، وأكـد هذا المفهـوم فـى سنة ١٥١هـ /٧٦٨م حـين جـدد البيعـة لنفسـه ولابنـه المهـدى ولعيسـى بـن موسـى من بعد المهدى على أهـل بيتـه .بمحضـر منـه فـى مجلسـه ، فكان من بايعه يقبل يده ويد المهدى ، ثم يمسح علـى يـد عيسـى ابـن موسـى ولا يقبل يده »(٣) .

---

(١) أعطاه على حد قول بعض الروايات أحد عشر ألف ألف درهم، الطـبرى : جـ٨ ص ٣٥، ابن الجوزى : المنظم جـ٨ حوادث سنة ١٤٧هـ، ابن الأثير: جـ٩ ص٢٧٥ (طبعة أزهرية)، الفخرى : ص ١٣٨.

(٢) فقـد ألـزم عيسـى بـن موسـى علـى أن يعلـن بنفسـه علـى النـاس أنـه سـلم ولايـة العهـد للمهدى وقدمه على نفسـه ، وأنـه بـاع نصيبـه عـن تقدمـه فـى ولايـة عمـه أمـير المؤمنـين لابنـه محمـد المهـدى بعده بعشرة آلاف ألـف درهـم وبطيـب نفـس منـه ورغبـة منـه فـى تصييرها إليه لأنه أولى منـه بـالتقدم فيهـا وأحـق وأقـوم بهـا وأقـوى علـى القيـام بهـا منـه. الجهشيارى : الوزراء والكتـاب ص ١٢٧ ، حسـن أحمـد محمـود : العـالم الإسـلامى فـى العصـر العباسـى ص١١٧ .

(٣) البسوى : المعرفة والتاريخ جـ١ ص ١٣٨ ، الطـبرى : جـ٨ ص ٣٩ . الازوى : تـاريخ الموصل جـ٧ ص ٢١٤ ، المعانى : ص ٣٨٦ .

المهدى[١] (١٥٨ - ١٦٩هـ/ ٧٧٥ - ٧٨٥م) :

توفى أبو جعفر المنصور سنة ١٥٨هـ/ ٧٧٥م بعد أن عهد لابنه المهدى بالخلافة ومن بعده عيسى بن موسى ، وقضى المهدى فى الخلافة زهاء عشر سنين تعتبر فترة انتقال بين عهد الشدة والقمع ، الذى ساد عهد من سبقه من الخلفاء العباسيين ، وعهد الاعتدال واللين الذى امتازت به أيامه ، وقد ذكر المؤرخون أنه رد الأموال التى صادرها أبوه إلى أهلها العلويين الذين حبسهم أبوه وعفا عنهم وأدر عليهم الأرزاق[٢] .

وفى عهد المهدى خرج عبد الله بن مراون بن محمد الأموى ببلاد الشام سنة ١٦١هـ فتمكن المهدى من هزيمته وحبسه ثم عفا عنه[٣] ، كذلك خرج عليه سنة ١٦٢ هـ عبد السلام بن هشام اليشكرى فى الجزيرة (بالعراق) واشتدت شوكته وعاث فى الأرض ، ولكنه هزم وقتل فى قنسرين[٤] ، كما خرج بالموصل رجل من بنى تميم يدعى ياسين واستولى على أكثر ديار ربية ومضر ، فحلت به الهزيمة ، وثار أهل الحوف فى

---

(١) ولد محمد بن عبد الله النصور بالحميمة يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ١٢٦ هـ وأمه أروى بنت منصور بن عبد الله الحميرى وعنى أبوه بتثقيفه وعهد به إلى المفضل الضبى فعلمه تعليمًا عربيًا فنشأ فصيحًا يقول الشعر ويجيده ، ويحفظ كثيرًا من أمثال العرب .

، ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ٥ ص ١١٥ ، الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ٥ ص ٣٩١.

، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى جـ٢ ص٤٠ .

(٢) الطبرى : جـ٨ ص ٨١ ، ابن الأثير : جـ٥ ص ٤٨ .

(٣) الطبرى : جـ٨ ص ١٣٥ - ١٣٦ ، ابن الأثير : جـ٥ ص ٦٠ بيروت .

(٤) الطبرى : جـ٨ ص ١٤٢ ، ابن الأثير : جـ٥ ص ٦٠ .

، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٠ ص ١٣٥ .

مصر (بالقرب من بلبيس) وقتلوا عامل المهدى الذى ندب لقتالهم ... ابن صالح العباس ، ولكنه وصل إلى مصر بعد وفاة المهدى وتمكن من هزيمتهم[١].

الهادى[٢] (١٦٩ - ١٧٠هـ/ ٧٨٥ - ٧٨٦م) :

لم تطل خلافة الهادى فقد توفى ببغداد فى الثانى عشر من ربيع الأول سنة ١٧٠ هـ بعد أن ظل فى الخلافة سنة وشهرًا واثنين وعشرين يومًا - وقد اشتهر عنه حبه للأسراف فى العطاء ، كما أنه عدل عن البيعة لابنه جعفر بدلاً من أخيه الأكبر هارون الرشيد ، نظرًا لصغر سنه وسمعًا لنصيحة يحى البرمكى[٣] ، كذلك تمكن من استخلاص الخلافة وتنحية أمه الخيزران التى كانت متسلطة فى عهد أبيه المهدى ، وأرادت أن تمتد سطوتها على ابنه ، وجعلت الناس يتوافدون عليها لاستشارتها فمنع الناس من ذلك[٤] .

---

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السايسى حـ٢ ص ٤٢ .

(٢) هو موسى بن محمد بن عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس، الطبرى:حـ٨ ص١٨٧.

(٣) الطبرى : حـ٨ ص ٢٠٧ - ٢١٣ .
، ابن الأثير حـ٥ ص٧٧ - ٧٩ .
، الفخرى فى الأداب السلطانية ص ١٧٢ .

(٤) ذكر ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب لسلطانية ص ١٧٢ .
أن الهادى كان شديد الغيرة على النساء وكره أن يتوافد الناس على دار أمه لقضاء حاجاتهم ، ويزيد المسعودى : مرج الذهب حـ٢ ص ٢٦١ هذه المسألة بيانًا فيقول أن الهادى كان كثير الطاعة لأمه وكان يجيبها إلى ما تسأله من قضاء الحاجات فسألته يومًا قضاء مسألة رحل لم يجد لقضائها سبيلاً ، فألحت فى الطلب وقامت مغضبة فقال لها مهددًا متوعدًا : « لئن بلغنى أنه وقد ببابك أحدا من قوادى أو من خاصتى وخدمى لاضربن عنقه ولاقبضن ماله ، فمن شاء فليلزم ذلك ، ما هذه المواكب التى تغدو وتروح إلى بابك كل يوم ، أمالك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك : إياك أن تفتحى فاك فى حاجة لمسلم أو ذمى » .
انظر أيضًا الطبرى : حـ٨ ص ٢٠٦ بيروت .

هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣هـ / ٧٨٦ - ٨٠٩م) :

يعتبر هارون الرشيد أشهر خلفاء بنى العباس ، فقد بلغت بغداد فى عهده درجة لم تصل إليها من قبل ، فأصبحت مركز التجارة وكعبة رجال العلم والأدب وأشتهر اسم الرشيد فى بلاد الغرب (أوربا) لما كان بينه وبين شارلمان - ملك الفرنجة - من العلاقات السياسية وأوصر الود والصفاء ، كذلك عرفته الامبراطورية البيزنطية بطلاً محاربًا منذ أن ولاه أبوه الصائفة فى سنتى ١٦٣ - ١٦٥هـ فأرغم الامبراطورة ايرينى[1] « أوجسطه »[2] ، وكانت وصية على ابنها

(١) ايرينى : زوجة الامبراطور ليو الرابع « الخزرى » (٧٧٥ - ٧٨٠م) يونانية من أثينا ، وكان ليو الرابع من مناوئى عبادة الايقونات ، إلا أنه تحت تأثير زوجته ايرينى اظهر بعض التسامح بالنسبة لعبادة الأيقونات ، إلا أنه قبيل موته اتبع سياسة تبعد عن التسامح مع الأيقونيين ، وبدأ حركة اضطهاد شديد ضدهم . عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ص١٢٠ .

(٢) كانت ايرينى امبراطورة الدولة البيزنطية فى هذه الفترة تواجه مصاعب داخلية كبيرة بعد أن قضت على مقاومة ابنها قسطنطين ، وانشغلت الامبراطورية بالصراع بين أفرادها على السلطة ، فأهملوا الدفاع عن حدود الدولة ، ولم يعيروا أية أهمية إلى تقوية الأمبراطورية وازدهارها ، بالإضافة إلى النزاع العقائدى حيث سارت الامبراطورة على سياسة معاكسة لسياسة زوجها ، هذا فضلاً عن الانقسام بين صفوف قادة الجيش وزعمائه الذى أدى إلى انحياز بعضهم إلى صفوف المسلمين ، فقد انحاز تانزيت إلى هارون الرشيد بسبب كرهه للرجال المحيطين بالامبراطورة ، وكان هذا القائد خير عون لهارون من الناحية العسكرية .

فاروق عمر : العباسيون الأوائل جـ١ ص٢٢٢ .

قسطنطين السادس[١] - على طلب الصلح الذى انتهى بعقد هدنة بين العباسيين والبيزنطيين مدتها ثلاث سنوات[٢] .

الفتن والثورات فى عهد الرشيد :

خرج الوليد بن طريف الشارى الشيبانى على هارون الرشيد سنة ١٧٨هـ وانتصر على جيشه أكثر من مرة فقتل والى نصيبين ، ثم مضى إلى أرمينية ، وآذربيجان ، وعاث فيها فسادًا . ثم عاد إلى الجزيرة سنة ١٧٩هـ وعبر نهر دجلة حتى وصل حلوان (آخر بلاد العراق) واشتدت شوكته

---

(١) كانت ايرينى وصية على ابنها قسطنطين السادس ، فلما بلغ ابنها سن الرشد طالب أمه بحقه فى الحكم ، غير أن الامبراطورة ايرين التى ذاقت طعم السلطة عملت على إثارة العقبات ضد ابنها بإثارة الكراهية ضده بين الايقونيين من رعاياه - كما دبرت ضده فضيحة أخلاقية فساعدته فى أن يطلق زوجته ليتزوج من عشيقته الأمر الذى أثار رجال الدين ضده فأمر بالقبض على رهبان دير سكاديون مما أثار الرأى العام ضد ابنها ومن ثم قامت بتدبير مؤامرة للقبض على ابنها وسجنه وأمرت بسمل عيناه .

عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ص١٢٢ - ١٢٥ .

(٢) حسن إبراهيم حسن : جـ٢ ص ٥١ وكان من شروط الصلح :

١ - أن تدفع ايرينى اتاوة سنوية تقدر بين ٧٠ ألف إلى ٩٠ ألف دينار على دفعتين .

٢ - أن ترسل ايرينى رسولاً يمثلها شخصيًا إلى الخليفة المهدى فى بغداد ومعه هدايا الذهب والفضة وغيرها من العروض كالملابس الحريرية .

٣ - أن تقدم ايرينى الأدلاء والغذاء إلى المقاتلة المسلمين فى طريق عودتهم إلى بلادهم عبر الأناضول ، وأن تسهل طريق العودة بكل الوسائل الممكنة .

فاروق عمر : العباسيون الأوائل جـ١ ص٢٢٣ .

وكثر أتباعه ، فبعث الرشيد بيزيد بن مزيد الشيباني[١] ، وسرعان ما حلت الهزيمة بجند الوليد بن طريف وقتل[٢] .

وفي افريقية استمرت قبائل البربر تنازع العباسيين بين سنتي ١٧٨ - ١٨١هـ كما أخذت في التقلص عن الحكم الإسلامي ، وغدت كفة النصر ترجح في جانبهم حينا وفي جانب العباسيين حينا آخر ، حتى بعث إليهم الرشيد هرثمة بن أعين على رأس جيش كثيف استطاع أن يقضي عليهم ويطفيء جذوة ثورتهم[٣] ، ثم قامت دولة الأغالبة على يد إبراهيم بن الأغلب الذي ولي هذه البلاد من قبل الرشيد لتأديب البربر والوقوف في وجه الأدارسة إذا أرادوا الأغارة على أراضي الدولة العباسية ، غير أن الأغالبة ما لبثوا أن استقلوا بدولتهم عن الخلافة العباسية ، وأصبحت تبعيتهم للخلافة تبعية اسمية ، واتخذوا مدينة القيروان[٤] حاضرة لهم ، واستمرت دولتهم حتى أستولى الفاطميون عليها سنة ٢٩٦هـ[٥] .

وفي سنة ١٧٦هـ تحولت المنازعات القديمة بين اليمانيين والعدنانيين في بلاد الشام إلى حرب مستعرة ، وبقيت دمشق

(١) ابن أخي معن بن زائد الشيباني بطل موقعة يوم الراوندية .
، الطبري : جـ٨ ص٢٥٦ ، ابن الأثير : جـ٥ ص٩٧ .

(٢) الطبري : جـ٨ ص٢٦١ .

(٣) الطبري : جـ٨ ص٢٥٦ ، ص٢٦٦ .

(٤) إلى الجنوب الغربي من مدينة تونس الحالية .

(٥) الطبري : جـ٨ ص٢٧٢ ، ابن الأثير : جـ٥ ص١٠٩ ، جـ٦ ص١٢٤ وما بعدها .

زهاء سنتين مسرحًا للانقسامات والحروب الداخلية ، إلا أن الرشيد ولى موسى بن يحيى بن خالد البرمكى بلاد الشام فأصلح بين أهلها وسكنت الفتنة([1]) .

كانت بلاد خراسان التى وليها على بن عيسى بن ماهان([2]) مصدرًا للفتن والقلاقل فى عهد هارون الرشيد ، نظرًا لسياسة الظلم والعسف واغتصاب الأموال التى سار عليها هذا الوالى ، والذى استطاع أن يكسب ثقة الرشيد بالهدايا والطرف التى بهرته ، فلما اشتكى أهل خراسان وكتبوا إلى الرشيد يستغيثون ، فسار الرشيد([3]) إلى الرى ومعه ابناه عبد الله والقاسم ، فلما صار بقرمايسين استدعى جماعة من القضاة وغيرهم وأشهدهم بأن جميع ما له فى عسكره من الأموال والخزائن والسلاح والكراع وما سوى ذلك لعبد الله المأمون وجدد البيعة له على ما كان معه ، ووجه هرثمة بن أعين صاحب حرسه إلى بغداد ، فأعاد أخذ البيعة على محمد ابن هارون وعلى من بحضرته لعبد الله القاسم([4]) .

---

(١) الطبرى : حـ٨ ص٢٥١ - ٢٥٢ .

(٢) يذكر الطبرى : حـ٨ ص٣١٤ حوادث سنة ١٨٩هـ .

« أن الرشيد كان استشار يحيى بن خالد فى توليه خراسان على بن عيسى بن ماهان - فأشار عليه بألا يفعل فخالفه الرشيد فى أمره فولاه إياها .

(٣) دعا الرشيد يحيى بن خالد فشاوره فى أمر على بن عيسى وفى صرفه وطلب منه أن يشير عليه برجل يرضاه لخراسان يصلح ما أفسده على بن عيسى فأشار عليه بيزيد بن مزيد فلم يقبل مشورته ، الطبرى : حـ٨ ص٣١٥ .

(٤) الطبرى : حـ٨ ص٣١٤ - ٣١٥ ، الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص٢٧٧ .
، ابن الأثير : حـ٥ ص١٢١ - ١٢٢ .

لما بلغ علي بن عيسى ذلك قابل الرشيد بالري ، وقدم فروض الولاء والطاعة ، كما قدم ألوانًا من الهدايا والطرف للرشيد وكبار رجال الدولة الذين صحبوه ، فرضي عنه الرشيد وعاد إلى بغداد ، وأعاد علي بن عيسى إلى خراسان(١) ، إلا أن هذا الوالي عاد إلى سيرته الأولى في استبداده ، فأرسل إليه الرشيد القائد المعروف هرثمة بن أعين وكتب عهدًا بتوليه خراسان عام ١٩١هـ فلما وصل هرثمة إلى مرو عاصمة خراسان قبض على علي بن عيسى وصادر أمواله وأرسله مكبلاً إلى الخليفة ببغداد ، فأمر الرشيد بحبسه وحبس ولده وقبض أمواله ، ولم يزل محبوسًا حتى وفاة الرشيد(٢) .

ترتب على سوء سيرة علي بن عيسى في خراسان قيام رافع بن الليث بن نصر بن سيار بالثورة عام ١٩٠هـ في سمرقند ؛ وذلك أن رافع بن الليث تمكن من إخراج امرأة من ذوي اليسار غاب عنها زوجها من الإسلام إلى الكفر وتزوج بها(٣) ، فبلغ ذلك الرشيد ، فأمر علي بن عيسى

---

(١) الطبري : جـ٨ ص٣١٥ - ص٣١٦ حوادث سنة ١٨٩هـ .

، ابن الأثير : جـ٥ ص١٢٠ - ١٢١ .

(٢) الطبري : جـ٨ ص٣٢٤ - ص٣٣٧ ، ص٣٤٠ .

، أرمينيوس فاميري : تاريخ بخارى ص٩١ .

(٣) كانت هذه السيدة زوجة ليحيى بن الأشعث بن يحيى الطائي وهي ابنة عمه أبي النعمان وكانت ذات يسار ، أقام بمدينة السلام وتركها بسمرقند ، فلما طال مقامه بها ، وبلغها أنه قد اتخذ =

بـأن يفـرق بـين رافـع وزوجتـه وأن يعـاقبـه على فعلتـه ، فتمـكـن كـل من والى خراسـان وعامل سمرقند مـن تنفيذ أوامـر الخليفـة وحبس رافع الـذى تمـكن مـن الفـرار مـن سجنـه[١] واستغـاث بولـد على بـن عيسـى . فتوسـط له عنـد أبيـه فأمنـه ورده إلى بلـده ، فثأر لنفسـه ومـن عـامل المدينة سليمان ابن محمـد وقتلـه ، واتبعـه كثير مـن أهـالى سمرقنـد والشـاش (طشـقند) وفرغانه وأشروسنه وغيرها من بلاد ما وراء النهر[٢] .

نـدب الخليفـة هـارون الرشـيد هرثمـة بـن أعـين لقتـال رافـع بـن الليث فتمكـن هرثمـة مـن قتـل الكثير مـن أصحـاب رافـع ، ونجـح فـى فتـح بخـارى وأسـر أخـا لرافـع ألا أن ثـورة رافـع اسـتمرت حتـى خـرج الرشـيد بنفسـه لحربـه ، غـير أن المنيـة عاجلتـه وهـو فـى طريقـه إليـه ، واستمر حـال رافـع حتـى أيـام المـأمون[٣] .

= أمهات أولاد ، التمست سببًا للتخلص منه ، فعى عليها ، وبلغ رافعًا خبرها فطمع فيها وفى مالها فدس إليها من قال لها : أنه لا سبيل إلى التخلص من صاحبها إلا أن تشرك بـا لله وتحضـر لذلـك قومًا عدولاً وتكشف شعرها بين أيديهم ثم تتوب فتحل للأزواج ، ففعلت ذلك وتزوجها رافع . انظر الطبرى : جـ٨ ص٣١٩ ، ابن الأثير : جـ٥ ص١٢٢ .
، أرمينيوس فاميرى : تاريخ بخارى ص٩٠ - ص٩١ .

(١) الطبرى : جـ٨ ص٢١٩ ، ابن الأثير : جـ٥ ص١٢٢ .
، فاميرى : تاريخ بخارى ص٩٠ - ٩١ .

(٢) الطبرى : نفس المرجع والصفحة ، ابن الأثير : نفسه .

(٣) الطبرى نفسه ص٣٤١ - ص٣٤٢ .
، فاميرى : ص٩١ .

البرامكة :

كان برمك جد الأسرة البرمكية سادن (المشرف على خدمة) بيت النار ببلخ[١] فى خراسان ، وكان برمك[٢] وأسرته يدينون بالمجوسية ولما ظهر الإسلام أسلم بعضهم ، وظهر منهم أوائل الدولة العباسية خالد بن برمك الذى تقلد الوزارة فى عهد السفاح[٣] والمنصور واتخذ هارون الرشيد يحيى بن خالد قبل أن يلى الخلافة كاتبًا له ، ولما ولى الخلافة استوزر يحيى فعلاً شأنه وبعد صيته وأصبح هو وأولاده كعبة الآمال وغدت تشد إليهم الرحال[٤] .

---

(١) كان يعرف بمعبد النوبهار وكان الفرس يسمون من يشرف على شئون هذا المعبد برمكا .
انظر الجهشيارى : الوزراء والكتاب حاشية رقم (١) .
، جمال سرور : الحياة السياسية ص٢١٠ .

(٢) عاصر برمك الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥هـ / ٧٢٤ - ٧٤٣م) ويروى أنه اعتنق الإسلام فى أواخر أيامه .
، جمال سرور : نفس المرجع والصفحة .

(٣) قرب السفاح خالد بن برمك إليه وأولاه ثقته وأحله من نفسه محل التعظيم والتكريم ، ولكنه لم يغتر بذلك وأبى إلا أن يظهر بمظهر المتواضع وتجنب أن يسمى وزيرًا ، رغم أنه كان يعمل عمل الوزراء خشية أن يحل به ما حل بأبى سلمة الخلال ، ثم أسند إليه المنصور ولاية الموصل سنة ١٥٨هـ فساس أهلها أحسن وقهر المفسدين من الأكراد ، وكان المنصور يرجع فى رأيه إليه حتى أنه لما أراد أن يهدم إيوان كسرى ليستخدمه فى بناء قصر له عدل عن ذلك بعد أن بين له خالد أن نفقة هدمه أكثر من عائد نفعه .
الطبرى جـ٨ ص٥٤ ، ص٥٦ .
ابن طباطبا : الفخرى ص١٣٤ ، جمال سرور : ص٢١٠ .

(٤) الفخرى : ص١٧٣ ، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى جـ٢ ص٥٤ .

وكان يحيى بن خالد البرمكى أشهر رجال عصره علمًا وأدبًا وفضلاً وجودًا ونبلاً وكان فى الثانية عشرة من عمره حين قامت الدولة العباسية فتربى فى كنفها وشمله المنصور بعطفه فولاه آذربيجان سنة ١٥٨هـ[1] واختاره المهدى كاتبًا له ونائبًا لابنه هارون ، فخرج معه فى الصائفة (المعارك الصيفية) لغزو البيزنطيين ، ولما تولى هارون بلاد المغرب سنة ١٦٣هـ[2] ساعده يحيى على النهوض بأعبائها وأخلص له كل الإخلاص ن ولما أراد الهادى أن يخلع هارون من ولاية العهد نصح له بالعدوان عن هذا الرأى نظرًا لصغر ابن الهادى ، غير أن الهادى[3] سرعان ما وقع تحت تأثير بعض قواده اجتمعوا به وطالبوه بأن يخلع هارون ويبايع ابنه جعفر تقربًا إليه ورغبة فيما يصل إليهم من العطايا ، فبعث فى طلب يحيى وتحدث معه فى مسألة نقل ولاية العهد إلى ابنه جعفر ، فأخذ يحيى يهدئ من ثائرة غضبه ويحاول جهده أن يثنيه عن عزمه ، على أن انحياز يحيى إلى هارون جعل الهادى يحقد عليه فقال له : لقد أفسدت على أخى وأمر بحبسه ، فقضى فى سجنه ليلة ، ثم توفى الهادى ، فأطلقت أمه الخيزران سراحه فذهب يحيى من فوره إلى هارون وهنأه بالخلافة[4] .

---

(١) كان أبو جعفر المنصور معجبًا بيحيى بن خالد وكان يقول : ولد الناس ابنا وولد خالد أبا .
الطبرى : جـ٨ ص٥٦ .

(٢) الطبرى : جـ٨ ص١٤٦ - ١٤٧ ، جمال سرور : ص٢١١ .

(٣) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص١٧٠ .
، ابن طباطبا : الفخرى ص١٧٤ .

(٤) كان ذلك سنة ١٧٠هـ .
، الطبرى : جـ٨ ص٢٠٧ - ٢١٣ .

لم يلبث هارون الرشيد أن قلد كاتبه الوفى المخلص يحيى بن خالد البرمكى الوزارة بعد اعتلائه عرش الخلافة ، وفوض إليه أمر دولته ، واستعان بأولاده الأربعة جعفر والفضل ومحمد وموسى ، ونهض يحيى بأعباء الدولة أتم نهوض ، فكان يحيى وابناه الفضل وجعفر يجلسون للناس جلوسًا عامًا فى كل يوم إلى انتصاف النهار ، وينظرون فى أمورهم وحوائجهم ، وقد أسندت إدارة الدواوين إلى يحيى بن خالد مع الوزارة سوى ديوان الخاتم الذى تقلده أبى العباس الطوسى ، وديوان النفقات الذى عهد به يحيى إلى الفضل بن الربيع[1] .

وكان الفضل أكبر ابناء يحيى من كرام أهل عصره ، وكان عضد أبيه ، ينوب عنه فى مهام أعماله ، ولما ولد الأمين عهد الرشيد إلى الفضل بتربيته وفى سنة ١٧٦هـ ندب الفضل لحرب يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على ابن أبى طالب ، الذى ثار فى بلاد الديلم ، فاستطاع بحسن سياسته ودهائه أن يستميله إلى الصلح ويحصل له على أمان بخط الخليفة[2] .

وفى سنة ١٧٨هـ ولاه هارون بلاد خراسان ،فقضى على الفتنة التى قامت بها ، وأحسن معاملة أهلها وبنى بها المساجد والأربطة ، وأمر بهدم بيت النوبهار (بيت النار) وبنى موضعه مسجدًا ، وزاد من عدد الجند والقواد وحذا حذو أبيه فى الكرم وأجزال العطايا على الوافدين عليه وعلى الكتاب ثم عاد بعد سنة إلى بغداد[3] .

---

(١) الطبرى : حـ٨ ص٢٣٣ حوادث سنة ١٧٠هـ .
، الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص١٧٧ ، ص١٧٨ ، ص١٧٩ .
(٢) الطبرى : حـ٨ ص٢٤٢ - ٢٤٣ .
، الجهشيارى : ص١٨٩ - ص١٩٣ .
(٣) الطبرى : حـ٢ ص٢٥٧ ، ص٢٦٠ - ص٢٦١ .
، الوزراء والكتاب ص١٨٣ - ١٩٣ .

أما جعفر بن يحيى فقد اشتهر بالفصاحة والفطنة والحلم والكرم ، وكان يحيى بن خالد يميل إلى ابنه الفضل ، أما هارون فكان يأنس بجعفر لحسن أخلاقه ويؤثره على الفضل ، وكثيرًا ما يقول ليحيى : أنت للفضل وأنا لجعفر ، وبلغ من حرصه على صداقته أن أنزله قصر الخلد على مقربة من قصره([1]) ، ونظرًا لأنس هارون بجعفر ، فقد عمل على التخلص من الفضل لشراسة أخلاقه حتى قيل أن الرشيد قال يومًا ليحيى : يا أبى ما بال الناس يسمون الفضل الوزير الصغير ولا يسمون جعفرًا بذلك فقال يحيى : لأن الفضل يخلفنى . قال : فضم إلى جعفر أعمالاً كأعمال الفضل ، فقال يحيى : أن خدمتك ومنادمتك يشغلانه عن ذلك ، فجعل إليه أمر دار الرشيد ، فسمى بالوزير الصغير أيضًا([2]) .

لم يلبث الرشيد أن نقل ديوان الخاتم من الفضل إلى جعفر لعلو منزلته عنده ومحبته إياه ، وولاه مصر فى سنة ١٧٦هـ وأرسله سنة ١٨٠هـ إلى بلاد الشام حين ثار أهلها ، فأزال أسباب التذمر ، وأطمأنت خواطر أهل الشام ، فعلت منزلته عند الرشيد ، فأسند إليه فى هذه السنة ولاية خراسان ثم ولاه حراسة الجيش([3]) .

---

(١) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص١٨٩ - ص١٩٢ .

، محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية ص٢١٢ .

(٢) ابن طباطبا : الفخرى ص١٨٥ - ص١٨٦ .

، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى جـ٢ ص٥٧ .

(٣) الطبرى : جـ٨ ص٢٥٢ ، ص٢٦٢ بيروت .

أما موسى فكان أشد أبناء يحيى البرمكى بأسًا وقائدًا ومحنكا ، ولاه الرشيد بلاد الشام سنة ١٧٦هـ ، فأصلح أمورها ، غير أن على بن عيسى والى خراسان أوقع بموسى عند الرشيد ورماه بتهمة إثارة الاضطرابات فيها والخروج على طاعة الخلافة ، واتفق أن اختفى موسى بسبب دين عليه ، فاعتقد الرشيد صحة هذه الوشاية ، وأمر به فحبس فى الكوفة ، ولم يطلق سراحه إلا بوساطة أمه ، وضمان أبيه له ، ثم عفا عنه وخلع عليه ، أما محمد بن يحيى فكان سريًا بعيد الهمة ، ولم يكن له من الشهرة ما كان لأخوته(١) .

وأصبحت إدارة الدولة العباسية فى السنوات الأولى من عهد الرشيد فى يد البرامكة ، ولم تكن إدارتهم مختلة ، بل اشتهروا جميعًا بحسن استعدادهم الإدارى ، فقد أوصى أولاده بقوله : « لا بد لكم من كتاب وعمال وأعوان فاستعينوا بالأشراف ، وإياكم وسفلة الناس ، فإن النعمة على الأشراف أبقى وهى بهم أحسن والمعروف عندهم أشهر والشكر منهم أكثر »(٢) .

من ذلك نستطيع أن نقف على مبلغ خطر الأسرة البرمكية فى أيام هارون الرشيد ، الذى وثق بهم ، وفوض إليهم أمور دولته ، ولا نعجب إذا انصرف إليهم الناس ، ونظموا القصائد الرائعة فى مدحهم والتغنى بكرمهم وجودهم الذى كان مضرب الأمثال ، وقد أشاد ابن طباطبا بذكرهم فقال(٣) :

---

(١) الطبرى : جـ٨ ص٢٥١ ، ص٢٩٣ .

(٢) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص١٧٩ .

، جمال سرور ص٢١٢ - ٢١٣ .

(٣) الفخرى فى الآداب السلطانية ص١٧٣ .

« كان يحيى وبنوه كالنجوم زاهرة والبحور زاخرة ، والغيوث ماطرة ، أسواق الأدب عندهم نافقة ، ومراتب ذوى الحرمات عندهم عالية ، والدنيا فى أيامهم عامرة ، وأبهة الملك ظاهرة » .

وقد بلغ من جود يحيى وكرمه أنه كان إذا ركب أعد صررًا (جمع صرة) فى كل منها مائتا درهم يدفعها إلى الذين يقفون فى طريقه ، يلتمسون معونته ، لهذا لا نعجب إذا تلمس الوشاة وعمال السوء أسباب الإيقاع بالبرامكة(١) .

نكبة البرامكة :

لم يلبث هارون الرشيد أن تغير على البرامكة ، فقد أمر بعد عودته من حجه سنة ١٨٧هـ وكتابة عهدى ولديه الأمين والمأمون ، بقتل جعفر وصلبه وحرقه وحبس يحيى بن خالد وأبناؤه ، ومصادرة كل ما يملكون من عقار وأموال ورقيق(٢) .

أسباب نكبة البرامكة :

اختلفت كلمة المؤرخين وأصحاب السير فى السبب الذى دفع هارون الرشيد إلى نكبة البرامكة ، مع أنه شب فى حجر يحيى بن خالد حتى كان يدعوه : يا أبت ، ونسب البعض ذلك إلى مجرد الغيرة والملل ، فقد سئل سعيد بن سالم عن خيانة البرامكة الموجبة لغضب الرشيد عليهم فقال : « والله ما كان ما يوجب عمل الرشيد بهم ، ولكن طالت أيامهم ، وكل طويل مملول ، ورأى الرشيد مع ذلك أنس النعمة بهم وكثرة حمد الناس لهم ، فتعنت عليهم وتجنى ، ولاذ بالخليفة

---

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى جـ٢ ص٦٠ .

(٢) الطبرى : جـ٨ ص٢٩٤ وما بعدها .

أعدائهم ، كالفضل بن الربيع ، وغيره ، الذين نجحوا فى الإيقاع بهم لدى الرشيد بذكر العيوب وستر المحاسن ، أضف إلى ذلك ما أظهره البرامكة من الدالة على الرشيد محالا تتحمله نفوس الملوك ، فضلاً عن سعاية أعداء البرامكة عند الرشيد ، ومما يدل على تأثير هذه السعايات فى نفس الرشيد ما رواه ابن طباطبا[1] عن بختيشوع الطبيب قال : « دخلت يومًا على الرشيد وهو جالس فى قصر الخلد ، وكان البرامكة يسكنون بحذائه من الجانب الآخر ، وبينهم وبينه عرض دجلة ، فنظر الرشيد ، فرأى اعتراك الخيول وازدحام الناس على باب يحيى بن خالد فقال : جزى الله يحيى خيرًا تصدى للأمور وأراحنى من الكد ووفر أوقاتى على اللذة ، ثم دخلت عليه بعد أوقات وقد شرع يتغير عليهم ، فنظر فرأى الخيول كما رآها تلك المرة فقال : استبد يحيى بالأمور دونى ، فالخلافة على الحقيقة له ، وليس لى منها إلا اسمها فقلت أنه سينكبهم فنكبهم عقيب ذلك .

ومما يرويه الطبرى[2] عن تغير الرشيد على البرامكة أن يحيى بن خالد طلع على الرشيد ، وكان فيما مضى يدخل بلا إذن ، فلما دخل وصار بالقرب من الرشيد رد عليه الرشيد ردًا ضعيفًا ، ثم أقبل على جبريل وكان من الحاضرين بمجلسه وسأله : ما بالنا يدخل علينا بلا إذن ، فقام يحيى فقال : يا أمير المؤمنين قدمنى الله قبلك ، والله ما أبتدأت ذلك الساعة وما هو إلا شئ كان قد خص به أمير المؤمنين ورفع به ذكرى حتى أن كنت لأدخل

(١) الفخرى ص١٩٠ .

(٢) الأمم والملوك جـ٨ ص٢٨٨ .

، ابن الأثير : جـ٥ ص١١٥ .

وهو فى فراشه مجردًا أحيانًا وحينا فى بعض إزاره ، وما علمت أن أمير المؤمنين كره ما كان يجب ، وإذا علمت ، فأنى أكون عنده فى الطبقة الثانية من أهل الإذن أو الثالثة أن أمرنى سيدى بذلك قال : فاستحى وكان من أرق الخلفاء وجهًا وعيناه فى الأرض أن يرفع إليه طرفه ثم قال : ما أردت ما تكره ولكن الناس يقولون ، قال : فظننت أنه لم يسنح له جواب يرتضيه فقال بهذا القول . ثم أمسك عنه وخرج يحيى .

كذلك يروى الطبرى[١] عن مبلغ حقد الرشيد على البرامكة وعمله على الغض من شأنهم ، فأمر غلمانه بالأعراض عنهم والاستهتار بهم إذا دخلوا قصره ، فكانوا لا يقومون لهم ولا يلبون رغباتهم ، أضف إلى ذلك أن أعداء البرامكة من بطانة الرشيد دسوا للمغنين شعرًا يثير عامل المنافسة والحقد فى نفسه[٢] ومنه هذين البيتين :

ليت هندا انجزتنا ما تعد   وشفت أنفسنا مما تجد

واستبدت مرة واحدة   فإن العاجز من لا يستبد

فلما سمع الرشيد هذين البيتين قال : أى والله أنى لعاجز وسلط عليهم سيف انتقامه[٣] ، ولم يكن الرشيد غافلاً عن حقيقة الحال فى دولته ، وعن أن السلطة

---

(١) الأمم والملوك جـ٨ ص٢٨٨ .

، ابن الأثير : جـ٥ ص١١٥ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص١٥ .

(٣) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى جـ٢ ص١٦٨ .

الفعلية وإدارة الدولة أصبحت فى يد البرامكة وعن تغلغل النفوذ الفارسى فى بلاطه ودواوينه ، وعن تذمر العرب واستيائهم لخروج السلطة من يدهم إلى الفرس ، وكانت البيئة التى نشأ فيها الرشيد كما رأينا - قد اضطرته إلى اتخاذ الفرس عدة لدولته ، فلم يحاول فى بداية عهده أن يباعد بين هؤلاء البرامكة الذين رفعوه إلى عرش الخلافة وبين مناصب الدولة ، ورأى أن ينهج طريقًا وسطًا ، حتى تحين له الفرصة للقضاء على استئثار هذه الأسرة بالنفوذ فى البلاد ، فعول فى بداية عهده على استجلاب محبة شعبه وإعلاء شأنه بين المسلمين ، وسلك فى سبيل الاحتفاظ بمكانته بين رعاياه عدة طرق ، منها الاتصال بجمهور المسلمين عن طريق حجه المستمر ، فكان يحج سنة ويغزو سنة مدة خلافته إلا سنين قليلة ، وإذا ما خرج للحج صحبه كبار العلماء ورجال الدولة(1) ، فيسير الخليفة فى موكب عظيم مجتازًا المسافة بين بغداد ومكة ، وكان الرشيد فى أثناء الطريق يفرق الهدايا على الأهالى فى البلاد التى يمر بها ، وإذا ما وصل إلى مكة وزع الهبات والأموال على فقرائها ، وكذلك الحال إذا ما قدم على المدينة ، وكان يتصدق كل يوم بألف درهم على فقراء بغداد(2) .

ويعزو بعض المؤرخين نكبة هذه الأسرة إلى حوادث ليست فجائية كالتى تقدمت ، وإنما هى أمور جاءت متتابعة ، منها أن الرشيد كان يميل كثيرًا إلى تولية الفضل بن الربيع بعض أمور الدولة ، فكانت الخيزران أم الرشيد تحول دون ذلك ، وكان الفضل يظن أن الذى حملها على ذلك إنما

---

(1) ابن طباطبا الفخرى ص١٦٩ .

(2) ابن الأثير جـ٥ ص١١٤ هامش (١) بيروت .

هو جعفر البرمكى فلما مات الخيزران ولى الرشيد الفضل ديوان الخاتم وغيره مما كان فى يد جعفر[1] .

وأعقب ذلك حادث إطلاق يحيى بن عبد الله بن الحسن العلوى ، الذى خرج على الرشيد فى بلاد الديلم ، فبعث إليه الفضل بن يحيى البرمكى فى خمسين ألف مقاتل ، فما زال به حتى مال إلى الصلح ، وطلب أمانًا بخط الرشيد ، فكتب إليه الأمان بخطه ، وشهد فيه القضاة والفقهاء وكبار بنى هاشم ، ولما قدم يحيى تلقاه الرشيد بالحفاوة والإكرام ، ولكنه لم يلبث أن حبسه إذ علم أنه يعمل لخلعه ، واستفتى الفقهاء فى نقض الأمان الذى أعطاه يحيى ثم سلمه لجعفر بن يحيى البرمكى فأطلقه ، فكان ذلك من أهم أسباب نكبة البرامكة ، وفى ذلك يقول الطبرى[2] : وذلك أن الرشيد دفع يحيى إلى جعفر فحبسه ، ثم دعا به ليلة من الليالى فسأله عن شئ من أمره فأجابه إلى أن قال : « اتق الله فى أمرى ، ولا تتعرض أن يكون خصمك غدًا محمد ﷺ ، فوالله ما أحدثت حدثًا ولا آويت محدثًا فرد عليه وقال : اذهب حيث شئت من بلاد الله فقال : وكيف أذهب ولا آمن أن أوخذ بعد قليل فأرد إليك أو إلى غيرك !! فوجه معه من أداه إلى مأمنه ، وبلغ الخبر الفضل بن الربيع من عين كانت له عليه من خاص خدمه ، فعلا الأمر فوجده حقًا ، وانكشف عنده ، فدخل على الرشيد وأخبره ، فأراه أنه لا يعبأ بخبره وقال : وما أنت وهذا لا أم لك ، فلعل ذلك عن أمرى ، فانكسر الفضل ، وجاءه جعفر فدعا

(١) الطبرى : حـ٨ ص٢٣٨ وكان ذلك سنة ١٧٣هـ .

(٢) الأمم والملوك حـ٨ ص٢٤٢ - ص٢٥١ ، ص٢٨٨ - ص٢٨٩ .
، ابن الأثير : حـ٥ ص١١٤ بيروت .

الرشيد بالغداء فأكلا وجعل يلقمه ويحادثه إلى أن كان آخر ما دار بينهما أن قال ! ما فعل يحيى بن عبد الله ؟ قال : بحاله يا أمير المؤمنين فى الحبس الضيق والأكبال قال : بحياتى . فأحجم جعفر وكان من أدق الناس ذهنًا وأصحهم فكرًا . فهجس فى نفسه أنه قد علم بشئ من أمره ، وقال : لا وحياتك يا سيدى ، ولكن أطلقته وعلمت أنه لا خيانة ولا مكروه عنده ، قال : نعم ما فعلت وما عدوت ما كان فى نفس ، فلما خرج أتبعه ببصره حتى كاد أن يتوارى عن وجهه ، ثم قال : قتلنى الله بسيف الهدى على عمل الضلالة إن لم اقتلك ، فكان من أمره ما كان(1) .

لذلك لا نعجب إذا ساءت العلاقة بين البرامكة وبين الرشيد وساعد على اشعال هذه النار سعاية الفضل بن الربيع وغبيرة وكراهية زبيدة أم الأمين للبرامكة ، إذ كانت تظن أن الرشيد قد عهد إلى ابنه المأمون دون الأمين بتأثير يحيى بن خالد البرمكى ، أضف إلى ذلك ما اتصل بعلم الرشيد من أن عبد الملك بن صالح العباس كان يدعو إلى نفسه وأن البرامكة كانوا يساعدونه فغضب عليهم الرشيد وحبس عبد الملك معهم(2) .

---

(١) وفى هذا نرى أن الرشيد محق فى غضبه على جعفر بن يحيى الذى أخطأ بتصرفه هذا وكان عليه أن يرجع إلى الخليفة فى طلب الإفراج عن هذا العلوى ، أما أن يتصرف هكذا فقد أعطى جعفر نفسه سلطة تفوق مكانته كقائد عسكرى عليه أن يسمع ويطيع أوامر القائد الأعلى هارون الرشيد .

(٢) الطبرى : جـ٨ ص٣٠٥ - ص٢٠٦ بيروت .

، ابن الأثير : جـ٥ ص١١٦ - ص١١٨ بيروت .

ولم يكن جعفر البرمكى وحده هو الذى اتهم بالتقرب إلى العلويين ، بل شاركه فى ذلك أخوه موسى بن يحيى ، فقد رماه أعداءه بأنه ينشر الدعوة إلى العلويين ، ويعمل على تحويل الخلافة إليهم بين أهالى خراسان(١) .

أما قصة العباسة مع جعفر بن يحيى البرمكى ، وتتلخص فى أن هارون الرشيد ، لكلفه بمكانة جعفر وأخته العباسة وحرصه على حضورهما بجلسه إذن لهما فى عقد الزواج دون الخلوة ، وأن الرشيد غضب على جعفر لعدم تنفيذ هذا الشرط(٢) ، فأمر نستبعده كل البعد مع ما نعرفه من نسب العباسة وحسبها ودينها ، فهى بنت الخليفة المهدى بن المنصور وهى كما يقول ابن خلدون(٣) : « قريبة العهد ببداوة العروبة وسذاجة الدين ، البعيدة عن عوائد الترف ومواقع الفحش ، فأين يطلب الصون والعفاف إذا ذهب عنها ؟ أو أين توجد الطهارة والذكاء إذا فقدا من بيتها ؟ وكيف تلحم نسبها بجعفر ابن يحيى وتدنس شرفها العربى بمولى من موالى العجم ؟ .. وكيف يسوغ من الرشيد أن يصهر إلى موالى الأعاجم على بعد همته وعظم أبائه ؟ ولو نظر المتأمل فى ذلك نظرة المنصف وقاس العباسية بابنة ملك من ملوك زمانه لاستنكف

---

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى حـ٢ ص١٧٠ .

(٢) يذكر الطبرى : حـ٨ ص٢٩٤ عن أحمد بن زهير أن سبب هلاك جعفر والبرامكة أن الرشيد كان لا يصبر عن جعفر وعن أخته عباسة بنت المهدى ، وكان يحضرهما إذا جلس للشرب ، وذلك بعد أن أعلم جعفرًا قلة صبره عنه وعنها وقال لجعفر : أزوجكم ليحل لك النظر إليها إذا أحضرتها بجلسى ، وتقدم إليه إلا يمسها ولا يكون منه شئ مما يكون للرجل وزوجته فزوجها منه على ذلك إلا أن جعفرًا لم يلتزم بذلك فحملت العباسة منه وولدت غلامًا فلما علم الرشيد قتل الصبى وتغير على جعفر ، انظر أيضًا ابن الأثير حـ٥ ص١١٤ .

(٣) المقدمة : ص١٤ .

لهـا عن مثله مع مولى من موالى دولتهـا ، وفى سلطان قومهـا واستنكـــره ولـغ فى تكذيبه ، وأين قدر العباسة والرشيد من الناس » .

ومما يؤيد بطـلان هـذا الـرأى مـا نعلمـه مـن أنفـة العباسـيين عـن مصـاهرة المـوالى وليسـت حكايـة أبـى مسـلم الخراسـانى مـع زوجـة عبـد الله بـن علـى العبـاس ، التـى زادت مـن حنـق المنصـور عليـه ، وسـاعـدت علـى الفتـك بـه بعيـدة عـن أذهاننـا([1]) .

ونحن نميل إلى القول بـأن الرشـيد نكـب البرامكـة لمـا كـان مـن اسـتبدادهم بالأمور دونه ، وفى ذلك يقول ابن خلدون([2]) : « وإنما نكـب البرامكـة مـا كـان من استبدادهم على الدولة ، واحتجانهم أموال الجباية ، حتى كان الرشـيد يطلـب اليسير من المال فلا يصل إليه ، فغلبوه على أمره ، وشاركوه فى سـلطانه ولم يكـن له معهم تصرف فى أمور ملكه ، فعظمت آثارهم ، وبعد صيتهم ، وعمروا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء ، من ولدهم وصنائعهم واحتـازوها عمـن سواهـم ، من وزارة وكتابة وقيادة وحجابة وسيف وقلم ، فتوجه الإيثار من السـلطان إليهـم وعظمـت الدولـة منهـم وانبسـط الجـاه عندهـم ، وانصرفـت نحوهـم الوجـوه ، وخضعت لهـم الرقـاب ، وقصرت عليهم الآمـال ، ومدحـوا بمـا لم يمـدح به خليفتهم ، وأسنوا لعفاتهم الجوائز والصلات ، واستولوا علـى القـرى والضيـاع من الضواحى والأمصـار فـى سـائر الممـالك ، حتـى آسـفوا البطانـة ، وأحقـدوا الخاصة ، وأقصوا أهـل الولاية ، فكشـف لهم وجـوه المنافسـة والحقـد ، ودبـت إلى مهادهم الوثيرة عقارب السعاية » .

---

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى جـ٢ ص١٧١ .

(٢) المقدمة : ص١٤ .

عاش البرامكة عيشة قوامها البذخ والإسراف وحب الظهور ، وأغدقوا الأموال على الشعراء والعلماء ، ولم يردوا قاصدًا . قيل أن جعفر بن يحيى البرمكى انفق على بناء داره عشرين ألف ألف درهم ، وهو - كما يبدو - مبلغ ضخم لا يقل عن مليون وستمائة وستين ألف دينار ، غير ما يحتاج إليه هذا البناء من أثاث ورياش وخدم وحشم وما إلى ذلك من أسباب البذخ وألوان الترف التى تثير عوامل الغيرة فى نفس أعدائهم وحسادهم ، وتهيئ لهم سبيل الإيقاع بهم عند الخليفة ، بهذا تنبأ إبراهيم بن المهدى ، ووجد أن نكبة البرامكة آتية لا ريب فيها ، وهو يقص علينا هذه العبارة التى ننقلها عن الطبرى[1] قال : « أتيت جعفر بن يحيى داره التى ابتناها فقال لى : أما تعجب من منصور بن زياد قلت : فبماذا ؟ قال : سألته هل ترى فى دارى عيبًا ؟ قال : نعم ليس فيها لبنة ولا صنوبرة قال إبراهيم : فقلت : الذى يعيبها عندى إنك انفقت عليها حوالى نحوا من عشرين ألف ألف درهم وهو شئ لا آمنه عليك غدا بين يدى أمير المؤمنين ، قال : وهو يعلم أنه قد وصلنى بأكثر من ذلك وضعف ذلك سوى ما عرضنى له ، قلت : إنما العدو إنما يأتيه فى هذا من جهة أن يقول : يا أمير المؤمنين إذا أنفق على دار عشرين ألف ألف درهم ، فأين نفقاته ؟ وأين صلاته ؟ وأين النوائب التى تنوبه ؟ وما ظنك يا أمير المؤمنين بما وراء ذلك ؟ وهذه جملة سريعة إلى القلب والموقف الحاصل منها صعب ، قال :

---

(١) الأمم والملوك جـ٨ ص٢٩١ بيروت .
، ابن الأثير : جـ٥ ص٢١٤ بيروت .

أن سمع منى أن قلت إن لأمير المؤمنين نعمًا على قوم قد كفروها بالستر لها ، وبإظهار القليل من كثيرها ، وأنا رجل نظرت إلى نعمته عندى فوضعتها فى رأس جبل ثم قلت للناس تعالوا وانظروا »(١) .

ويتهم البغدادى(٢) البرامكة فيرميهم بالزندقة والميل إلى مذهب المجوس فيقول عند كلامه على الباطنية « و لم يمكنهم (الباطنية) إظهار عبادة النيران ، واحتالوا بأن قالوا للمسلمين ينبغى أن تجمر المساجد وأن تكون فى كل مسجد مجمرة يوضع فيها الند (الطيب) والعود فى كل حال وكان البرامكة قد زينوا للرشيد أن يتخذ فى جوف الكعبة مجمرة يتبخر عليها العود ابداً ، فعلم الرشيد أنهم أرادوا من ذلك عبادة النار فى الكعبة ، وأن تصير الكعبة بيت نار ، فكان ذلك أحد أسباب قبض الرشيد على البرامكة وذكر ابن النديم(٣) أن « البرامكة بأسرها ألا محمد بن خالد بن برمك كانت زنادقة » .

كان من أثر خوف الرشيد على ملكه وعلى نفسه أن وصل إلى درجة الوساوس ، حتى جعله ذلك أذنًا يسمع كل واش ، ويصدق كل حسود ، فسعى إلى القضاء على هذه الأسرة ، وذلك أنه لما عاد من الحج سار من الحيرة إلى الأنبار فى السفن ، وركب جعفر بن يحيى إلى الصيد وجعل يشرب تارة ويلهو أخرى ، وتحف الرشيد وهداياه تأتيه ، وعنده بختيشوع الطبيب

---

(١) الطبرى : جـ٨ ص٢٩١ .
، ابن الأثير : جـ٥ ص٢١٤ .
(٢) الفرق بين الفرق ص٢٧٠ .
(٣) الفهرست : ص٤٧٢ .

وأبو زكار الأعمى يغنيه ، فلما حل المساء دعا الرشيد مسرورًا الخادم - وكان مبغضًا لجعفر - وقال : اذهب فجئنى برأس جعفر ولا تراجعنى فوافاه مسرور بغير إذن وهجم عليه وأبو زكار يغنيه :

فلا تبعد فكل فتى سيأتى | عليه الموت يطرق أو ينادى
وكل ذخيرة لا بد يومًا | وأن كرمت تصير إلى نفاد

فلما دخل مسرور قال جعفر : لقد سررتنى بمجيئك وسؤتنى بدخولك على بغير إذن فقال : الذى جئت له أعظم ، أجب أمير المؤمنين إلى ما يريدك فوقع على رجليه وقبلها وقال له : عاود أمير المؤمنين فإن الشراب قد حمله على ذلك وقال : دعنى أدخل دارى فأوصى فقال : الدخول لا سبيل إليه ، وأما الوصية فأوصى بما بدالك ، ثم حمله إلى منزل الرشيد ، وعدل به إلى قبة ، وضرب عنقه وأتى برأسه على ترس إلى الرشيد وبدنه فى نطع ، ووجه الرشيد فقبض على أبيه وأخوته وأهله وأصحابه بالرقة واستأصل شافتهم ، وكان قتل جعفر البرمكى فى أوائل صفر سنة ١٨٧هـ[١] .

لم تكن نكبة البرامكة فجائية كما يتصور البعض ، بل كانت بعد تفكير طويل ، فالرشيد لم يكن غافلاً عن حقيقة الحال فى دولته ، وعن أن السلطة الفعلية وإدارة الدولة أصحبت فى يد البرامكة ، وتذمر العرب واستيائهم من ازدياد النفوس الفارسى ، ويروى عن السندى بن شاهك (صاحب الشرطة) أن الرشيد أسر إليه أنه يستعد للقبض على البرامكة وحجز أموالهم قبل سنة من إيقاعه بهم ،

---

(١) الطبرى : حـ٨ ص٢٩٤ - ص٢٩٦ بيروت .
، ابن الأثير : حـ٥ ص١١٥ بيروت .

كما أن موقف الرشيد منهم فى السنوات السابقة لنكبتهم تدل على شعوره بضرورة التخلص منهم ، فصرف محمد بن خالد بن برمك عام ١٧٩هـ عن حجابته وقلدها الفضل بن الربيع[١] وولى فى السنة التالية ١٨٠هـ عيسى بن جعفر خراسان وعزل عنها جعفر بن يحيى الذى ولى الحرس ، واستخلف على الحرس هرثمة بن أعين ، كما عزل الفضل بن يحيى عن طبرستان والرويان والرى[٢] .

و لم يكن الرشيد بالخليفة الذى يتساهل فى حقوقه . بل هو رجل على شئ كبير من الدهاء ، فأظهر فى بداية خلافته عدم اكتراثه باستئثار البرامكة بالنفوذ ، وعول فى نفس الوقت على انتهاز الفرص لاستعادة ما أخذوه من سلطته ، ثم جاهر باستيائه من استبدادهم بالأمور دونه حين بدأ يتغير عليهم . ومن الملاحظ أن البرامكة لم يتخلوا عن تراثهم ونزعتهم الفارسية أثناء توليهم مهام الدولة فى أيام الرشيد ، فلا يستطيع أحد أن ينكر ميل خالد بن يرمك لأهل خراسان فى أيام أبو العباس ، كما أن يحيى بن خالد كان يؤثر الفرس على غيرهم ، فرشح الفضل بن سهل لتولى أمور المأمون أيام الرشيد[٣] .

وصفوة القول أن تخلص الرشيد من البرامكة كان نتيجة أحداث متتالية ، أتاحت الفرصة للخليفة ليستعيد سلطته على الدولة ، وقد استطاع الرشيد أن يلقى فى روع الجميع أنه على حق فى الإيقاع بالبرامكة دون أن يصرح بالسبب الذى

---

(١) الطبرى : جـ٨ ص٢٦١ ، ص٢٦٦ .
(٢) الطبرى : جـ٨ ص٢٦١ ، ص٢٦٦ .
(٣) حسن إبراهيم حسن : جـ٢ ص١٧٤ .

دعاه إلى ذلك ، ففقد أسرة تعد زهرة دولته وغرة جبينها ففقد وزراء إن كتبوا أجادوا ، وإن قادوا الجيوش سدوا الثغور ، وإن ولوا عملاً أصلحوا .

الأمين[١] (١٩٣ - ١٩٨هـ / ٨٠٨ - ٨١٣م) :

عهد الرشيد بالخلافة للأمين ثم المأمون ثم المؤتمن[٢] ، فلما توفى فى جمادى الآخرة سنة ١٩٣هـ ولى الأمين الذى كان عهده مليئًا بالفتن والاضطرابات ، ففى الوقت الذى قامت الفتنة بينه وبين أخيه المأمون اشتعلت نار الثورة فى بلاد الشام على يد على بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية المعروف بالسفيانى ، الذى دعا إلى نفسه واحتل دمشق وما يليها ، بعد أن طرد عامل الأمين ، وكاد يتم له الاستقلال بهذه البلاد لولا قيام نزاع خطير بين اليمنيين والمضريين حال دون تحقيق أطماعه ، ومع ذلك لم تتمكن القوات التى أرسلها الأمين بقيادة الحسين بن على بن عيسى ، ثم عبد الله بن صالح بن على العباسى من القضاء على السفيانى نظرًا لاضطراب الأوضاع فى بغداد الأمر الذى جعل بلاد الشام مسرحًا للفوضى سنتين أو أكثر[٣] .

لم يعمر الأمين طويلاً حيث قتل بعد أن جلس على عرش الخلافة أربع سنين وثمانية أشهر وخمسة أيام ، وكان فى الثامنة والعشرين من عمره ، وقد ذهب

---

(١) ولد أبو عبد الله محمد الأمين سنة ١٧٠هـ وهى السنة التى ولى فيها أبوه الرشيد الخلافة ، وذلك بعد مولد أخيه المأمون بستة أشهر ، وأمه أم جعفر زبيدة إبنة أبو جعفر بن المنصور . ، الطبرى : جـ٨ ص٢٣٣ ، ابن الأثير : جـ٥ ص١٦٧ .

(٢) الطبرى : جـ٨ ص٢٧٥ - ٢٧٦ .

(٣) الطبرى : جـ٨ ص٤١٥ ، حوادث سنة ١٩٥هـ .

الأمين ضحية الفتنة التى قامت بينه وبين أخيه المأمون ، بسبب خلعه إياه وتولية إبنه موسى العهد من بعده[١] ، ونكث العهد والميثاق الذى أخذه عليه أبوه الرشيد وعلقه فى الكعبة ، وقد ساد عهده هذه الفتنة الهوجاء التى فرقت المسلمين وأضعفت قوتهم ، ولما قتل الأمين أرسل عبد الله بن طاهر رأسه إلى المأمون ، الذى صفا له الجو واستقرت له الأمور[٢] .

المأمون[٣] (١٩٨ - ٢١٨هـ / ٨١٣ - ٨٣٣م) :

بويع المأمون بالخلافة وهو فى الرى ، وظل بخراسان حتى قدم بغداد منتصف شهر صفر سنة ٢٠٤هـ ، وقد ثار أهل بغداد وولوا إبراهيم بن المهدى

---

(١) قامت تلك الفتنة فى بغداد حين عزم الأمين على خلع أخيه المأمون من ولاية العهد وشجعه على ذلك وزيره الفضل بن الربيع لأنه كان يخاف المأمون لما فعله عند وفاة الرشيد من احضاره جميع عسكره إلى الأمين ، وكان الرشيد قد أوصى به للمأمون ، كذلك حسن الفضل بن الربيع للأمين خلع أخيه والبيعة لإبنه موسى ، ووافق الفضل فى رأيه بعض الناس ، فمال الأمين إلى أقوالهم على حين نهاه أصحابه وذوو الرأى فى بغداد عن ذلك وحذروه عاقبة البغى ونكث العهود والمواثيق وقالو له : « لا تجرئ القواد على الخلع فيخلعوك ولا تحملهم على نكث العهد فينكثوا بيعتك وعهدك فلم يلتفت إليهم ومال لرأى الفضل بن الربيع الربيع وولى عهده ابنه موسى وسماه الناطق بالحق ، فقام فى وجهه أهل الحجاز واشتعلت نيران الفتنة التى أودت بخلافته : السيوطى : تاريخ الخلفاء ص٤٧٥ تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم .

(٢) الطبرى : جـ٨ ص٤٨٨ وما بعدها .

(٣) ولد المأمون سنة ١٧٠هـ وأمه أم ولد فارسية تسمى مراجل .

، الطبرى : جـ٨ ص١٩٣ .

الخلافة(١) حين كان المأمون بمرو ، فلما أحس الناس بقدوم المأمون خلعوا إبراهيم بن المهدى ، الذى اختفى ، فتم القبض عليه ، وعفا عنه المأمون وقربه إليه ، إلا أنه لم يلبث أن قبض عليه عقب اكتشاف مؤامرة بزعامة إبراهيم ابن محمد بن عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام المعروف بابن عائشة ، ترمى إلى اغتيال المأمون تولية إبراهيم بن المهدى ثانية الخلافة ، ومع ذلك فقد عفا عنه المأمون وقتل ابن عائشة(٢) .

أبقى المأمون الفضل بن سهل وزيرًا له ولقبه ذا الرياستين لجمعه بين السيف والقلم(٣) ، وأسند إلى أخيه الحسن بن سهل أمر العراق(٤) ، وبذلك أصبح المأمون فى الواقع فى محيط فارس ، فأهل خراسان من الفرس وبنو سهل يديرون دفة دولته ، وعادت الحال إلى ما كانت عليه فى أوائل عهد الرشيد حتى استحوذ البرامكة على السلطة(٥) .

---

(١) ثار أهل بغداد وولوا إبراهيم بن المهدى الخلافة بعد أن جعل المأمون ولى عهده على بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب وسماه الرضى من آل محمد ﷺ ، وأمر جنده بطرح السواد ولبس ثياب الخضرة ، وكتب بذلك إلى الآفاق .

انظر الطبرى : جـ٨ ص٥٥٤ - ص٥٥٥ حوادث سنة ٢٠١هـ وابن الأثير : جـ٥ ص١٨٣ .

(٢) الطبرى : جـ٨ ص٥٧٤ ، ص٦٠٣ - ص٦٠٥ ابن الأثير جـ٥ ص٢٠٨ - ص٢١٠ .

(٣) الفخرى : ص١٦٩ .

(٤) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٣٠٥ مطبعة الحلبى ١٩٨٠م .

(٥) محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية فى الدولة العربية ص٢٢٧ .

وفى عهد المأمون شق نصر بن سيار بن شبث العقيلى عصا الطاعة ، وثار فى شمال حلب أواخر سنة ١٩٨هـ ، وتغلب على ما جاوره من البلاد وكان عربيًا يتعصب للأمين لأنه يمثل العنصر العربى ، وينقم على المأمون لإتخاذه الخراسانيين الفرس دون العرب أنصارًا له ، ولما انتصر طاهر بن الحسين على الأمين واستولى على العراق ندبه المأمون لمحاربة نصر ، ولكن طاهرًا لم يجد فى حربه لحقده على المأمون ووزيره الفضل بن سهل وانتزاعه بلاد العراق منه ، وانتصرت جيوش نصر على جيوش طاهر بن الحسين ، وآراد بعض العلويين أن يقيموا خليفة منهم ، فأبى نصر ذلك وقال : إنما هواى فى بنى العباس وإنما حاربتهم محاماة عن العرب لأنهم يقدمون عليهم العجم(١) .

ولما قدم المأمون بغداد استدعى طاهرًا وولى ابنه عبد الله خراسان وطلب إليه محاربة نصر(٢) ، فجد فى حربه وأرغمه على طلب الأمان ، وسيق إلى بغداد فى صفر سنة ٢١٠هـ(٣) بعد أن حارب جيوش المأمون نحوا من خمس سنين(٤) .

---

(١) ابن الأثير : جـ٥ ص١٧٦ بيروت .

(٢) الطبرى : جـ٨ ص٥٨١ حوادث سنة ٢٠٦هـ .

(٣) ابن الأثير : جـ٥ ص٢٠٧ - ص٢٠٨ .

(٤) انظر الطبرى : حوادث سنة ٢٠٥ - ٢١٠هـ .

خطـر الـزط(١) :

عكـر الـزط صفـو الخليفـة المـأمون ، وامتـد خطرهـم حتـى أيـام المعتصـم ومـن المستحسـن أن نلقـى الضـوء عليهـم مـن أيامهـم(٢) المبكـرة فـى الجزيـرة العربيـة حتـى ظهـور خطرهـم فـى عصـر المـأمـون وهـم قـوم هنـود سـود اللـون ، موطنهـم الأصلـى(٣) بـلاد السـند ، والبنجـاب ، وكـانت هـذه الجماعـة تنتشـر مـن أطـراف المنصـورة(٤) إلى مكـران(٥)

---

(١) الزط : معرب جات وقد كان قدومهم إلى العرب فى أيام الجاهلية ، وكـان كثير منهـم فى جند المسلمين أيام عمر بن الخطاب .

القاضى اطهر المباركيورى : العرب والهند فى عهد الرسالة ص٤٧ ترجمة عبد العزيز عـزت خليل الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٣م .

(٢) انظر لسان العرب لابن منظور جـ٧ ص١٠٣٨ .

(٣) العرب والهند فى عهد الرسالة ص٤٧ .

(٤) المنصور : قال الحموى جـ٨ ص١٧٧ - ١٧٨ : منصورة بأرض الهند مدينة كبـيرة كثـيرة الخيرات ذات جامع كبير سواريه (مآذنه) ساج ، ولهم خليج من نهر مهـران (نهـر السـند) وقال المسعودى : سميت منصورة نسبة إلى منصور بن جمهور عامل بنـى أمية وقـال هشـام سميت المنصورة لأن منصور بن جمهور الكلبى بناها فسـميت بـه ، وقـال الحسـن بـن أحمـد المهلبى سميت المنصورة لأن عمـر بـن حفـص الهـزاز المهلبى بناهـا أيـام المنصـور العبـاسى فسميت به ، وبين المنصورة والديـل سـت مراحـل وبـين الملتـان اثنـا عشـر مرحلـة . وظلت عامرة إلى سنة ٦٤٣ هـ أطهر المباركيورى : العرب والهند ص٤٩ .

(٥) ذكر ابن خرداذبة : أن المسافة من أول مكران إلى المنصورة ٣٥٨ فرسخا وأن الزط كـانوا حفاظا على الطريق . المسالك والممالك ص٥٦ طبع أوربا .

عـــلاوة علـــى بـــاقى بـــلاد الســـــند[١] ، وكـــان منهـــم مـــن كـــان يقطـــن بلوخستان والبنجـاب[٢] .

وصل الزط من الهند إلى البلاد العربية بطرق مختلفة ، ومنهم من كان يعمـل فى تربية الماشية والأغنام والأبل ، بعـد أن استوطنوا المنطقـة الساحلية مـن الأبلـة إلى عمان والبحرين ، وكـان أكثر الـزط فـى هـذه المنطقـة قـد انضـم إلى الجيـش الإيرانى المقيم فى البلاد العربية وفى بلاد فارس[٣] .

وكان الزط يسكنون المدن الكبيرة ، فى الرقعة الممتدة من فارس إلى العـراق ، وكانت أكبر مدن الزط ، تقع على مسافة ثمانية أميال من مفـترق الطـرق الذاهبـة إلى فارس من سوق الآهواز[٤] ، وكان فى منطقة خوزستان مدينة عظيمة للزط ، وكانت تنقسم إلى قسمين وتعرف كلتاهما باسمين مختلفين : **الأولى** : « حومة الزط » . **والثانية** : « خايران » وكلتاهما كبيرتان والعمران بهما كبير[٥] .

---

(١) العرب والهند : ص٤٥ .

(٢) البنجاب : كلمة مركبة من « بنج » بمعنى خمسة و « آب » بمعنى نهر ويطلق هذا الاسم على المنطقة التى تضم الأنهار الخمسـة ، وأصبح جزء منهـا فـى الباكستان يضم لاهـور وغيرها والجزء الآخر فى الهند .
العرب والهند ص٤٥ .

(٣) المباركيورى : العرب والهند ص٤٩ - ص٥٠ .

(٤) وقد بين ابن خرداذبة ذلك فقال : من الآهواز إلى زم ستة فراسخ ومنها إلى عبـادان خمسة فراسخ ثم إلى رام هرمز ستة فراسخ ثم إلى الزط ستة فراسـخ . مسـالك الممـالك ص٣٥ ، العرب والهند : ص٥٠ .

(٥) انظر الاصطخرى : مسالك الممالك ص٩٤ .

وعندما أسلم الزط(١) نزح كثير منهم إلى أنطاكية وسواحل الشام وأصبح بذلك مركزهم الثانى بعد الأبلة والبحرين حيث وجد كثير منهم هناك قبل البعثة ولذلك عندما قامت فتنة الردة سنة ١١هـ / ٦٣٢ - ٦٣٣م فأنها شملت الزط الذين استثارهم حطم بن ضبيعة ضد الإسلام فى كل من القطيف وهجر(٢) .

وعندما عمرت البصرة سنة ١٤هـ / ٦٣٥ - ٦٣٦هـ فى عهد الخليفة عمر ابن الخطاب كان هناك عدد قليل من الزط يقيمون مع بنى حنظلة ، وعندما زاد عدد المسلمين الهنود ، فإن قبيلة بنى تميم اجتذبتهم نحوها ، والتحم الزط والسيابجة ببنى حنظلة(٣) .

وفى خلافة على بن أبى طالب كان جماعة من الزط والسيابجة(٤) يحفظون بيت المال فى البصرة ، وحدث أن جاء عثمان بن حنيف الأنصارى مندوبًا من قبل الخليفة على ليتسلم ما فى بيت المال من أموال ، ولكن حراسه من المشرفين عليه من الزط والسيابجة انكروه ورفضوا

---

(١) لا يوجد دليل واضح وصريح على إسلام الزط فى عهد الرسالة ، ولكن من المؤكد أن بعض الزط فى حدود اليمن والبحرين قد اسلموا فى عهد الرسالة . العرب والهند ص٥٦ .

(٢) لم تلبث أن حلت بالزط الهزيمة على يد الجيش الإسلامى فهربت جماعة كبيرة منهم إلى دارين وفر الباقون إلى أوطانهم . العرب والرسالة ص٥١ - ص٥٢ .

(٣) المباركيورى : العرب والهند ص٥٦ .

(٤) يقال أنهم كانوا بين أربعين وأربعمائة - والسيابجة معرب من سياه ومعناه الأسود - وبجه بمعنى الأطفال أى الأطفال السود ولا يوافق المباركيورى على ذلك ويذكر أن معناها القوم الذين يستأجرون للقتال فى السفن . العرب والهند ص ٦١ - ص٦٣ .

تسليمه حتى يجئ على نفسه ، وكان من نتيجة ذلك أنهم قتلوا جميعًا فى ليلة واحدة وكان رئيسهم فى ذلك الوقت أبو سالم الزطى[١] . كما حدث مثل ذلك أيضًا عندما نقل معاوية بن أبى سفيان جماعة كبيرة من الزط والسيابجة الهنود من البصرة إلى سواحل أنطاكية والشام[٢] .

أسكن الحجاج بن يوسف الزط وبعض الجماعات الآخرى منطقة « كسكر » وهناك وجدوا مكانًا طيبًا لاجتماعهم ، وموقفًا مناسبًا لجمع فلولهم وطاقتهم وكان الزط يسرقون السفن ومراكب التجارة فى هذه الجهات[٣] .

كانت الآبلة والبصرة[٤] من أكبر الموانى ومراكز التجارة الهندية والصينية وقد سميت تلك المنطقة بفرج السند والهند ويذكر الطبرى[٥] أن « فرج الهند أعظم فروج فارس شأنًا وأشدها شوكة وكان صاحبه يحارب العرب فى البر والهند فى البحر » .

انتهز الزط قيام الفتنة بين الأمين والمأمون فاستولوا على طريق البصرة وعاثوا فسادًا ، فلما عاد المأمون إلى بغداد ندب عيسى بن يزيد الجلودى لمحاربتهم سنة ٢٠٥هـ / ٨٢٠ - ٨٢١م ، وفى سنة ٢٠٦هـ / ٨٢١ - ٨٢٢م ولى المأمون داود بن ماسجور البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين وندبه

---

(١) العرب والهند : ص٦٦ - ص٦٧ .

(٢) تفصيل ذلك ما ذكره البلاذرى فى كلامه عن « أمر الأساورة » والزط فتوح البلدان ص٢٦٦ - ص٣٦٩ .

(٣) العرب والهند ص٥٦ .

(٤) أحمد أمين : فجر الإسلام حـ١ ص١٣ ، المباكيورى : ص٨٤ .

(٥) الأمم والملوك : حـ٤ ص٥ ، ابن الأثير : حـ٢ ص١٤٧ بيروت .

لمحـاربة الزط غـير أن جهود المأمون لم تنجح فـى القضـاء على فسـاد الـزط الذين استمروا يقاتلون العباسيين إلى أيام المعتصم(١) .

وفى عهد المأمون ثار المصريون فى سـنة ٢١٠هـ / ٨٢٥ - ٨٢٦م فبعث عبد الله بن طاهر لاخماد هذه الثورة ، فاستولى على الفسطاط وأقر الأمن وتفرغ لاصلاح البلاد ، غير أن ولايته لم تطل فعاد إلى العراق وعادت الثـورات فـى مصـر سيرتها الأولى ، وانتفض القبط ، وخرج عرب مصر الذين كانوا يناصرون الأمين ، فندب المأمون قائده الافشين ، ثم جاء بنفسه إلى هذه البلاد وأعاد الأمن إلى نصابه(٢) .

على أن الحسن بن سهل ، لم يتمكن مـن سياسـة أهـل العـراق بالحـزم ، كما شاع فى تلك البلاد بعد خروج طاهر بن الحسين منهـا ، ذلك أن الفضل ابن سهل قد استبد بالأمور دون المأمون وأنه أنزله قصرًا حجبه فيـه عـن أهـل بيته وقواده ، مما أثار استياء بنى هاشم ووجوه الناس فى بلاد العراق ، وثارت القلاقـل فى الأمصار ، فقامت بضواحى الكوفـة (سنة ١٩٩هـ / ٨١٤ - ٨١٥م) فتنة بزعامة أبى السرايا السرى بن منصور الذى كان يدعو لأحد العلويين وأوقع الهزيمة بجيوش الحسن بن سهل ، مما اضطر أخاه الفضل أن يرسـل هرثمـة ابـن أعـين على رأس جيش كبير لقمع حركة أبى السرايا الذى حلت به الهزيمة(٣) .

---

(١) الطبرى : جـ٨ ص٥٨٠ . ابن الأثير : جـ٥ ص١٩٧ . ص٢٠٤ بيروت .

(٢) المقريزى : خطط جـ٢ ص٤٩٢ .

(٣) هرب أبو السرايا من الكوفة إلى القادسية ومنها إلى السوس بخوزستان حيث قـاتل الحسـن ابن على المأمونى الذى تمكن من هزيمتـه فتفـرق عنـه أصحابـه ، وتمكـن جماعـة مـن رجـال الحسـن بـن سـهل من القبـض عليـه وقتلـه وبعـث برأسـه إلى المـأمون انظـر ابـن الأثـير : جـ٥ ص١٧٤ - ص١٧٦ ، ص١٧٧ بيروت .

ولما قضى هرثمة على ثورة أبى السرايا ، ولاه الخليفة بلاد الشام والحجاز ، لكنه اعتذر عن قبول هذا المنصب قبل أن يطلع المأمون بنفسه على حقيقة الحال فى العراق وما يليه غربًا ، ويوجه نظره إلى الخطر المحدق به ، فلما بلغ هرثمة مرو حاضرة خراسان ، خشى أن يخفى الفضل بن سهل خبر قدومه ، فضرب الطبول ، وما لبث أن مثل بين يديه ، وأفضى إليه بحقيقة الحال فى الدولة الإسلامية ، فجازاه على عمله بحبسه ، ولم يزل فى سجنه حتى قتل(١) .

(١) ابن الأثير : حـ٥ ص١٧٩ .

المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧ هـ/ ٨٣٣ - ٨٤٢م) :

بويع المعتصم يوم وفاة أخيه المأمون في التاسع عشر من شهر رجب ٢١٨هـ (٢٩ /٧/٨٢٣م) ورفض الجند أن يدخلوا في طاعته في مبدأ الأمر ، وأرادوا تولية العباس بن المأمون ، ولكنه أسرع إلى مبايعة عمه بالخلافة احترامًا لوصية أبيه، فحذا الجنود حذوه(١) .

ومن المصاعب التي واجهه المعتصم في خلافته ، وهددت مرافق دولته فتنة الهنود المعروفين بالزلط والتي استمرت من خلافة المأمون حتى عهده فقد استولوا على طريق البصرة ، وحالوا دون وصول المؤن والأقوات إلى بغداد(٢) واحتملوا الغلات من البيادر بكسكر وما يليها من البصرة . فوجه المعتصم عجيف بن عنبسة لحرب الزط سنة ٢١٩ هـ/ ٨٢٤ - ٨٣٥م . فحاربهم تسعة أشهر حتى أرغمهم على طلب الأمان ، وكان عددهم سبعة وعشرين ألفًا ما بين رجال ونساء وأطفال ، ثم جعلهم في السفن ، ودخل بهم بغداد سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م ، فدفع بهم إلى بشر بن السميدع ، فذهب بهم إلى خانقين ، ثم نقلوا إلى الثغر إلى عين زربة ، وظلوا هناك إلى أن أسرهم الروم سنة ٢٤١هـ/٨٥٥ - ٨٥٦م(٣) ، ومن ثم وجدوا طريقًا إلى أوربا ، وعرفوا هناك باسم « جيبس » أو النور ، ويقيمون عادة في خارج المدن(٤) .

---

(١) ابن الأثير جـ٥ ص ٢٣١ ويشير إلى الطريقة الساحرة التي اسكت بها الجند حينما قال لهم : ما هذا الحب البارد ؟ قد بايعت عمي ، فسكتوا .

(٢) المباركيوري : العرب والهند ص ٥٧ حيث يذكر أن أعمال الزط هذه واكبها حدوث قحط في الهند مما ترتب عليه انتقالهم إلى كرمان وفارس والآهواز .

(٣) الطبري : جـ٩ ص٨ - ١٠ ، ص ٢٠١ بيروت .

(4) Muire : The Calihate, p. 514 .

وهكذا فشلت جهود الزط فى تكوين دولة مستقلة لهم بين بغداد والبصرة بعد أن قاموا بثورة كبيرة فى زمن الخلافة الأموية والعباسية فقد عملت الخلافة العباسية على استئصال شأفتهم(١) .

ظهور عنصر الأتراك وأثرهم على الدولة العباسية :

اعتمد الأمويون على العنصر العربى ، فأسندوا إليهم أهم مناصب الدولة ، كما اعتمدوا عليهم فى الشئون الحربية ، ولم يساووا بينهم وبين العجم ، وخاصة الموالى من الفرس الذين عملوا على التخلص من الأمويين وأخذوا ينضمون إلى الثائرين على بنى أمية ، وكانوا من أقوى العوامل فى القضاء على الأمويين ، ولما آل الأمر إلى العباسيين ، اعتمدوا على هؤلاء الموالى الذين قامت على أكتافهم دولتهم ، وأخذوا عنهم كثيرًا من نظم الحكم التى كانت سائدة فى العهد الساسانى ، وأهملوا العنصر العربى إهمالاً ظهر أثره فى بعض الحركات التى كانت نتيجة سخط العنصر العربى على العنصر الفارسى ، ومن أقوى الأمثلة على ذلك تآمر الفضل بن الربيع على البرامكة ، ثم قيام الفتنة بين الأمين والمأمون ، فكانت فى الواقع انتصارًا للفرس على العرب ، وذلك نتيجة للعداء الذى قام بين العرب والفرس .

وقد تواجد الأتراك(٢) بعد تأسيس الدولة العباسية على شكل أفراد وجماعات فى البلاط والإدارة ، وكانت مصادر وجودهم متنوعة منها :

---

(١) المباكيورى : العرب والهند ص ٤٧ .

(٢) عرف العرب الفاتحون الترك حين فتحوا خراسان فى عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان، وكان الأتراك نوعين : المستقرون المستوطنون الذين تأثروا بالثقافة الإيرانية أولاً ، والبدو الأشداء المتنقلين الذين كانوا يهاجمون القرى والمدن على حدود خراسان وحتى المناطق المجاورة .
اليعقوبى : البلدان ص٥٦ طبعة ليدن .
، البلاذرى : فتوح البلدان جـ٥ ص ٥٨٣ ليدن ١٨٦٦ .
H. Gibb : The Arab conquest, London, 1928.

١ - أسرى الحروب بين العرب وبلاد ما وراء النهر وأواسط آسيا وخوارزم.

٢ - ما كان يرسله الولاة من المماليك[١] الأتراك إلى الخليفة كجزء من الضريبة السنوية المفروضة عليهم قبل الحكومة العباسية[٢] .

٣ - الشراء حيث كان الخلفاء يشترون الرقيق الأبيض من بخارى وسمرقند .

٤ - الهجرة حيث كان الأترك يهاجرون غربا نحو بلدان الخلافة الشرقية فاستقر بعضهم داخل الدولةالإسلامية واندمجوا فيإطار المجتمع الإسلامى والثقافة العربية.

٥ - التبشير والتجنيد ، فقد كان المأمون يرسل الدعاة إلى بلاد الترك للتبشير بالإسلام ، ويفرض العطاء لمن يسلم منهم[٣] .

ولما ولى المعتصم الخلافة وكانت أمة تركية[٤] ، أهمل العنصر العربى والفارسى واعتمد على الأتراك الذين اتخذهم حرسًا وجندًا له[٥] ، وأسند إليهم مناصب الدولة كما فعل أخوه المأمون مع الخراسانيين ، وكان المعتصم بذلك أول خليفة استعان بالأتراك[٦] وأسند إليهم مناصب الدولة وقد عنى المعتصم باقتناء

---

(١) تشير روايات عديدة إلى وجود الأتراك فى البلاط العباسى منذ زمن الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور حيث كان يرسل عدد من الغلمان الأتراك من والى طبرستان كضريبة سنوية ، ابن اسفنديار : تاريخى طبرستان الترجمة الإنجليزية ليدن ١٩٠٥م .

(٢) ومن هؤلاء طولون والد أحمد بن طولون الذى أرسله عامل بخارى إلى الخليفة المأمون .

(٣) فاروق عمر : العباسيون الأوائل جـ١ ص ٢٤٠ - ٢٤١ .

(٤) يقال لها : ماردة السغدية ، الطبرى : جـ٩ ص ١٢٣ بيروت .

(٥) رغم أن هؤلاء الجند كان يشار إليهم بصورة عامة بكونهم من الأتراك فلم يكن كلهم من أصل تركى : فكان بينهم المغاربة المستوردين من مصر والمغرب ، فاروق عمر : العباسيون الأوائل جـ١ ص ٢٤٣ .

(٦) لم يكن اصطلاح الترك اصطلاحًا عنصريًا فى تلك الفترة المبكرة بقدر ما هو اصطلاح سياسى ولغوى ، ولذلك فإن بعض المناطق التى سكنها الترك فى خراسان بمرور الزمن أخذت تتكلم التركية وعلى هذا اعتبر سكانها اتراكًا .

Fry : Turks. J. A. O. S. pp. 144 - 145.

الترك ، فبعث فى شرائهم من سمرقند وفرغانه ، وغيرها من النواحى ، وبذل فى سبيل ذلك الأموال وألبسهم أنواع الديباج ومناطق الذهب([١]) .

وما لبث أن تفاقم نفوذ هؤلاء الأتراك وزاد عددهم حتى أربى على الخمسين ألفا ، وأخذ الأتراك الذين كانوا بعيدين عن الحضارة والعلم يندمجون فى طبقات الأمراء المثقفين ، فاعتنقوا الإسلام ، وتأدبوا بآدابه ، وتعلموا للغة العربية ، ووقفوا على أحكام القرآن ، حتى إذا أصبح أحدهم ذا كفاية تؤهله للاضطلاع بشئون الدولة أو القيام بأعباء المناصب العالية فى البلاط تحرر من عبوديته ، وتولى المنصب الذى يتناسب مع كفاءته ومواهبه ، ومن ثم رشحوا للمناصب على اختلافهم ، ووصلوا إلى أعلى مراتبها من الاندماج فى سلك البلاط إلى تقلد أكبر الولايات ، وقد بلغ من نفوذ هؤلاء الأتراك أن أخذ الخلفاء يقطعونهم الولايات الإسلامية ، على أن يؤدوا جزية معينة([٢]) .

و لم يلبث الأتراك أن أصبحوا آفة على أهل بغداد الذين عانوا من عنتهم وجورهم شيئًا كثيرًا ، ويقول المسعودى([٣]) : « إن الأتراك كانوا يؤذون العوام بمدينة السلام ، بجريها بالخيول فى الأسواق وإلحاق الأذى بالضعفاء والصبيان ، فكان أهل بغداد يثورون على بعضهم فيقتلونهم إذا صدموا امرأة أو شيخًا كبيرًا أو صبيًا أو ضريرًا ، وقد زاد الطبرى([٤]) هذه المسألة بيانًا فقال : « إن غلمان

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص٢٢٣ .

، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى حـ٢ ص ١٩٣ .

(٢) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسى حـ٢ ص ١٩٣ - ١٩٤ ط ١٩٥٩م .

(٣) مروج الذهب حـ٢ ص ٣٤٩ القاهرة ١٩٤٦م .

(٤) الطبرى : حـ٩ ص ١٨ بيروت .

الأتراك كانوا لا يزالون يجدون الواحد بعد الواحد منهم قتيلاً فى أرباضها ، وذلك أنهم كانوا عجم جفاة ، يركبون الدواب يتراكضون فى طرق بغداد وشوارعها ، فيصدمون الرجل والمرأة ، ويطئون الصبى ، فيأخذهم الأبناء[١] فينكسونهم عن دوابهم ، ويجرحون بعضهم فربما هلك من الجراح بعضهم ، فشكت الأتراك ذلك إلى المعتصم وتأذت بهم العامة ، فذكر أنه رأى المعتصم راكبًا منصرفًا من المصلى فى يوم أضحى أو فطر ، فلما صار فى مربعة الحرشى نظر إلى شيخ قد قام إليه ، فقال له : يا أبا اسحق ! فابتدره الجند ليضربوه ، فأشار إليهم المعتصم فكفهم عنه فقال للشيخ : مالك ؟ قال : لا جزاك اله من الجوار خيرًا ، وجئت بهولاء العلوج[٢] فاسكنتهم بين أظهرنا ، فأيتمت الأطفال وأرملت بهم نسواننا وقتلت بهم رجالنا والمعتصم يسمع ذلك كله »[٣] .

لم يلبث المعتصم أن ندب أحد رجاله لاختيار موضع كان السفاح قد شرع فى بناء مدينة جديدة فيه ، ثم بنى الرشيد بجوارها قصرًا وحفر عندها نهرًا سماه «القاطول» ثم بنى المعتصم فى ذلك المكان قصرًا وهبه

---

(١) الأبناء : هم البقية الباقية من الفرس الذين طردوا الأحباش من اليمن .

(٢) العلج : حمار الوحش الشديد ويقصد بذلك شدتهم ووحشيتهم .

(٣) يقول الطبرى بعد ذلك الحوار أن المعتصم سمع هذا الكلام ثم دخل داره فلم ير راكبًا إلى السنة التالية فى مثل ذلك اليوم خرج فصلى بالناس العيد فلم يرجع إلى منزله ببغداد ولكنه صرف وجه دابته إلى ناحية القاطول وخرج من بغداد ولم يرجع إليها . الأمم والملوك جـ٩ ص ١٨ .

لمولاه آشناس التركى وقد فكر المعتصم فى هذا المكان الذى فيه قصره ، فبنى عنده مدينة « سامرا »([١]) وجعلها حاضر خلافته الجديدة([٢]) .

كان من أثر السياسة التى سار عليها المعتصم فى الاستعانة بالأتراك وإجزاله الهبات والعطايا لهم دون غيرهم أن دب فى نفوس العرب دبيب الغيرة والحسد لهؤلاء الأتراك ، وقام عجيب بن عنبسة ذلك القائد العربى الذى أبلى بلاء حسنا فى محاربة الزط ، بثورة على قواد الترك الذين أساءوا معاملة العرب ، بل عزم على التخلص من المعتصم نفسه ، فاغرى العباس بن المأمون بالخروج على عمه والمطالبة بعرشه ، ودخل قواد العرب فى حلبة هذه المؤامرة واتفقوا على قتل المعتصم والأفشين وأشناس إذا تم توزيع الغنائم التى استولى عليها المسلمون من البيزنطيين فى موقعة عمورية([٣]) .

على أن خبر هذه المامرة قد تسرب إلى المعصم الذى تمكن من القضاء عليها فى مهدها ، ولكنه لم يتخلص من أثرها ، فقد أوقعته فى أيدى قواده الأتراك ، وأدت إلى إقصاء قواد العرب والفرس تدريجيًا واسقاطهم من ديوان العطاء ، إلا أن

---

(١) ذكر المسعودى : مروج الذهب جـ٢ ص ٢٥٠ فى سبب تسمية سامرا بهذا الاسم أنها مدينة سام بن نوح ، وذكر ياقوت أن سام بنى هذه المدينة فنسبت إليه وسميت (سام راه) بالفارسية ، وذكر أن هذه المدينة لما عمرت أطلق عليه اسم (سرور من رأى) ثم اختصر الاسم فقيل سر من رأى) . ولما خربت واستوحشت سميت (ساء من رأى) ثم اختصرت فقيل (سامرا) . انظر بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ص ٥٣ ترجمة حمزة طاهر ، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام جـ٢ ص ٣٧٧ - ص ٣٧٦ .

(٢) تقع سامرا شرق دجلة على مسيرة ثلاثة أيام من بغداد وتبعد عنها ستين ميلاً من ناحية الشمال .

(٣) حسن إبراهيم حسن تاريخ الإسلام السياسى جـ٢ ص ٧٧ .

الأمر ساء بالنسبة للخلفاء ، ذلك أن الأتراك لم يكونوا جادين فى إخلاصهم للخليفة ، فقد تغلب على نفوسهم عوامل الرغبة فى انتزاع السلطة ، وغدا الخلفاء أثناء وجود البلاط العباسي فى سامرا لعبة فى أيدى قواد الأتراك(١) .

وكان لاعتماد المعتصم على الأتراك أثره على العرب فى الأمصار . فثاروا فى بلاد الشام تحت زعامة أبى حرب المبرقع اليمانى الذى أشعل نار الفتنة فى فلسطين قبل موت المعتصم بقليل بسبب دخول أحد الجند داره وهو غائب فلما عاد وعلم بالخبر قتل هذا الجندى ، وخاف على نفسه فلبس برقعا وهرب إلى بلاد الأردن حيث أخذ يحرض الناس على الخليفة المعتصم ، إلا أن المعتصم تمكن بمعونة قائده رجاء بن أيوب الحضارى من هزيمة أبى حرب وأسره(٢) .

الواثق(٣) (٢٢٧ - ٢٣٢هـ/ ٨٤٢ - ٨٤٧م) :

ولى المعتصم ابنه الواثق عهده فولى الخلافة فى شهر ربيع الأول سنة٢٢٧هـ/ ١٦ ديسمبر ٨٤١ واقتدى بأبيه فى الاعتماد على الأتراك الذين كثر عددهم وشغلوا المناصب العالية فى الدولة ، فولى أشناس التركى السلطة وتوجه بتاج مرصع بالجواهر حتى أن السيوطى(٤) علق على ذلك بقوله : وأظن أنه أول خليفة استخلف سلطانا فإن الترك إنما كثروا فى عهد أبيه » .

---

(1) Muir : The Capliphate, p. 517.

(٢) الطبرى : حـ٩ ص ١١٦ - ص ١١٨ بيروت .

(٣) ولد هارون الواثق با لله بن المعتصم فى شهر شعبان ١٨٦هـ وأمه رومية يقال لها قراطيس الطبرى : حـ٩ ص ١٢١ .

(٤) تاريخ الخلفاء ص ٢٢٦ القاهرة ١٣٥١هـ .

حكم الواثق الدولة العباسية أقل من ست سنين ، و لم يول عهده أحدًاوتوفى في شهر ذى الحجة سنة ٢٣٢هـ/ يوليو - أغسطس ٨٤٧م وبموته انتهى العصر الذهبى للدولة العباسية ، وذلك نتيجة طبيعية لهذه السياسة التى سار عليها أبوه المعتصم ، الذى اعتمد على الأتراك ، وأحلهم محل العرب ، وما جره هؤلاء من إثارة خواطر الأهلين بسبب تمسكهم بالبدع الدينية(١) .

---

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى جـ٢ ص ٨٤ .

الطاهريون والصفارون

وعلاقتهم بالخلافة العباسية

الدولة الطاهرية

بداية ظهور الطاهريين :

قامت ببغداد فى خلافة الأمين (١٩٣ - ١٩٨هـ) فتنة جامحة ، حين عزم على خلع أخيه المامون من ولاية العهد ، وشجعه على ذلك وزيره الفضل بن الربيع(١) ، لذلك حسن الفضل بن الربيع للأمين خلع أخيه والبيعة لابنه موسى ، ووافق الفضل فى رأيه بعض الناس ، فمال الأمين إلى أقوالهم ، على حين نهاه أصحابه وذوو الرأى فى بغداد عن ذلك وحذروه عاقبة البغى ونكث العهود والمواثيق وقالوا له : « لا تجرىء القواد على النكث للأيمان وعلى الخلع فيخلعوك »(٢) فلم يلتفت الأمين إليهم وولى عهده ابنه موسى وسماه الناطق بالحق(٣) وبذلك نكث الأمين العهد والميثاق الذى أخذه على نفسه فأغضب الخراسانيين وغيرهم من أهالى الأمصار الإسلامية .

على أن الأمين لما شرع فى خلع المأمون دعاه للحضور إلى بغداد ليقر على نفسه بالخلع ، ولكن المامون اعتذر عن الحضور ، وكثرت الكتب بينهما ، ورق الأمين فى مراسلاته حتى كاد ينخدع ويوافق على خلع نفسه من ولاية العهد

---

(١) لأنه كان يخاف المامون لما فعله عند وفاة الرشيد من احضاره جميع عسكره إلى الأمين وكان الرشيد قد أوصى به للمأمون .

(٢) انظر نصيحة خزيمة بن خازم للأمين فى كتاب السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٩٨ ، القاهرة ١٣٥١ هـ ، ابن الأثير : جـ٥ ص ١٣٨ بيروت .

(٣) يذكر ابن الأثير : الكامل جـ٥ ص ١٤٢ أن لقبه « القائم بالحق » .

ومبايعة موسى بن الأمين ، إلا أن الفضل بن سهل[١] وزير المأمون شجعه على الامتناع وضمن له الخلافة[٢] .

اشتهر المامون فى أثناء مقامه بخراسان بالورع والتقوى ، فحسنت سيرته وتمدح الناس بذكره ، على حين انصرف الأمين بعد اعتلائه عرش الخلافة إلى اللهو والمجون فلما ظهرت بوادر الفتنة ، استمال الفضل بن سهل الناس إلى المامون وضبط الثغور ، وقام بتفتيش الكتب الواردة إلى خراسان وقبض على أعوان الأمين، كما قطع الأمين خطبة المامون من بغداد سنة ١٩٥هـ[٣] .

قامت الفتنة بين الأخوين وهى فى الواقع نزاع حربي بين الفرس أنصار المأمون من ناحية ، وبين العرب أنصار الأمين من ناحية أخرى . وقد قاد أمر هذا النزاع الفضل بن سهل وزير المأمون وكان فارسيًا ، والفضل ابن الربيع وزير الأمين وكان عربيًا ، وسرعان ما تغلب طاهر بن الحسين[٤] قائد المامون على جند على بن عيسى بن ماهان قائد الأمين وقتله بظاهر الرى[٥] .

وقد وضع حصار بغداد وسقوطها على أيدى طاهر بن الحسين وهرثمة ابن أعين وزهير بن المسيب ، حدا لهذا النزاع الذى انتهى بقتل الأمين فقد نزل زهير

---

(١) استوزر المأمون الفضل بن سهل الذى سمى (ذا الرياستين) لجمعه بين السيف والقلم ، كما يقال له (الوزير الأمير) ابن الأثير ، حـ٥ ص١٥٠ .

(٢) ابن الأثير : حـ٥ ص ١٣٩ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل حـ٥ ص ١٤٢ ، وكان قد أمر بإسقاط ما كان ضرب لأخيه المأمون من الدراهم والدنانير بخراسان سنة ١٩٤ هـ لأنها لم يكن عليها اسم الأمين

(٤) طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق ، وكان واليا على مرو وهراة ، كما كان من قبل كاتبا لسليمان بن كثير الخزاعى . انظر ابن الأثير : حـ٥ ص ١٧٦ .

(٥) الطبرى : حـ٨ ص ٤٤٥ بيروت .

رقة كلوذى وحفر الخنادق ونصب المجانيق[١] ورمى جند الأمين بالعرادات[٢] . وأخذ عشر أموال التجار ، وجبى الضرائب على السفن[٣] ونزل هرثمة نهر «بين» وجعل عليه حائطًا وخندقًا ، وأعد المجانيق ، ونزل طاهر البستان القريب من باب الأنبار ، وكان من أثر هذا الحصار أن ضاق الأمين ذرعًا ونفذت أمواله ، واضطر لبيع كل ما فى الخزائن والأمتعة ، وضرب ما فى قصوره من آنية الذهب والفضة دنانير لينفق منها على الجند[٤] . ثم استولى طاهر على بعض أرياض بغداد ومدينة المنصور الشرقية وأسواق الكرخ ، وعلى قصر الخلد[٥] .

انتصر جند الأمين على جند طاهر بن الحسين فى موقعة «درب الحجارة»[٦] وهزمه هرثمة فى موقعة «باب الشماسية»[٧] ، وإزاء ذلك لم يجد طاهر بن الحسين بدأ من أن يأمر بإحراق مدينة غداد وهدمها .

يقول الطبرى[٨] أن طاهر بن الحسين هدم « دور من خالفه ما بين دجلة ودار الرقيق وباب الشام وباب الكوفة إلى الصراة ، وأرحاء أبى جعفر وربض حميد ونهر كرخايا والكناسة ، وجعل يبايت أصحاب محمد (الأمين) ويد الجهم ويحوى كل يوم ناحية من بعد ناحية ويخندق عليها المراصد من المقاتلة » .

---

(١) المنجنيق : آلة ترمى بها الحجارة .

(٢) والعرادة : أصغر من المنجنيق .

(٣) الطبرى : جـ٨ ص ٤٤٥ بيروت .

(٤) نفس المصدر : جـ٨ ص ٤٤٦ .

(٥) نفس المصدر : جـ٨ ص ٤٤٧ - ٤٤٨ بيروت .

(٦) الطبرى : جـ ٨ ص ٤٦٣ .

(٧) نفس المصدر : جـ٨ ص ٤٦٤ - ٤٦٥ .

(٨) نفس المصدر : جـ٨ ص ٤٥٩ وانظر أيضًا ابن الأثير : جـ٥ ص ١٥٩ .

ضعف أمر الأمين وتركه بعض قواده ، وانحازوا مع بعض تجار الكرخ ووجوهها إلى طاهر بن الحسين ، وطلب الجند أرزاقهم فأمر الأمين ببيع ما تبقى من التحف فى خزائنه ، وتحرج موقفه حتى أنه لم يعد يثق فى المقربين إليه ، وعبر عن سخطه وسوء حاله فى هذه الكلمات : « وددت أن الله عز وجل قتل الفريقين جميعًا وأراح الناس منهم : فما منهم إلا عدو ممن معنا وممن علينا : أما هؤلاء فيريدون مالى وأولائك فيريدون نفسى »(١) .

اشتد البلاء على بغداد ، وأيقن قواد الأمين أنه لا قبل لهم بمقاومة الحصار فخشوا سوء مصيرهم ، واشار عليه جماعة منهم بالهرب إلى الجزيرة والشام وطلب النجدة وصادف هذا الرأى قبولاً منه . ولكن طاهر بن الحسين كتب إلى سليمان ابن جعفر وإلى محمد بن عيسى وإلى السندى بن شاهك « والله لأن لم تقروه وتردوه عن هذا الرأى لا تركت ضيعة إلا قبضتها ، ولا تكون لى همة إلا أنفسكم، فدخلوا على محمد (الأمين) فقالوا لقد بلغنا الذى عزمت عليه ، فنحن نذكرك الله فى نفسك : أن هؤلاء صعاليك ، وقد بلغ الأمر ما ترى من الحصار ، وضاق عليهم المذهب ، وهم يرون أن لا أمان لهم على أنفسهم وأموالهم عند أخيط وعند طاهر وهرثمة ، لما انتشر عنهم من مباشرة الحرب والجد فيها ولسنا نأمن إذا برروزا بك وحصلت فى أيديهم أن يأخذوك أسيرًا ، فيتقربوا بك ويجعلوك سبب أمانهم وضربوا له فيه الأمثال »(٢) .

واختلف أصحاب الأمين فى الرأى : فطلب من هرثمة أن يتوسط فى إصلاح ذات البين بينه وبين أخيه المأمون على أن ينزل عن

---

(١) نفس المصدر : جـ٨ ص ٤٧٠ .

(٢) الطبرى : جـ٨ ص ٤٧٨ - ٤٧٩ بيروت .

الخلافة[١] وقال أبو الحسن المدائنى : « لما هم محمد بالخروج إلى هرثمة وأجابة إلى ما أراد أشتد ذلك على طاهر ، وأبى أن يرفه عنه ويدعه يخرج وقال : هو فى حيزى والجانب الذى أنا فيه ، وأنا أخرجته بالحصار والحرب حتى صار إلى طلب الأمان ولا أرضى ان يخرج إلى هرثمة دونى فيكون الفتح له[٢] .

غير أن محمد (الأمين) حينما جن الليل لبس لباس الخلافة يريد هرثمة ، فوثب به طاهر ، وكان قد كمن له فى قصر الخلد ، فلما صار إلى الحراقة[٣] . خرج طاهر وأصحابه فرموا الحراقة بالسهام والحجارة ، فألقى الأمين بنفسه فى الماء ، وركض إلى الشاطئ فحمل عليه بعض رجال المامون وقتلوه وأخذوا رأسه، فبعث طاهر برأس الأمين مع البردة والقضيب والسيف[٤] فأمر له بألف ألف درهم[٥] .

وذكر عن المدائنى أن طاهرًا كتب إلى المأمون بالفتح وبين له كيف انه لم يمكن هرثمة بن أعين من انقاذ الأمين ، وأنه تتبع الأمين وهو فى طريقه للقاء هرثمة وأغرق حراقته وقتله على يد قريش (الدندانى)[٦] بعد أن حاول الأمين اغراء

---

(١) نفس المصدر : جـ٨ ص ٤٨١ .

(٢) نفس المصدر : جـ٨ ص ٤٨١ .

(٣) الحراقة : نوع من السفن فيها مرامى نيران يرمى بها .

(٤) الطبرى : جـ٨ ص ٤٨١ - ص ٤٨٨ بيروت وكان مقتل الأمين ليلة الأحد ٢٥ محرم سنة ١٩٨هـ .

(٥) الطبرى : جـ٨ ص ٤٨٨ ويذكر أن رأس محمد الأمين أدخل على ترس إلى المأمون فلما رآه سجد .

(٦) الطبرى : جـ٨ ص ٤٨٨ .

قادة طاهر بالمال(١)، وكيف استطاع أن ينشر الأمن والسكينة فى المدينة (بغداد) بعد أن تبينوا مقتل الأمين (المخلوع) وهو يرجو أن يهنأ المأمون بنعمة النصر وحلاوته ، ويتمتع المسلمون ببركة ولايته ويمن خلافته(٢) .

ومما يذكر أن طاهر بن الحسين لما فتح بغداد كتب إلى أبى اسحاق المعتصم(٣) : أما بعد فإنه عزيز على أن أكتب إلى رجل من أهل بيت الخلافة بغير التأمير ، ولكنه بلغنى أنك تميل بالرأى وتصغى بالهوى ، إلى الناكث المخلوع ، وأن كان كذلك فكثير ما كتبت به إليك وأن كان غير ذلك فالسلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته .

وكتب فى أسفل الكتاب هذه الأبيات :

ركوبك الأمر ما لم تبل فرصته جهل ورأيك بالتغرير تغرير(٤)

---

(١) فقد عرض مائة حبة قيمة كل حبة ألف درهم .

(٢) انظر نص الكتاب عند الطبرى : جـ٨ ص ٤٨٩ - ٤٩٢ بيروت .

(٣) ذكر البعض أنه أنما كتب بذلك إلى إبراهيم بن المهدى الطبى : جـ٨ ص ٤٩٥ ويؤيد ابن عبد ربه أن الخطاب إلى إبراهيم بن المهدى العقد الفريد : جـ٤ ص ٢٤١ .

(٤) الطبرى : جـ٨ ص ٤٩٥ .

وفى العقد الفريد جـ٤ ص ٢٤٢ .

ركوبك الهول ما لم تلف فرصته جهل رمى بك بالاقحام تغرير
أهون بدنيا يصيب المخطئون بها حظ المصيبين والمغرور مغرور
فازرع صوابا وخذ بالحزم حيطته فلن يذم لأهل الحزم تدبير
فإن ظفرت مصيبًا أو هلكت به فأنت عند ذوى الألباب معذور
وإن ظفرت على جهل ففزت به قالوا جهول أعانته المقادير

ولما قتل الأمين ووصل خبره إلى المأمون من طاهر يوم الثلاثاء لاثنتى عشر ليلة خلت من صفر سنة ١٩٨هـ أظهر المأمون الخبر ، وأرسل إليه والى هرثمة بخلع القاسم بن هارون(١) .

وفى سنة ١٩٨هـ أمر الخليفة طاهر بن الحسين بالتوجه إلى الرقة لحرب نصر ابن شبث وولاه الموصل والجزيرة والشام والمغرب(٢) .

وفى سنة ٢٠٥ هـ ولى المأمون خراسان طاهر بن الحسين(٣) . وكذلك ولاه الجبال من حلوان إلى خراسان . وحمل إليه عشرة آلاف ألف وذكر أنه قبل خروجه إلى خراسان وولايته لها ، ندبه الحسن بن سهل للخروج إلى محاربة نصر ابن شبث فقال : حاربت خليفة ، وسقت الخلافة إلى خليفة وأؤمر بمثل هذا ! وإنما كان ينبغى أن توجه لهذا قائدًا من قوادى(٤) .

---

(١) الطبرى : جـ٨ ص ٤٩٩ .
وذكر أن طاهر قال حين قتل الأمين

قتلت الخليفة فى داره ... وأنهبت بالسيف أمواله

وقال أيضًا :

ملكت الناس قسرًا واقتدار ... وقتلت الجبابرة الكبارا
ووجهت الخلافة نحو مرو ... إلى المأمون تبتدر ابتدارا

(٢) الطبرى : جـ٨ ص ٥٢٧ وذلك بعد أن أمره أن يسلم كل ما افتتحه من كور الجبال وفارس والأهواز والبصرة والكوفة والحجاز واليمن للحسن بن سهل .

(٣) مما يرويه الطبرى : جـ٨ ٥٧٨ - ص ٥٧٩ أن طاهرًا دخل على المأمون فلما راه بكى فلما سأله رفض أن يبوح له بسر بكاءه فتحايل طاهر أن يعرف سبب بكاءه عن طريق ساقى المامون فعرف أنه ذكر أخاه محمد الأمين وما ناله من الذلة فخنقته العبرة فاستراح إلى الإفاضة (البكاء) وذكر أنه لن يفوت طاهرًا منه ما يكره .

(٤) الطبرى : جـ٨ ص ٥٧٩ - ٥٨٠ ويذكر أن ذلك كان سببًا فى المصادمة بين الحسين وطاهر ، ابن الأثير : جـ٥ ص ١٩٧ .

سياسة طاهر بن الحسين فى الحكم :

وفى سنة ٢٠٦ هـ ولى المأمون عبد الله بن طاهر[1] الرقة لحرب نصر ابن شبث ومضر[2] . فكتب إليه أبيه يبين له سياسته فى الحكم .

١ - أمره بتقوى الله وخشيته ومراقبته والبعد عما يوجب سخطه ، وليكن أول ما يلزم به نفسه المواظبة علىما افترض الله من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس فى مواقيتها على سننها والخشوع وصدق النية، والحض عليها جماعة.

٢ - الأخذ بسنة رسول الله ، واقتفاء آثار السلف الصالح من بعد ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

٣ - أن يحفظ رعيته ، ويحسن إليهم ويرأف بهم ، وأن يقيم العدل بينهم وأن يحقن دمائهم ، ويؤمن سبيلهم ، وأن يدخل الراحة عليهم فى معايشهم . وأن يفرغ لذلك فكره وعقله وبصره ولا يشغلنه عنه شاغل .

٤ - أن يرعى العلماء والفقهاء ، فإن أفضل ما تزين به المرء الفقه فى دين الله والطلب له والحث عليه .

٥ - عليه أيضًا الاقتصاد فى الأمور كلها ، فالقصد فى شأن الدنيا يورث العز ويحصن من الذنوب ، « ولا تقصر فى طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة والسنن المعروفة » .

---

(١) مما يذكره ابن عبد ربه : العقد الفريد حـ٢ ص ١٣٠ .
أن المأمون طلب من طاهر بن الحسين أن يصف له ابنه فقال : يا أمير المؤمنين أن مدحته عبته ، وأن ذممته أغتبته ولكنه قدح فى كف مثقف ليوم نضال فى خدمة أمير المؤمنين .

(٢) ابن الأثير : الكامل حـ٥ ص ١٩٧ .

٦ - إحسان الظن با لله عز وجل فبه تستقم له رعيته .

٧ - اختيار أهل الثقة فى القيام بأمر من أمور الولاية ، « واجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك وأطرد عنهم سوء الظن بهم ورفضة عنهم يعنك ذلك على اصطناعهم ورياضتهم » .

٨ - أمره بمراجعة أعماله وتقويم نفسه ، وإقامة حدود ا لله فـى أصحـاب الجرائم على قدر منازلهم ، ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة فإن التفريط فى ذلك يفسـد « عليك حسن ظنك » .

٩ - تجنب البدع والشبهات .

١٠ - الوفاء بالعهد ، وقبول الحسنة والدفع بها ، وأغمض العين عن عيب كل ذى عيب من الرعية ، واجتناب الكذب والزور وأهله ، واستمالة أهل الصدق والصلاح، وإعانة الأشراف بالحق ، وأن يصل الضعفاء وذوى الأرحام ، مبتغيا في ذلك ثواب ا لله والدار الآخرة واجتناب سوء الأهواء والجور .

١١ - حذره عاقبة التسلط أو أن يشيع بين الناس أنه مسلط يفعل ما يشاء ، فإن ذلك سريع إلى نقص الرأى فى صاحبه وقلة اليقين .

١٢ - دعاه إلى القناعة وأن يدع شره النفس ، ولتكن ذخائره وكنوزه التى يدخرها البر والتقوى والمعدله واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم ، وتفقد أمورهم والحفظ لدهمائهم والإغاثة لملهوفهم .

١٣ - أن يقض بالحق فيما حمل من النعم ، وألبس من العافية والكرامة ، ولا تحقرن ذنبًا ، ولا تمايلن حاسدًا ، ولا ترحمن فاجرًا ولا تصلن كفورًا ، ولا تداهن عدوا ، ولا تصدقن نمامًا ، ولا تأمنن غدارًا ، ولا توالين فاسقًا ، ولاتتبعن غاويًا ، ولا تحمدن مرائيًا ولا تحقرن إنسانًا ولا تردن سائلاً فقيرًا ولا

تجيبن باطلاً ، ولا تأتين بذخًا ، ولا تمشين مرحًا، ولا تركبن سفها ولا تفرطن فى طلب الآخرة ، ولا تغمضن عن الظلم رهبة أو مخافة ولا تطلبن ثواب الدنيا بالآخرة ، وأكثر مشاورة الفقهاء ، واستعمل نفسك بالحلم . وخذ عن أهل التجارب وذوى العقل والرأى والحكمة .

١٤ - أن يكون جوادًا كريمًا وأن يتجنب الشح .

١٥ - أن يتفقد الجند ويدر عليهم الأرزاق ويوسع عليهم معايشهم .

١٦ - أن يكون لديه قضاء عادل ، فتصلح الرعية وتأمن السبل وينتصف المظلوم ويأخذ الناس حقوقهم .

١٧ - والعدل فى جمع الخراج فإنه مال الأمة .

١٨ - بث العيون فى كور الولاية حتى تحس الرعية أنه معهم يعلم أخبارهم .

١٩ - الحزم فى الأمور ولا يؤجل عمل اليوم إلى الغد .

٢٠ - أن ينظر أمور عماله وأن يتفقد أعمالهم متبعًا فى ذلك أسلوب الثواب والعقاب فمن أحسن أثابه ومن أساء عاقبه .

٢١ - ألا يمتن على رعيته بمعروف يأتيه إليهم ، ولا يقبل من أحد إلا الوفاء والاستقامة والعون فى أمور أمير المؤمنين .

٢٢ - أن يرجع إلى وصيته ويكثر النظر فيها مع الاستعانة با لله على جميع الأمور ، وأن يأتى من الأعمال ما يرض ا لله فإن فيه عزه وعز أهله(١) .

---

(١) الطبرى : حـ٨ ص ٥٨٢ - ص ٥٩١ وذكر أن طاهرًا لما عهد إلى ابنه عبد ا لله هذا العهد تنازعه الناس وكتبوه وتدارسوه وشاع أمره حتى بلغ المامون وقرئ عليه فقال : ما بقى أبو الطيب شيئًا من أمر الدين والدنيا والرأى والسياسة وإصلاح الملك والرعية وحفظ البيضة وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة إلا وقد احكمه وأوصى به وتقدم ، وأمر أن يكتب بذلك إلى جميع العمال فى نواحى الأعمال .

، انظر أيضًا ابن الأثير : حـ٥ ص ١٩٨ - ص ٢٠٣ .

خلفاء طاهر بن الحسين :

لم يلبث طاهر بن الحسين أن توفى سنة ٢٠٧هـ[١] فكتب المأمون بتولية طلحة بن طاهر على خراسان ، وأقام طلحة واليا على خراسان فى أيام المأمون من سبع سنين بعد موت طاهر ، ثم توفى ، وولى خراسان عبد الله - وكان يتولى حرب بابك - فأقام بالدينور ، ووجه الجيوش[٢] .

وقد ذكر فى أمر ولاية طلحة خراسان بعد أبيه طاهر غير هذا القول ذلك أن طاهرًا لما مات - وكان موته فى جمادى الأولى - وثب الجند فانتهبوا بعض خزائنه، فقام بأمرهم سلام الأبرشى الخصى ، فامر بإعطاء الجند رزق ستة أشهر . فصير المأمون عمله إلى طلحة خليفة لعبد الله بن طاهر ، ذلك أن المأمون ولى عبد الله فى قول هؤلاء بعد موت طاهر عمل طاهر كله - وكان مقيمًا بالرقة على حرب نصر بن شبث - وجمع له مع ذلك الشام ، وبعث إليه بعهده على خراسان وعمل أبيه : فوجه عبد الله أخاه طلحة بخراسان ، وكاتب المأمون طلحة باسمه فوجه المأمون أحمد بن أبى خالد إلى خراسان للقيام بأمر طلحة فشخص أحمد إلى ما وراء النهر ، فافتتح أشروسنه (من بلاد ما وراء النهر) وأسر كاوس بن خاراخره وابنه الفضل ، وبعث بهما إلى المامون ، ووهب طلحة لابن أبى خالد

---

(١) وكانت وفاته من حمى وحرارة أصابته وأنه وجد فى فراشه ميتًا .

الطبرى : جـ٨ ص ٥٩٣ ، ابن الأثير : جـ٥ ص ٢٠٤ .

لما ورد موت طاهر على المامون قال : الحمد له الذى قدمه وأخرنا وكان طاهر أعور وفيه يقول بعضهم :

يا ذا اليمنين وعين واحدة   نقصان عين ويمين زائدة

(٢) الطبرى : جـ٨ ص ٥٩٥ .

ثلاثة آلاف ألف درهم وعروضا بألفى ألف ، ووهب لإبراهيم بن الياس كاتب أحمد بن أبى خالد خمسمائة ألف درهم(١) .

وفى سنة ٢٠٩ هـ جد عبد الله بن طاهر فى قتال نصر بن شبث وحصره وأضطره إلى طلب الأمان ، وتحول من معسكره إلى الرقة ، وصار إلى عبد الله بن طاهر ؛ وكان المأمون قد كتب قبل ذلك بعد أن هزم عبد الله ابن طاهر جيوشه كتابًا يدعوه إلى طاعته ومفارقة معصيته فلم يقبل(٢) .

ومن الجدير بالذكر أن عبد الله بن طاهر حارب نصر بن شبث مدة خمس سنوات حتى طلب الأمان ، فكتب عبد الله إلى المامون يعلمه أنه حصره وضيق عليه وقتل رؤساء من معه ، وأنه قد عاذ بالأمان وطلبه فأمره أن يكتب له كتاب أمان فكتب إليه(٣) . وفى سنة ٢١٠ هـ وصل نصر بن شبث بغداد بعد أن وجه به عبد الله بن طاهر إلى المأمون(٤) .

ومما يرويه ابن عبد ربه تبين لنا أن طاهر بن الحسين بقى على الطاعة مخلصًا للخليفة المامون بعد ولايته خراسان ، ويبدو أن المأمون لم ينس قتل طاهر لأخيه الأمين ، فحاول المأمون أرسال من يسمه ، فأدرك طاهر غاية المأمون فدعا رسول المأمون وصيف فدخل عليه وقد جلس طاهر على لبد أبيض ، حليق الرأس ، وبين

---

(١) الطبرى : جـ٨ ص ٥٩٥ ، ابن الأثير جـ٥ ص ٢٠٥ .

(٢) إذ كان من شروط نصر بن شبث ألا يطأ بساط المأمون .

الطبرى : جـ٨ ص ٥٩٨ .

(٣) انظر نسخة هذا الأمان الطبرى : جـ٨ ص ٦٠٠ .

(٤) فكان دخوله إليها يوم الاثنين السابع من صفر فأنزله مدينة أبى جعفر ووكل به من يحفظه.

الطبرى : جـ٨ ص ٦٠٢ ، ابن الأثير : جـ ٥ ص٢٠٧ - ص٢٠٨ .

يديه مصحف منشور ، وسيف مسلول ؛ وأمر طاهر رسول المأمون بالانصراف إلى الخليفة على أن يبلغه بالحال التى رآه عليها . فلم يفهم أحد من الحاضرين وصف رسول المأمون ؛ إلا أن المأمون أدرك ما يريده وقال للحاضرين : أما تقريعه رأسه (أى حلقها) وجلوسه على اللبد الأبيض فهو يخبرنا أنه عبد ذليل ؛ وأما المصحف المنشور ، فإنه يذكرنا بالعهود التى له علينا ، وأما السيف المسلول فإنه يقول : إن نكثت تلك العهود فهذا يحكم بينى وبينك ؛ اغلقوا عنا باب ذكره ولا تهيجوه فى شيء مما هو فيه ، فلم يتعرض له المأمون حتى مات طاهر بن الحسين ، وقام بعده ابنه عبد الله بن طاهر ، فكان أخف الناس على المأمون(١) .

عبد الله بن طاهر فى مصر :

لما فرغ عبد الله بن طاهر بن نصر بن شبث العقيلى ووجهه إلى المأمون كتب المأمون يأمره بالمسير إلى مصر ، وكان بها يومئذ ابن السرى ، فلما قرب عبد الله من مصر قدم قائدًا من قواده ليرتاد لمعسكره موضعًا يعسكر فيه ، وقد خندق ابن السرى عليها خندقًا ، فاتصل الخبر بابن السرى عن مسير القائد إلى ما قرب منها ، فالتقى جيش ابن السرى وقائد عبد الله بن طاهر وأصحابه وهم فى قلة ، فجال القائد وأصحابه جولة وأرسل إلى عبد الله يخبره الأمر فأسرع إليه وحملوا على ابن السرى وأصحابه وتساقط أصحاب ابن السرى فى الخندق ، فمن هلك منهم بسقوط بعضهم على بعض فى الخندق كان أكثر ممن قتله الجند بالسيف وانهزم ابن السرى فدخل الفسطاط وأغلق على نفسه وأصحابه ومن فيها

---

(١) القد الفريد : جـ٢ ص ٢٠٤ – ص ٢٠٥ .

الباب ، وحاصره عبد الله ابن طاهر ، فلم يعاوده ابن السرى بالحرب بعد ذلك حتى خرج إليه فى الأمان[١] .

على أنه مما يذكر أن عبد الله بن طاهر بعد وصوله إلى مصر تمكن من تخليصها من جماعة لأندلسين الذين قدموا إليها مستغلين فتنة الجروى وابن السرى، فلما تخلص عبد الله بن طاهر من ثورة ابن السرى واعطاءه الأمان ، توجه إلى جماعة الأندلسيين ينذرهم بالحرب أن هم لم يجلوا عن البلاد فأجابوه[٢] .

عبد الله بن طاهر فى خراسان :

وفى سنة ٢١٣ هـ توفى طلحة بن طاهر بخراسان , فخرج عبد الله بن طاهر إلى الدينور سنة ٢١٤ هـ فبعث المأمون إليه اسحاق بن إبراهيم ويحى ابن اكثم يخيرانه بين خراسان والجبال وأرمينية واذربيجان ومحاربة بابك ، فاختار خراسان وذهب إليها[٣] ، واستمر بها بعد وفاة المأمون سنة ٣١٨ هـ حيث أوصى المأمون أخاه أبا اسحاق المعتصم بأن يقر عبد الله بن طاهر[٤] .

---

(١) الطبرى : حـ٤ص ٦١٠ حوادث سنة ٢١٠ هـ . ويذكر عن ابن ذى القلمين أن ابن السرى بعث إلى عبد الله بن طاهر لما ورد مصر ومانعه من دخولها بألف وصيف ووصيفة ، ومع كل وصيف ألف دينار فى كيس حرير وبعث بهم ليلاً فرد ذلك عليه عبد الله وكتب إليه : لو قبلت هديتك نهارًا لقبلتها ليلاً . وذكر قوله تعالى بل أنتم بهديتكم تفرحون . ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون . فحينئذ طلب الأمان منه وخرج إليه .

(٢) الطبرى : حـ٨ ص ٦١٣ حوادث سنة ٢١٠ هـ ، الأثير: حـ٥ ص ٢١٢ .

(٣) الطبرى : حـ٨ ص ٦٢٠ ص ٦٢٢ ، ابن الأثير: حـ٥ ص ٢١٨ .

(٤) الطبرى : حـ٨ ص ٦٤٩ حوادث سنة ٢١٨ هـ .

عبد الله بن طاهر والمازيار بن قارن :

وفى سنة ٢٢٤ هـ اظهر مازيار بن قارن بن وندا هرمز بطبرستان الخلاف على المعتصم ومحاربته أهل السفح والأمصار منها ؛ وكان سبب ذلك أن مازيار بن قارن كل منافرًا لآل طاهر ، لا يحمل إليهم الخراج ؛ وكان المعتصم يكتب إليه يأمره بحمله إلى عبد الله بن طاهر ، فيقول : لا أحمله إليه ؛ ولكنى أحمله إلى أمير المؤمنين ؛ فكان المعتصم إذا حمل المازيار إليه الخراج ، يامر : إذا بلغ المال همذان رجلاً من قبله أن يستوفيه ويسلمه إلى صاحب عبد الله طاهر ليرده إلى خراسان : فكانت هذه حالة فى السنين كلها ونافر آل طاهر حتى تفاقم الأمر بينهم[1] .

وكان الأفشين يسمع من المعتصم أحيانًا كلامًا يدل على أنه يريد عزل آل طاهر عن خراسان : فلما ظفر الافشين ببابك ، ونزل من المعتصم المنزلة التى لم يتقدمه فيها أحد طمع فى ولاية خراسان ، وبلغته منافرة مازيار لآل طاهر ، فرجا أن يكون ذلك سببًا لعزل عبد الله بن طاهر ، فدس الافشين الكتب إلى المازيار يستميله ، ويعلمه ما هو عليه من المودة له وأنه قد وعد ولاية خراسان ، فدعا ذلك المازيار إلى ترك حمل خراجه إلى عبد الله ابن طاهر ، وأرسل عبد الله بن طاهر الكتب بشأنه إلى المعتصم ، حتى أوحش المعتصم منه وأغضبه عليه ، وحمل ذلك المازيار إلى أن أعلن العصيان ، ومنع الخراج ، وضبط جبال طبرستان وأطرافه.

وسر الأفشين بذلك وطمع فى الولاية ؛ فكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر يأمره بمحاربة مازيار ، وكتب الافشين إلى المازيار يأمره بمحاربة عبد الله بن

---

(١) الطبرى : جـ٩ ص ٨٠ بيروت .

طاهر ، ويعلمه أنه يقوم له عند المعتصم بما يحب ، وكاتبه المازيار أيضًا ؛ فلا يشك أن المازيار سيصمد فى وجه عبد الله بن طاهر ويقاومه ، حتى يضطر المعتصم إلى أن يوجهه إليه .

على أن المازيار لما عزم على الخلاف ، دعا الناس إلى مبايعته ، فبايعوه كرهًا ، وأخذ منهم الرهائن ، فحبسهم فى برج ، وأمر أكرة (إجراء) الضياع بالوثوب بأرباب الضياع وانتهاب أموالهم ، وكان المازيار يكاتب بابك ، ويحرضه ويعرض عليه النصر ، فلما فرغ المعتصم من أمر بابك ، أشاع الناس أن أمير المؤمنين يريد المسير إلى قرمايسين ، ويوجه الافشين إلى الرى لمحاربة مازيار ، فلما سمع المازيار بذلك أمر بمسح البلد(١) وأرسل كتابًا إلى عامله على الخراج شاذان ابن الفضل يأمره بجمع الخراج(٢) .

فلما وصل كتاب المازيار إلى شاذان بن الفضل أخذ الناس بالخراج ، فجبى جميع الخراج فى شهرين، وكان يجبى فى اثنى عشر شهرًا فى كل أربعة أشهر الثلث(٣).

لما تمكن المازيار وقوى أمره جمع أصحابه وأمر تخريب سور مدينة آمل ومدينة سارية ، ثم وجه أخاه قوهيار إلى مدينة طميس(٤) فخرب سورها ومدينتها وأباح أهلها ، ثم لحق بأخيه المازيار ، فأقام سرخاستان(٥) سورًا من طميس إلى

---

(١) الطبرى : حـ٩ ص ٨٠ – ص٨١ .

(٢) انظر هذا الكتاب عند الطبرى : حـ٩ ص٨١ – ص ٨٢ .

(٣) الطبرى : حـ٩ ص ٨٣ .

(٤) وهى على حد جرجان من جهة طبستان ، الطبرى : حـ٩ ص ٨٤ .

(٥) أبو صالح سرخاستان (شرحاسيان) وكان خليفة المازيار على مدينة سارية الطبرى : حـ٩ ص ٨٣ .

البحر[١] ، وجعل حولها خندقًا ذو أبراج للحراسة وجعل له بابًا واحد ؛ ففزع أهل جرجان وخافوا على أموالهم ومدينتهم فهرب بعضهم إلى نيسابور ، وانتهى الخبر إلى عبد الله بن طاهر والى المعتصم فوجه إليه عبد الله بن طاهر عمه الحسن بن الحسين بن مصعب وضم إليه جيشًا كثيفًا لحفظ جرجان ، وأمره أن يعسكر على الخندق[٢] .

كذلك وجه عبد الله بن طاهر حيان بن جبلة مولى عبد الله بن طاهر[٣] فى أربعة آلاف إلى قومس معسكرًا على حد جبال شروين ، ووجه المعتصم من قبله محمد بن إبراهيم بن مصعب فى جمع كثيف وضم إليه الحسن بن قارن الطبرى ومن كان ببابه من الطبرية ، ووجه منصور بن الحسن هار صاحب دنباوند إلى مدينة الرى ليدخل طبرستان من ناحية الرى ، ووجه أبا الساج إلى اللارز ودنباوند؛ فلما احدقت الخيل بالمزيار من كل جانب أرسل إلى محتسبيه يطلب منهم جمع خراج سنتين ، فلم يتمكن من جمع شيء مما أراد[٤] .

لم يلبث أصحاب الحسن بن الحسين بن مصعب أن تمكنوا من الدخول إلى عسكر سرخاستان ؛ وهرب سرخاستان ، واستولى أصحاب الحسن على جميع ما فى العسكر ؛ وقبضوا على أخى سرخاستان وهو شهريار وساروا به إلى الحسن بن

---

(١) ومده فى البحر ثلاثة أميال ، وكانت الأكاسرة بنته ليحميها من أغارات كفار الترك على طبرستان الطبرى : حـ٩ ص ٨٥ .

(٢) نز الحسن بن الحسين معسكرًا على الخندق الذى عمله سرخاستان وصار بين العسكرين عرض الخندق . الطبرى : حـ٩ ص ٨٥ .

(٣) الطبرى : حـ٩ ص ٨٩ .

(٤) الطبرى : حـ٩ ص ٨٥ – ص ٨٧ .

الحسين حيث ضرب عنقه ، و لم يلبث أن قبض على أبى صالح سرخاستان وسيق إلى الحسن بن الحسين حيث أمر بضرب عنقه[١] .

لما قوى أمر المازيار بن قارن[٢] ، بعث إلى آخوه القوهيار ، فألزمه بابه وولى الجبل واليًا من قبله يقال له درى ، فلما احتاج المازيار إلى الرجال لمحاربة عبد الله بن طاهر دعا أخيه القوهيار وقال له : أنت أعرف بجبلك من غيرك ، وأظهره على أمر الافشين ومكاتباته له وقال له : صر فى ناحية الجبل ، واحفظه على[٣] .

وكتب المازيار إلى الدرى يأمره بالقدوم ، فقدم عليه ، فضم إليه العساكر ، ووجهه إلى عبد الله بن طاهر ، وظن أنه قد توثق من الجبل بأخيه القوهيار ، فضلاً عن مناعته ، وتوثق من المواضع التى يتخوف منها بالدرى وأصحابه ، وضم إليه المقاتل وأهل عسكره . فوجه عبد الله بن طاهر عمه الحسن ابن الحسين بن مصعب فى جيش كثيف من خراسان إلى المازيار ، ووجه المعتصم محمد بن إبراهيم بن مصعب ، ووجه معه صاحب خبر يقال له يعقوب بن إبراهيم البوشنجى مولى الهادى ويعرف بقوصرة ، فتقابل الجيشان وزحفوا نحو المازيار وهو آمن[٤] ، فى قلة من أصحابه .

كان من أثر حقد ابن عم المازيار[٥] على المازيار[٦] ، أن كاتب الحسن بن الحسين ، وأعلمه جميع ما فى عساكره ، وأن الافشين كاتب المازيار ، فأنفذ

---

(١) الطبرى : جـ٩ ص ٨٨ - ص ٨٩ .

(٢) يذكر الطبرى هذه الرواية فى بيان فساد أمر المازيار وهلاكه . جـ ٩ ص ٩٧ - ص١٠٠.

(٣) الطبرى : جـ٩ ص ٩٧ - ٩٨ .

(٤) الطبرى : جـ ٩ ص ٩٨ .

(٥) يذكره الطبرى ابن عمه أو أخيه القوهيار .

(٦) ذكر الطبرى جـ٩ ص ٩٧ - ٩٨ أن جبال طبرستان كلها كانت فى يد ابن عمه وكان فى يد المازيار السهل ، فلما قوى أمر المازيار بعث إلى ابن عمه (وقيل أخوه) فألزمه بابه وولى الجبل واليًا من قبله .

الحسن كتاب ابن عم المازيار إلى عبد الله بن طاهر ، فوجه به عبد الله برجل إلى المعتصم ، وكاتب عبد الله والحسن بن الحسين ابن عم المازيار - وقيل القوهيار - وضمنا له جميع ما يريد ، وكان ابن عم المازيار أخبر عبد الله بن طاهر أن الجبل الذى هو عليه كان له ولأبيه ولأبائه من قبل المازيار . وأن المازيار عند تولية الفضل ابن سهل إياه طبرستان انتزع الجبل من يديه وألزمه بابه واستخف به ، فشرط له عبد الله بن طاهر إن هو وثب بالمازيار وتمكن من أن يعيد إليه الجبل ولا ينازعه فيه([1]) ، فرضى بذلك ابن عم المازيار ، فكتب له عبد الله بن طاهر بذلك كتابًا ؛ فوعد ابن عم المازيار الحسن بن الحسين ورجالهم أن يدخلهم الجبل ، وأمر عبد الله بن طاهر الحسن بن الحسين أن يزحف للقاء الدرى ، ووجه عسكرًا ضخمًا عليه قائدًا قواده ، فوافوا ابن عم المازيار فى الجبل وسلمه إليهم ، وحاربوا الدرى، ولم يشعر المازيار وهو فى قصره إلا بالرجال والخيل على بابه ؛ فحصروا المازيار ، وأنزلوه على حكم أمير المؤمنين المعتصم([2]) .

توجه الحسن بن الحسين بالمازيار([3]) ، والدرى يقاتل العسكر بإزائه ، ولم يعلم بأسر المازيار : فلم يشعر إلا وعسكر عبد الله بن طاهر محدقه به فاسقط فى أيديهم وهزموا([4]) .

---

(١) ذكر الطبرى حـ٩ ص ٩٧ - ٩٨ أن جبال طبرستان كلها كانت فى يد ابن عمه وكان فى يد المازيار السهل ، فلما قوى أمر المازيار بعث إلى ابن عمه (وقيل أخوه) فألزمه بابه وولى الجبل واليا من قبله .

(٢) الطبرى : حـ٩ ص ٩٨ - ص ٩٩ .

(٣) يذكر الطبرى عن عمرو بن سعيد الطبرى : أن المازيار كان يتصيد ففاجأته الخيل فى الصيد فأخذا سيرًا بعد أن نهب قصره : حـ٩ ص ٩٩ .

(٤) الطبرى : حـ٩ ص ٩٩-ص ١٠٠ .

ومضى الدرى منهزمًا إلى بلاد الديلم ، فقتل أصحابه ، وكر عليه جند عبد الله بن طاهر فتصدى لهم يحاربهم حتى قتل وأخذ رأسه ، فبعثوا به إلى عبد الله بن طاهر . والمازيار بين يديه ، فوعده عبد الله بن طاهر أن هو أظهره على كتب الأفشين أن يسأل أمير المؤمنين الصفح عنه ، وأعلمه عبد الله أنه قد علم أن الكتب عنده ، فأمر المازيار بذلك وأعطاها لعبد الله بن طاهر فوجه بها مع المازيار إلى إسحاق بن إبراهيم ، وأمره إلا يخرج الكتب من يده ولا المازيار إلا فى يد أمير المؤمنين ، فأوصلها إلى المعتصم فسأل المعتصم المازيار عن الكتب ، فلم يقر بها ؛ فأمر بضرب المازيار حتى مات(١) .

على أن أسباب الوحشية بين عبد الله بن طاهر والأفشين لم تكن رغبة الأفشين فى الاستيلاء على خراسان ، بل لأن عبد الله بن طاهر أطلع على بعض أسرار الأفشين المالية(٢) . ذلك أن الأفشين كان أيم حربه لبابك ومقامه بأرض الخرمية لا يأتيه هدية من أهل أرمينية إلا وجه بها إلى أشروسنه (من بلاد وما وراء النهر) فيجتاز ذلك بعبد الله بن طاهر فيكتب إلى المعتصم يطلب أخباره بجميع ما وجه به الأفشين من الهدايا إلى أشروسنة ؛ وكان الأفشين كلما تهيأ عنده مال حمله أوساط أصحابه من الدنانير ، فكان الرجل يحمل فوق الألف دينار فى وسطه، وفى يوم نزل جماعة من هؤلاء الرجال نيسابور ، فأمر عبد الله بن طاهر بتفتيشهم فأخبروه بأن هذه أموال الأفشين وهداياه فكذبهم وقال لهم : لو أراد أخى الأفشين أن يرسل بمثل هذه الأموال لكتب إلى يعلمنى ذلك لآمر بحراسته

---

(١) الطبرى : حـ٩ ص ٩٩ - ص ١٠٠ .

(٢) الطبرى : حـ٩ ص ١٠٥ .

وبذرقته[١] ؛ لأن هذا مال عظيم وأنتم لصوص . فأخذ عبد الله المال وأعطاه لجنده ، وكتب إلى الأفشين يذكر له ما قال القوم وأنكر عليه أن يكون قد وجه مثل هذا المال إلى أشروسنة . دون أن يرسل إليه ليقوم بحراسته وخفارته وقال له : فإن كان هذا المال ليس لك فقد أعطيته الجند مكان المال الذى يوجهه إلى أمير المؤمنين فى كل سنة ، وأن كان المال لك - كما زعم القوم - فإذا جاء المال من قبل أمير المؤمنين رددته إليك ؛ وأن يكن غير ذلك فأمير المؤمنين أحق بهذا المال ؛ وإنما دفعته إلى الجند لأنى أريد أن أوجههم إلى بلاد الترك ، فكتب إليه الأفشين يعلمه أن ماله ومال أمير المؤمنين واحد ويسأله إطلاق القوم[٢] .

لما تحقق المعتصم من كتب الأفشين إلى المازيار تغير عليه ، وأحس الأفشين بذلك ، و لم يدر ماذا يصنع وقد أعد خطتين أحداها لسم الخليفة وقواده والأخرى للهرب إلى أشروسنة ، فبلغت هذه المؤامرة المعتصم فأمر بالقبض على الأفشين وكتب إلى عبد الله بن طاهر بالقبض على الحسن بن الأفشين ؛ وكان الحسن بن الأفشين قد كثرت كتبه إلى عبد الله بن طاهر فى نوح بن أسد (السامانى) يعلمه تحامله على ضياعه وناحيته ، فكتب عبد الله بن طاهر إلى نوح بن أسد يعلمه ما كتب أمير المؤمنين فى أمر الحسن بن الأفشين ، ويأمره بجمع أصحابه والتاهب له ؛ فإذا قدم عليه الحسن بن الأفشين بكتاب ولايته استوثق منه وحمله إليه ؛ فكتب عبد الله بن طاهر إلى الحسن بن الأفشين يعلمه أنه عزل نوح بن أسد ، وأنه قد ولاه الناحية ووجه إليه بكتاب عزل نوح بن أسد[٣] .

---

(١) البذرقة : الخفارة .

(٢) الطبرى : جـ٩ ص ١٠٤ - ص ١٠٥ .

(٣) الطبرى : جـ٩ ص ١٠٥ .

خرج الحسن بن الأفشين في قلة من أصحابه وسلاحه ، فقبض عليه نوح بن أسد وأرسله إلى عبد الله بن طاهر الذى وجه به إلى المعتصم(١) .

وتمكن عبد الله بن طاهر من ضبط خراسان ، ودانت له البلاد جميعًا بالطاعة واستقامت له الأمور ، وبقى على أعمال المشرق طوال عهد المأمون والمعتصم(٢) ، وصدر أيام الواثق إلى أن مات بنيسابور يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول سنة ٢٣٠هـ(٣) .

ومما يذكر لعبد الله بن طاهر أنه كان مهتما بأحوال رعاياه فى خراسان ، وقضاء حوائجهم(٤) ودخل عليه يومًا سوار القاضى فقال : أصلح الله الأمير :

لنا حاجة والعذر فيها مقدم ... خفيف معناها مضاعفة الأجر

فإن تقضها فالحمد لله وحده ... وأن عاق مقدور ففى أوسع العذر

---

(١) يذكر الطبرى حـ٩ ص ١٠٧ - ص ١١٤ محاكمة الأفشين وحبسه حتى مات سنة ٢٢٦هـ .

(٢) كانت العلاقة بين عبد الله بن طاهر والمعتصم وطيدة حتى أنه لما مرض عبد الله بن طاهر أرسل إليه المعتصم يقول :

اعزز على بأن أراك عليلاً ... أو أن يكون بك السقام نزيلاً

فوددت أنى مالك لسلامتى ... فأعيرها لك بكرة وأصيلاً

فتكون تبقى سالمًا بسلامتى ... وأكون مما قد عراك بديلاً

هذا أخ لك يشتكى ما تشتكى ... وكذا الخليل إذا أحب خليلاً

ابن عبد ربه : العقد الفريد حـ٢ ص ٤٤٩ .

(٣) الطبرى : حـ٩ ص ١٣١ ، حمزة الاصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض ص ١٤٦ ، محمد على حيدر الدويلات الإسلامية فى المشرق ص ٤٧ .

(٤) ابن الأثير : حـ٥ ص ٢٧١ .

فسأله عبد الله بن طاهر عن حاجته قال : كتاب لى ان رأى الأمير - أكرمه الله أن ينفذه فى خاصته ، كتبه إلى موسى بن عبد الملك فى تعجيل أرزاقى، قال : أو غير ذلك أبا عبد الله نعجلها لك من مالنا . وإذا وددت (كنت) مخيرًا بين أن تأخذ أو ترد ، فأنشد سوار يقول :

فبابك أيمن أبوابهم	ودارك مأهولة عامرة
وكفك حين ترى المجتديـ	ـن أندى من الليلة الماطرة
وكلبك آنس بالمعتفين	من الأم بأبنتها الزائرة[١]

طاهر بن عبد الله :

مات عبد الله بن طاهر واليه الحرب والشرطة والسواد وخراسان وأعماله والرى وطبرستان ، وما يتصل بها وكرمان ، فولى الواثق أعمال عبد الله بن طاهر كلها إلى ابنه طاهر[٢] ، وقد استقامت له الأمور فيها ثمان عشرة سنة[٣] . إلى أن مات فى خلافة المنتصر فى رجب سنة ٢٤٨هـ فولى المستعين ابنه محمد على خراسان وولى محمد بن عبد الله بن طاهر على العراق وجعل إليه الحرمين . والشرطة ومعاون السواد[٤] .

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد حـ١ ص ٢٤٣ .

(٢) الطبرى : الطبرى حـ٩ ص ١٣١ .

(٣) اليعقوبى : البلدان ص ٣٠٨ ويذكر أن الواثق أراد أن يعين اسحاق بن إبراهيم المصعبى خلفًا لعبد الله بن طاهر ، إلا أن عبد الله بن طاهر كان قد سبقه إلى نيسابور . محمد على حيدر : الدويلات الإسلامية فى المشرق ص٤٧ .

(٤) ابن الأثير حـ٥ ص ٣١١ - ص ٣١٢ .

أفول نجم الطاهريين :

كان محمد بن طاهر (٢٤٨ - ٢٥٩ هـ) آخر حكام الطاهريين حيث قدر لهذه الأسرة أن تزول على أيدى الصفارين ففى سنة ٢٥٧ هـ تقدم يعقوب بن الليث الصفار إلى بوشنج ، واستولى عليها ، وقبض على الحسين بن طاهر بن الحسين عامل محمد بن طاهر عليها ، فأرسل إليه محمد بن طاهر يسأله إطلاق سراحه فلم يجبه ، وأبقاه فى الأسر(١) .

لما تحقق يعقوب بن الليث من ضعف محمد بن طاهر أمير خراسان سار إلى نيسابور (حاضرة الطاهريين) وكتب إلى محمد بن طاهر يعلمه أنه قد عزم على قصد طبرستان ليمضى ما أمره الخليفة فى الحسن بن زيد المتغلب عليها ، وأنه لن يعرض لشيء من عمله ، وكان بعض خاصة محمد بن طاهر وبعض أهله لما رأوا إدبار أمره ، مالوا إلى يعقوب بن الليث فكاتبوه واستدعوه ، وهونوا على محمد أمر يعقوب ، وأعلموه أنه لا خوف عليه منه ، وثبطوه عن التحرز منه ، فركن محمد إلى قولهم حتى قرب يعقوب من نيسابور فوجه إليه قائدًا من قواده يهدىء من روعة ويطلب منه عدم مغادرة نيسابور ، ثم وصل يعقوب إلى نيسابور رابع شوال سنة ٢٥٩ هـ وأرسل أخاه عمرو بن الليث إلى محمد بن طاهر فقبض عليه وقيده ، وعنفه على أهماله وعجره ، ثم قبض على جميع أهل بيته(٢) وحملهم إلى سجستان واستولى على خراسان ورتب فى الأعمال نوابه . وبذلك زالت الدولة الطاهرية .

---

(١) ابن الأثير : حـ ٥ ص ٣٦٣ .

(٢) وكانوا نحو من مائة وستين رجلاً ، ابن الأثير : حـ ٥ ص ٣٦٩ .

ظل الطاهريون بصفة عامة أوفياء للخلافة العباسية ، إذا كانوا يعتبرون أنفسهم بمثابة شركاء فى توجيه سياسة الدولة العباسية وإدارة شئونها إذ كانت أهم المناطق فى المشرق تحت نفوذهم ، وتمتعوا بنفوذ داخلى كبير فيما يتعلق بشئون الإدارة المحلية .

ومع أن الطاهريين تمتعوا بما يشبه الاستقلال التام فى إدارة شئون دولتهم إلا أنهم حرصوا على وجود علاقات وطيدة بالخلافة العباسية وبخاصة فى عهد عبد الله بن طاهر[١] الذى كان حكيمًا باعتماده على الخلافة العباسية حتى يجنى أطيب الثمرات فى ظل العلاقات الطيبة معها ، وفى حدود ما تخوله له سلطته ولهذا لم يفكر عبد الله فى الانشقاق على الخلافة أمام جمهور المسلمين و لم يفكر فى الانفصال نهائيًا عن بغداد[٢] .

وأدت ثقة الخلفاء بالطاهريين أن صارت الإمارة وراثية فى أسرتهم وتمتعوا بحكم خراسان ، وعملوا على نشر الأمن ، ويسروا سبل الحج ، وحكموا بالعدل وأشاد الناس بذكرهم[٣] .

وكان الطاهريون يدفعون جزية سنوية لدار الخلافة ، وظلوا أنصارًا مخلصين للعباسيين ، فأبقوا شرطة بغداد فى أيديهم حتى سنة ٣٠١هـ[٤] .

---

(١) انظر ما أرسله المعتصم من شعر يتمنى فيه لعبد الله بن طاهر البرء من مرضه . ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ٢ ص ٤٤٩ .

(٢) محمد على حيدر : الدويلات الإسلامية فى المشرق ص ٥٠ .

(٣) انظر ما ذكره ابن عبد ربه : العد الفريد جـ١ ص ٢٤٣ .

(٤) عبد العزيز الدورى : دراسات فى العصور العباسية المتأخرة ص ١١٠ – ص ١١١ ، محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ص ٧٩ .

الدولة الصفارية

(٢٥٤ - ٢٩٠ هـ / ٨٦٧ - ٩٠٣م)

يعقوب بن الليث الصفار :

يرجع ظهور يعقوب بن الليث على مسرح السياسة إلى خلافة المتوكل سنة ٢٣٧هـ حينما كان يلي خراسان طاهر بن عبد الله ، وسجستان كملحقات لها ، ولما تولى خراسان محمد بن طاهر[١] لم يعبأ بشئون دولته ، فى الوقت الذى وقعت فيه السلطة المركية ببغداد تحت نفوذ الأتراك ، واختلافهم مما أضر بمركز الخلافة فى الأطراف الشرقية بخراسان ومهد الطريق أمام يعقوب بن الليث .

وكان يعقوب فى أول أمره أحد قادة صالح بن النضر الكنانى الذى اشتهر بالتطوع فى قتال الخوارج ، وقد تغلب على سجستان سنة ٢٣٧هـ وكان يعقوب من المخلصين فى خدمته حتى جعله صالح فى مقام النائب عنه ، وقد استعاد طاهر بن عبد الله أمير خراسان سجستان من صالح بن النضر ، وأعادها إلى طاعته[٢] .

وسرعان ما تغلب على هذه المدينة درهم بن الحسين زعيم المطوعة الذى ظهر عجزه ، فولى جنده قائده يعقوب بن الليث ، فلما رأى أصحاب درهم ضعفه وعجزه اجتمعوا على يعقوب بن الليث وملكوه أمرهم لما رأوا فيه من السياسة وحسن التدبير فتولى يعقوب أمر المطوعة وحارب الخوارج والشراة وهزمهم هزيمة

---

(١) ابت الأثير : جـ٥ ص ٢٩١ .

(٢) ابن الأثير : جـ ٥ ص ٢٩١ ، ص ٢٣٧ ، ص ٢٣٨ النويرى : نهاية الأرب جـ٢٣ ورقة ١٩٣ مخطوط بدار الكتب رقم ٦٩٩ .

منكـرة ، و لم يلبث أن اشتدت شوكته فغلب على سجستان وهراة وبوشنج وماوالاها([١]) .

لم تقف أطماع يعقوب عند حد الاستيلاء على هراة وبوشنج ، بل تطلع إلى كرمان وفارس من قبل الخليفة العباس وطلب منه أن يوليه كرمان ، وكان على ابن الحسين قد تباطأ بحمل خراج فارس فكتب إليه الخليفة المعتز بولاية كرمان وكتب إلى يعقوب بن الليث بولايتها ، وكان هدف المعتز من ذلك اغراء كل واحد منهما بصاحبه حتى إذا هزم أحدهما الآخر سقطت مؤنة الهالك منهما وانفرد بالآخر([٢]) .

وزحف يعقوب بن الليث بجيشه نحو كرمان ، ولكن على بن الحسين كان قد وجه أحد قواده وهو « طوق بن المغلس » فسبقه إلى كرمان ، فلجأ يعقوب إلى خداع طوق بأن موه عليه ، فانصرف عنه مرحلتين ، فوضع طوق آلة الحرب وأقبل على الشرب والملاهى فباغته يعقوب وأحاط به وبإصحابه وتمكن من أسره ، ودخل كرمان وملكها([٣]) . ثم سار بعد ذلك إلى شيراز عاصمة فارس واستولى عليها بعد أن هزم على بن الحسين وأخذ ما فى بيوت الأموال وجبى الخراج ورجع إلى سجستان ، ولما فارق يعقوب بلاد فارس أرسل الخليفة عماله إليها([٤]).

---

(١) ابن الأثير : الكامل حـ٥ ص ٢٩١ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان حـ٢ ص ٣١٢ ، النويرى : نهاية الأرب (مخطوط) حـ٢٣ ورقة ١٩٣ .

(٢) ابن الأثير : حـ٥ ص ٤٣٠ ، النويرى : نهاية الأرب حـ٢٣ ورقة ١٩٣ ويذكر ابن الأثير أن كلا من يعقوب بن الليث وعلى بن الحسين يظهران طاعة غير حقيقية وكان المعتز يعلم ذلك عنهما .

(٣) ابن الأثير : حـ٥ ص ٣٤٠ حوادث سنة ٢٥٥هـ .

(٤) ابن الأثير : حـ٥ ص ٣٤٠ -ص٣٤١ ويذكر أن يعقوب بعد انتصاره كتب إلى الخيفة بطاعته وأرسل إليه الهدايا والطرف .

وفى سنة ٢٥٧هـ/ ٨٧٠- ٨٧١م سار يعقوب بن الليث إلى فارس فأرسل إليه المعتمد ينكر ذلك عليه ، فكتب إليه الموفق بولاية بلخ وطخارستان والسند ، فقبل يعقوب ذلك وعاد إلى بلخ ، ثم سار من بلخ إلى كابل واستولى عليها وأرسل رسولاً إلى الخليفة ومعه هدايا من كابل ، ثم سار إلى بست فاقام بها سنة ثم رجع إلى هراة ، وحاصر مدينة كروخ واستولى عليها ، ثم سار إلى بوشنج وقبض على الحسين بن طاهر بن الحسين وأرسل محمد بن طاهر بن عبد الله يسأله اطلاق عم أبيه الحسين بن طاهر فلم يفعل(١) .

بلغ من ضعف الطاهريين بخراسان أن رأى يعقوب بن الليث أن يسقط دولتهم . ويستبدل بهم دولة قوية تستند إلى قوة الجيش الذى يرأسه ، وخاصة عندما تمكن من هزيمة الحسن بن زيد لعلوى صاحب طبرستان ، الذى كان قد قصد جرجان واستولى عليها من محمد بن طاهر سنة ٢٥٧ هـ فتوطدت بذلك أقدام يعقوب بن الليث فى سجستان وهراة وما حولها(٢) .

لم يبق للطاهريين فى خراسان سوى نيسابور التى تحصنوا بها بعد أن انفصلت عنهم معظم الولايات الشرقية التى غلب عليها يعقوب بن الليث والحسن

---

(١) ابن الأثير : جـ٥ ص ٣٦٣ ، النويرى : نهاية الأرب (مخطوط) جـ٢٣ ورقة ١٩٦ .

(٢) ابن الأثير : جـ٥ ص ٣٦٣ .

يذكر الدكتور حسن إبراهيم حسن جـ٣ ص ٦٥ - ص ٦٦ . أن يعقوب بن الليث لم يكن يرمى إلى القضاء على الدولة الطاهرية بل عمل على أن يمد نفوذه على بلاد فارس وخراسان .لذلك نراه يحارب الترك على تخوم سجستان فرهبته الملوك وأذعن له ملك المولتان وملك الرخج وملك الطبسين ، وملك زابلستان وملك السند ، ومكران وغيرها .

الطبرى : جـ١١ ص ٢٢٣ - ص ٢٤٣ .

ابن زيد العلوى ، فضلاً عن عبث الخوارج والشراة([1]) ، فرغب يعقوب أن يقتحم آخر معاقلهم فتوجه بجنده صوب نيسابور سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٢م واستولى عليها فى عهد الخليفة المعتمد ، وقبض على محمد بن طاهر وأهل بيته ، وبذلك سقطت دولتهم([2]) .

وبعد انتصار يعقوب بن الليث الذى رأى أنه القوة الوحيدة المسيطرة على تلك النواحى من المشرق الإسلامى ، رغب فى أن يوليه الخليفة العباس أمر المشرق حتى يستمد من تلك التولية نفوذًا روحيًا يضمه إلى ما حصل عليه من نفوذ مادى وعسكرى فبعث إلى الخليفة يصف إليه الحال فى خراسان وكيف تمكن من القبض على محمد بن طاهر لعجزه وضعفه ، وأن أهل خراسان سألوه المسير إليهم ، ويذكر غلبة العلويين على طبرستان([3]) .

على أن هذا الموقف الذى اتخذه يعقوب بن الليث من الطاهريين يعتبر تحديًا سافرًا لسلطان الخلافة وحرمانها من نصير موال - رغم ما وصلت إليه دولة الطاهريين من ضعف - اعتمدت عليه الخلافة العباسية ، وإن كان يعقوب نفسه قد وعد الخلافة بالتأييد والطاعة ، كما تعهد بان يقدم إلى بيت المال ما يحتاجه ، وضمن خراج الأقاليم التى تخضع له([4]) .

---

(١) ابن الأثير : جـ٥ ص ٣٦٣ .

(٢) ابن الأثير جـ٥ ص ٣٦٨ - ٣٦٩ ويذكر ابن الأثير أن يعقوب لما قبض على محمد بن طاهر وبخه عل تفريطه . وأرسل إلى الخليفة يذكر تفريط محمد بن طاهر فى عمله وأن أهل خراسان سألوه المسير إليهم .

(٣) ابن الأثير : جـ٥ ص ٣٦٨ - ٣٦٩ .

(٤) محمد على حيدر : الدويلات الإسلامية فى المشرق ص ٦١ .

على أن الخلافة العباسية التى كانت تحرص على سيادتها فى المقـام الأول لم ترض عن هذه التطورات ، وقد أصرت الخلافة فـى عهـد المعتمـد وجهـود الموفـق على أن تشعر ولاة الأقاليم بأنهم يخضعون لها خضوعًا مباشرًا فى كل تصرفاتهم ، ولذا فلم تلق مطالب يعقوب بن الليث بشأن خراسان قبولاً حسنًا([1]) وردت رسل يعقوب ومعها خطاب جاء فيه : « أن أمير المؤمنين لا يقر يعقـوب علـى مـا فعـل وأنه يامـره بالانصراف إلى العمل الذى ولاه إياه ، وأنه لم يكن ليعقوب أن يفعـل ما فعـل بغير أمره ، فليرجع فأنه إن فعل كان مـن الأوليـاء وإلا لـم يكن لـه إلا ما للمخالفين »([2]) .

وفى سـنة ٢٦١ هـ / ٨٧٤ - ٨٧٥م بـدأت أطمـاع يعقـوب ابـن الليـث الواسعة تظهـر ظهورًا بينـًا ، وأدرك الخليفـة العباسـى المعتمـد مـدى الخطـورة التى تستهدف له دولته من جراء ازدياد نفوذه ، فاضمر له العـداء ، وجمـع ببغـداد حاج خراسان والرى وطبرستان وجرجـان ، وقـرئ عليهـم كتـاب الخليفـة بلعـن يعقـوب ، وأرسـلت عشـرات النسـخ مـن هـذا الكتـاب إلى الأمصـار لتـذاع بـين الناس([3]) .

أثار الخليفة العباسى بعمله هذا حنق يعقوب بن الليث ، فأعد عدتـه لقصـد العراق ، ثم سار إلى الأهـواز : « وكـاتب الخليفـة وسـأله ولايـة خراسـان وبـلاد فارس ، وما كان مضمومـا إلى طـاهر بـن الحسـين مـن الكـور ، وشـرطتى بغـداد

---

(١) ابن الأثير : جـ٥ ص ٣٦٨ - ٣٦٩ الذى يذكر أن الخليفة العباسـى أنكـر عليـه مـا فعلـه وأمره بالاقتصار على ما أسند إليه وأن لا يسلك مسلك المخالفين .

(٢) النويرى : نهاية الأرب (مخطوط) جـ٢٣ ورقة ١٩٦ .

(٣) الطبرى : جـ٩ ص ٥١٢ ، ابن الأثير : جـ٦ ص ٧ .

وسرمن رأى ، وأن يعقد له على كرمان وسجستان والسند ، وأن يحضر من قرئت عليهم الكتب التى نسخت فى دار عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، ويقرأ عليهم خلاف ما قرئ عليهم أولاً ... ليبطل ذلك الكتاب بهذا الكتاب . ففعل ذلك الموفق أخو الخليفة المعتمد على الله ، وأجابه إلى ما طلب وجمع الناس وقرا عليهم ما أحبه الصفار ، وأجيب إلى الولاية التى طلبها »[١] .

وكانت الحكمة السياسية هى التى دفعت الموفق مدير أمر المعتمد إلى اتخاذ مثل هذه الخطوة ، ذلك أن الظروف التى كانت تمر بها الخلافة لا تسمح بالحرب فى جبهتين فى وقت واحد ، جبهة الزنج الذين ثاروا منذ سنة ٢٥٥ هـ وثورة يعقوب بن الليث ومع ذلك فإن أطماع يعقوب بن الليث لم تقف عند حد ولم يقنع بما وصل إليه ، بل عمل على قصد بغداد نفسها وحمل الخليفة على الإذعان لمطالبه ، وربما كان ذلك لاعتماده على جيش قوى ، فقد ذكر ابن خلكان[٢] ، أن مساحة عسكره كانت ميلاً فى ميل وأن دوابه فى غاية الفراهية .

وفى سنة ٢٦٢ هـ أعاد يعقوب الرسل إلى الخليفة بكتاب ذكر فيه أنه لا يرضيه ذلك دون أن يصير إلى باب السلطان وارتحل يعقوب من عسكر مكرم بعد أن سار إليه ابو الساج ، فلما علم المعتمد بذلك رأى أنه لابد من الحرب فخرج من سامرا أوائل جمادى الآخرة سنة ٢٦٢ هـ وسار إلى بغداد ثم إلى الزعفرانية فأقام بها وأحضر الموفق لمحاربة يعقوب[٣] .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ص ٣١٦ .

(٢) وفيات الأعيان جـ٢ ص ٣١٧ .

(٣) الطبرى : جـ٩ ص ٥١٦ - ٥١٧ ، ابن الأثير : جـ٦ ص ٧ - ص ٨ .

وسار يعقوب بجيشه من عسكر مكرم إلى واسط ، إلى دير العاقول لمحاربة الموفق[١] فجعل الموفق على يمين الجيش موسى بن بغا وعلى يساره مسرور البلخى وتولى هو قيادة القلب . وقد أحرز يعقوب نصرًا مبدئيًا فى المعركة التى دارت رحاها إذ حملت ميسرة يعقوب على ميمنة الموفق فألحقت بها الهزيمة ، وقتل كثير من قواد جيش الخلافة ، ولكن لم يلبث أن تحول هذا النصر إلى هزيمة ساحقة عندما حمل الموفق ومعه سائر جيشه حملة موفقة على جيش يعقوب الذى ثبت فى أول الأمر ، و لم تزل الحرب قائمة إلى أن انهزم جيش يعقوب[٢] ، وثبت هو فى خاصة أصحابه إلى أن فارقوا مكان المعركة ، وتبعهم أصحاب الموفق وغنموا ما فى معسكره ، وخلصوا محمد بن طاهر من الأسر[٣] فخلع عليه الموفق وولاه الشرطة فى بغداد[٤] .

عاد يعقوب منهزمًا إلى خوزستان ونزل جند يسابور ، وأرد صاحب الزنج أن ينتهز ذلك الموقف ويعقد محالفة مع يعقوب ضد الخلافة وراسله لكى يحثه على الرجوع إلى بغداد ويعده بالمساعدة ، غير أن يعقوب رفض ذلك العرض وقال لكاتبه إليه ﴿ قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ﴾ وبعث بالكتاب إليه[٥] .

ويتبين لنا إسلام يعقوب بن الليث على المذهب السنى (مذهب الخلافة) حينما رفض التحالف مع العلوى صاحب الزنج .

---

(١) الطبرى : حـ٩ ص ٥١٧ وذكر أن المعتمد سار من الزعفرانية إلى سيب ابن كوما .

(٢) يذكر الطبرى حـ٩ ص ٥١٨ أن كثيرًا ممن كان مع يعقوب أظهر كراهته للحرب معه إذ رأوا السلطان (الموفق) قد حضر لقتاله .

(٣) الطبرى : حـ٩ ص ٥١٨ ، ابن الأثير : حـ٦ ص ٧ – ص ٨ .

(٤) الطبرى : حـ٩ ص ٥١٨–ص٥١٩، النويرى : نهاية الأرب (مخطوط) حـ٢٣ ص١٩٩.

(٥) ابن الأثير : حـ٦ ص ٨ .

وأراد المعتمد أن يكيدليعقوب بن الليث فكتب إلى ابن واصل بتولية فارس وكان قد سار إليها وجمع جماعة فغلب عليها فسير يعقوب إليه جيشًا يقوده ابن عزيز السرى فاستولى على فارس ، ورجع المعتمد إلى سامرا ، وأما أبو أحمد الموفق فإنه سار إلى واسط ليتبع الصفار وأمر أصحابه بالتجهز لذلك ، غير أنه اضطر للعودة إلى بغداد بسبب مرضه(١) .

على الرغم من الهزيمة لتى منى بها يعقوب بن الليث على يد الموفق وجيشه إلا أن الخلافة أدركت قوته ، فبعثت إليه تستميله وتجدد ولايته على فارس ولكنه لم يقنع بذلك فنزل جند يسابور سنة ٣٦٣هـ/٨٧٦ – ٨٧٧م بعد أن أجلى من كان بها من جند الخليفة ووجه يعقوب إلى الأهواز جيشًا يقوده الخضر بن العنبر، فلما قاربها خرج منها على بن أبان ومن معه ودخل الخضر الأهواز ، وقامت اعتداءات متكررة بين جيش الصفار وصاحب الزنج انتهت فى بادئ الأمر بأن أوقع الزنج بجيش الصفار ، فأنقذ يعقوب المدد إلى قائده وأمر بالكف عن قتال الزنج والإقامة فى الأهواز فكف بعضهم عن بعض(٢) .

أراد الخليفة المعتمد أن يستميل إليه يعقوب بن الليث ليأمن جانبه فيقول ابن خلكان(٣) أن الخليفة : أرسل إليه رسولاً يترضاه ويستميله ويقلده أعمال فارس فوصل الرسول ويعقوب مريض ، فجلس له ، وجعل عنده سيفًا ورغيفًا ومعه بصل ، فاحضر الرسول فأدى الرسالة وقال له : « قل للخليفة أنى عليل فإن

---

(١) ابن الأثير : جـ٦ ص ٨ .

(٢) الطبرى : جـ٩ ص ٣٥١ – ص ٤٣٢ ، ابن الأثير : جـ٦ ص ١٤ .
، النويرى : نهاية الأرب جـ٢٣ ص ١٩٩ (مخطوط) .

(٣) وفيات الأعيان : جـ٢ ص ٢١ .

مت فقد استرحت منك واسترحت منى ، وأن عوفيت فليس بينى وبينك إلا السيف هذا ، حتى أخذ بثأرى أو تكسرنى وتفقرنى فأعود إلى الخبز والبصل . وعاد الرسول فلم يلبث يعقوب أن مات (فى جند يسابور) فى شوال سنة ٢٦٥هـ/ يونية ٨٧٩م[١] .

اشتهر يعقوب بن الليث باليقظة وحسن التدبير ، فكان يحسن اختيار رجاله كما يحسن تنظيم جيوشه وأعدادها بالعدة والسلاح وظل فى حياته الخاصة جنديًا يرتدى الملابس القطنية ، ولم يحاول تبرير أعماله بوسائل غير شرعية ، ووجه كل اهتمامه إلى تكوين جيش مطيع له[٢] ، ويقول المسعودى[٣] : « وكانت سياسة يعقوب بن الليث لمن معه من الجيوش سياسة لم يسمع بمثلها فيمن سلف من الملوك من الأمم الغابرة من الفرس وغيرهم ممن سلف وخلف ، وحسن انقيادهم لأمره . واستقامتهم على طاعته لما كان قد شملهم من إحسانه وغمرهم من بره وملأ قلوبهم من هيبته .. وكان من سننه للقواد والرؤساء والعظماء عنده مراتب فى الدخول من باب مضربه بحيث تقع عينه عليهم ويرى مداخلهم ، فيمرون مع أطناب الشقاق إلى خيمة مضروبة بحيث لا يرى هو وضعها ، لكنه يرى مداخلهم إليها ومخرجهم منها، فمن احتاج إليه منهم واحتاج إلى كلامه أو أمره أو نهيه دعاه فأمره » .

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أهمية حركة يعقوب بن الليث الصفار فلقد كان من حسن حظ الخلافة أن جاءت حركته فى فترة كانت فيها الخلافة فى عهد

---

(١) ابن الأثير : جـ٦ ص ٢١ .

(٢) الدورى : دراسات فى العصور العباسية المتأخرة ص ١١٦ .

(٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر جـ٤ ص ١٤١ .

، محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ص ٨٠ - ص ٨١ .

المعتمد وأخيه الموفق من القوة بحيث أمكنها جماح طماعه ، ومع ذلك فقد ساهم يعقوب بن الليث فى تحقيق بعض أهداف الدولة العباسية ، بعدائه للخوارج المنشقين على الدولة والعلويين .

كذلك لم تكن حركة الصفار ذات صبغة دينية أو سياسية تحتم على يعقوب وأخيه عمرو عدم القيام بعمل عسكرى ضد الخليفة ، لأن طبيعتهم المتعطشة للحكم لم تجعلهم راضين بما كسبوا ، ولكنهم بذلوا جهدهم للحصول على المزيد من الأراضى والمناطق ، وساروا على إجبار الخلافة على الاعتراف بسياسة الأمر الواقع ، وفى الوقت الذى كانت قوة الطاهريين فى أفول ، ازدهرت قوة الصفارين، بحيث لم تجد الخلافة ، وقد أعيتها محاولات إثنائهم عن الاستيلاء على المزيد من المناطق ، إلا أن تعترف بنفوذهم ، ومن الجانب الآخر أراد الصفارون إرضاء الخلافة بالأذعان والطاعة لها . فدعو للخليفة على المنابر ، وصكوا العملة باسمه فى ولاياتهم(١) .

ويقول براون(٢) إن استقلال بلاد الفرس يمكن أن يقال أنه بعث عن طريق هذه الأعمال الباهرة التى قام بها يعقوب بن الليث الصفار فإنه على الرغم من أنه لم يكن من بيت عريق ، نجح فى تأسيس دولة استطاعت مع قصر عهدها أن تنشر نفوذها ، ليس فى سجستان وحدها حيث قامت دولتها فى أول الأمر ، بل فى معظم أرجاء فارس وإلى أسوار بغداد تقريبًا .

---

(١) محمد على : الدويلات الإسلامية فى المشرق ص ٦٧ .

(2) Lit, Hist. of Persia. Vol, 1, pp. 346-7.

عمرو بن الليث الصفار (٢٦٥ - ٢٨٧هـ) :

لما توفى يعقوب بن الليث سنة ٢٦٥ هـ بايع الجند أخاه عمـرو ، وأقر أبو أحمد الموفق أخو الخليفة العباسى المعتمد تعيينه واليًا على خراسان وفارس وأصبهان وسجستان والسند وكرمان ، والشرطة ببغداد وسامرا ، وأرسل إليه الخلع([1]) .

تحسنت العلاقة بين عمرو بن الليث والخلافة ، وأناب عمرو عنـه عبيـد الله ابن عبد الله فى شرطة بغداد وسامرا ، وبعث إلى الموفق بعمود من الذهب([2]) .

ويبدو طموح عمرو بن الليث فى محاولة الاستقلال بدولتـه عـن الخلافـة ، وإذا كان يعقوب ذكر اسمه بجـانب اسـم الخليفـة ، فـإن عمـرو لم يلبـث أن صـك العملة الذهبية باسمه ، كما أنه ليس هناك دليل علـى أن الصفـارين كـانوا يدفعـون خراجًا سنويًا إلى دار الخلافة بالرغم من أن يعقوب كان قد وافق من حيث المبـدأ على أن يدفع ثلثى الضرائب التى يجبيها حكام الولايات التى يحكمونها باسمهم([3]).

لم تلبث العلاقات أن ساءت بين الدولة الصفارية والخلافة العباسية فقد عزل الخليفة المعتمد عمرو بن الليث عن البلاد التى ولاه إياها ، وأعلن هذا الخلـع علـى ملأ من حاج خراسان ، ولعنه بحضرتهم ، وأخبرهم أنه قلد محمد بـن طـاهر وأمـر بلعن عمرو على المنابر ، بيد أن محمد بن طاهر آثر البقـاء بحاضرة الخلافـة وأنـاب رافع ابن هرثمة فى إدارة ولاية خراسان([4]) .

---

(١) الطبرى : جـ٩ ص ٥٤٤ - ص ٥٤٥ ، ابن الأثير : جـ٦ ص ٢٢ .

(٢) الطبرى : جـ ٩ ص ٥٤٩ وذلك لكى يزيل أى أثر للشك من ناحيته تجاه الخلافة .

(3) Siddiqi : Caliphate and Kingship, p. 35.

(٤) ابن الأثير : جـ٦ ص ٥٨ حوادث سنة ٢٧١ هـ .

وفى سنة ٢٧٤ هـ سار الموفق إلى فارس لحرب عمرو بن الليث الصفار فلما بلغ الخبر عمرو سير إليه العباس بن اسحق فى جمع كبير إلى سيراف . وانفذ ابنه محمد بن عمرو إلى ارجان ، وسير أبا طلحة شركب صاحب جيشه على مقدمته ، فاستأمن أبو طلحة إلى الموفق ، غير أنه لم يلبث أن عزم على العودة إلى عمرو فقبض عليه الموفق ، وسار يطلب عمرا فعاد عمرو إلى كرمان ومنها إلى سجستان، و لم يقدر الموفق على أخذ كرمان ، وسجستان وعاد أدراجه([1]) .

ولما ولى المعتضد الخلافة سنة ٢٧٩هـ/٨٩٣م عزل رافع بن هرثمة عن خراسان وسبب ذلك أن المعتضد كتب إلى رافع بتخلية قرى السلطان بالرى ، فلما رفض رافع كتب المعتضد إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف يأمره بمحاربة رافع وإخراجه عن الرى ، وكتب إلى عمرو بن الليث بتولية خراسان ، ثم أن أحمد بن عبد العزيز لقى رافعًا فقاتله فانهزم رافع عن الرى وسار إلى جرجان غير أن أحمد ابن عبد العزيز لم يلبث أن توفى (٢٨٠ هـ) فعاد رافع إلى الرى فلاقاه عمرو وبكر ابنا عبد العزيز فانهزما إلى أصبهان ، وأقام رافع بالرى باقى سنة ٢٨٠هـ([2]).

و لم يلبث عمرو بن الليث أن وافى نيسابور سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣ - ٨٩٤م واستولى عليها وعلى خراسان فرأى رافع أن يصالح محمد بن زيد على أن يعيد إليه طبرستان([3]) وكذلك ابن عبد العزيز ، وبلغ خبر تلك المصالحة عمرو بن الليث

---

(١) ابن الأثير : حـ٦ ص ٦٢ .

(٢) ابن الأثير : حـ٦ ص ٧٤ .

(٣) ردها فى شعبان سنة ٢٨١هـ على أن يمده بأربعة آلاف من شجعان الديلم وخطب لمحمد بطبرستان وجرجان فى ربيع الآخر سنة ٢٨٢هـ ابن الأثير حـ٦ ص ٧٤ .

فأرسل إلى محمد بن زيد يهده بالانتقام فتراجع عن انجاد رافع بعسكره([1]) ، وفى سنة ٢٨٣ هـ سار رافع إلى خراسان فورد نيسابور فى ربيع الآخرة (٢٨٣هـ مايو- يونيه ٨٩٦م) وجرى بينه وبين عمرو حرب شديدة انهزم فيها رافع إلى أبيورد وأراد المسير إلى هراة ، ومرو فقطع عليه عمرو الطرق وحصره عند سرخس فتلاقيا ، واستأمن بعض قواد رافع إلى عمرو ، فانهزم رافع واصحابه ، وسير اخاه محمد بن هرثمة إلى محمد بن يزيد يستمده فلم يمده ، وتفرق عن رافع أصحابه وغلمانه ، وخرج رافع منهزمًا إلى خوارزم فى رمضان(٢٨٣هـ) ، فلما بلغ رباط خيوة وجه إليه خوارزمشاه أبا سعيد الدرغانى ليقيم له الأنزال ويخدمه إلى خوارزم، فرماه أبو سعيد فى قلة من رجاله وغدر به وقتله فى شوال (٢٨٣هـ) وحمل رأسه إلى عمرو بن الليث وهو بنيسابور([2]) . وأنفذ عمرو الرأس إلى المعتضد فوصل إليه سنة ٢٨٤هـ([3]) .

فرح الخليفة العباس بمقتل رافع بن الليث وأرسل إليه بالخلع ولواء ولايته على الرى([4]) ، ولكن عمرًا اعتذر عن قبول الخلع وأصر على طلب ولاية ما وراء النهر وكانت بيد أسماعيل بن أحمد السامانى . و لم يجد الخليفة بدأ من إجابة عمرو الذى لم تقف أطماعه عند حد وكتب إليه إسماعيل : إنك قد وليت دنيا عريضة ، وأنا فى يدى ما وراء النهر ، وأنا فى ثغر فاقنع بما فى يدك ، وأتركنى مقيمًا بهذا الثغر ، فأبى أجابته إلى ذلك وذكر له من أمر نهر بلخ وشدة عبوره فقال عمرو :

---

(١) لما قوى أمر عمرو أبقاه بطبرستان .

(٢) أرسل عمرو بن الليث إلى الخليفة العباسى يخبره بمقتل رافع بن الليث فأمر الخليفة بإعلان مقتل رافع فى ذى القعدة سنة ٢٨٣ ق الطبرى : حـ١٠ ص ٥٠ .

(٣) ابن الأثير : حـ٦ ص ٧٤ - ص ٧٥ .

(٤) الطبرى : حـ١٠ ص ٦٣ حوادث سنة ٢٨٤ هـ .

لو شئت أن أسكره ببدر الأموال وأعبره لفعلت »([1]) . فسار أسماعيل نحوه وعبر النهر إلى الجانب الغربي ، ونزل عمرو فنزل بلخ ، إلا أن جموع إسماعيل لم تلبث أن حاصرت عمرو ، ثم دار القتال بين الطرفين ، فهزم عمرو ، وأخذ أسيرًا فسيره أسماعيل إلى سمرقند([2]) .

لما وصل الخبر إلى الخليفة المعتضد ذم عمرًا ومدح أسماعيل ، وخير أسماعيل عمرو بين البقاء عنده أو انفاذه إلى المعتضد فأختار المقام عند المعتضد فأرسله إل بغداد حيث وصلها سنة ٢٨٨هـ ، وبقى محبوسًا بها حتى قتل سنة ٢٨٩هـ([3]) .

كان عمرو بن الليث يتميز بكفايته ف إدارة دولته ، فمنع أصحابه وقواده أن لا يضرب أحدهم غلامًا إلا بأمره .. وكان يشترى المماليك الصغار ويهبهم قواده . ويجرى عليهم الجرايات الحسنة سرًا ليطالعوه بأحوال قواده ولا ينكتم عنه شيء من أخبارهم ، و لم يكونوا يعلموا من ينقل إليه عنهم فكانوا لذلك يحذرونه([4]) .

وكانت سلطة عمرو تستند إلى القوة الحربية ، ولذلك اهتم بالعمل على زيادة موارد دولته ، وكانت شراهته للمال لا حد لها ، حكى عنه أنه ألزم عامل له بفارس اسمه أبو حصين على بيع أملاكه وتأدية ثمنها إليه ففعل ، ثم طلب منه مائة

---

(١) كتب أسماعيل بن أحمد ذلك لعمرو بعد أن وجه عمرو حاجبه وخليفته محمد ابن بشير لمحاربة اسماعيل بن أحمد الذى تمكن من قتل محمد بن بشير وستة آلاف من رجاله فلما بلغ المنهزمون عمرو عزم على المسير إلى بلخ فكتب إليه اسماعيل ذلك الخطاب .

انظر ابن الأثير : جـ٦ ص ٩٥ ، حوادث سنة ٢٨٧هـ .

(٢) ابن الأثير : جـ٦ ص ٩٥ - ص ٩٦ .

(٣) ابن الأثير : جـص ٩٦ ، ويذكر قتله ضمن حوادث سنة ٢٨٨ هـ ص ١٠١ .

(٤) ابن الأثير : جـ٦ ص ٩٦ بيروت .

ألف درهم ، كذلك سخط يومًا على أكبر حجابه محمد بن بشير و لم يرض عنه إلا بعد أن أدى إلى خزانة عمرو خمسون بدرة من الذهب[١] .

آل حكم الدولة الصفارية بعد وفاة عمرو بن الليث إلى حفيده طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث ، إلا أنه لم يكن له من الأمر شيء ، لاستبداد سبك السبكرى غلام عمرو بن الليث بالسلطة ، حيث قبض عليه وعلى أخيه يعقوب ابن محمد بن عمرو بن الليث في سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٨ - ٩٠٩م وبعث بهما إلى بغداد ، وتغلب على بلاد فارس إلى أن طرده منها الليث بن على بن الليث الصفار، فاستنجد السبكرى بالخليفة المقتدر ، فأمده بجيش بقيادة مؤنس الخادم (٢٩٧ هـ/ ٩٠٩ - ٩١٠م) وحلت الهزيمة بالليث الصفارى وأسره ولكن الجو لم يصف للخلافة بسبب عصيان السبكرى وامتناعه عن إرسال الأموال إلى بيت المال[٢] .

حاولت الخلافة العباسية القضاء على السبكرى الذى انهزم من شيراز إلى بم وتحصن بها وتبعه محمد بن جعفر القريابى - أحد قواد مؤنس الخادم - وحصره بها فخرج إليه السبكرى وحاربه مرة ثانية فهزمه محمد ونهب ماله ودخل السبكرى مفازة خراسان ، وتمكن السامانيون من القبض على السبكرى وأسره ، وكتب الأمير أحمد بن اسماعيل السامانى إلى الخليفة المقتدر بذلك النصر ، فكتب إليه يشكره على ذلك ويأمره بإرسال السبكرى ومحمد بن على بن الليث إلى بغداد، فسيرهما إليه[٣] . في شوال سنة ٢٩٨هـ/ يونيو ٩١١م .

---

(١) ابن الأثير : جـ٦ ص ٩٦ بيروت .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٢ ص ٣٢٤ ، ابن الأثير : جـ٦ ص ١٣٦ .

(٣) ابن الأثير : جـ٦ ص ١٣٦ ، ص ١٣٨ حوادث سنة ٢٩٨هـ .

وبذلك زالت الدولة الصفارية ، التى لم يقتصر خطرها على انتزاع ذلك الجزء الكبير من أراضى الدولة العباسية فى المشرق ، بل حاول يعقوب فتح بغداد ، واقتفى أخوه عمرو أثره ولكنهما لم يصلا إلى بغيتهما . وكان من الممكن لهذه الدولة أن تعيش لو أن مؤسسيها قنعوا بما فى ايديهم ، إلا أن أطماعم جلبت عليهم عداء الدولة العباسية ، فعمل خلفاؤها على القضاء على الصفارين بكل ما أوتوا من قوة ، واستعانوا بالقوة الجديدة التى ظهرت فى تلك المنطقة وهم السامانيون الذين جدوا فى القضاء على هذه الأسرة وعملائها .

حركة الزنج
وموقف الخلافة العباسية تجاهها

حركة الزنج :

تعتبر حركة الزنج من الثورات التى هددت الخلافة العباسية وهزت كيانها ، وهم طائفة من عبيد أفريقية(١) الذين جيء بهم فى الغالب من ساحل أفريقيا الشرقى(٢) ، وهو أرض الزنج(٣) التى تدعى زنجبار أو زنزبار وتشمل هذه البلاد مساحات واسعة من أفريقية بما فى ذلك المناطق الداخلية وجزء من المنطقة الواقعة قرب البحر الأحمر .

وكان لهذا الشعب فروع وعشائر مختلفة حيث كانوا يمثلون تجارة الرقيق الأسود الرائجة فى تلك العصور ، فقد كان يمارسها العرب وبقيت مستمرة حتى وقت قريب فى المناطق الأفريقية الممتدة ما بين خطى عرض ٥ - ١٥ جنوبًا ، وكانت هذه المناطق قديمًا وحتى وقت قريب مقصد تجار الرقيق الأسود(٤) .

وقد استخدم العبيد على نطاق واسع فى الأراضى الواقعة شرقى البصرة حيث تكثر المستنقعات فى القسم الأدنى من دجلة والفرات(٥) ، وكانت مهمة

---

(١) حركة الزنج هى ثورة العبيد Ethiopians

Muir : The calipate, p. 545.

(2) Massignon : Encyclopedia of islam, vol. IV, p. 1213.

(٣) يطلق لفظ الزنج أو الزنج أو الزنوج أحيانًا على جميع العبيد .

(٤) من نهر الزمبيزى جنوبًا إلى بلاد مانيوبا شمالاً .

Encyclopedia Britanica, Vol. 23, pp. 934 - 35.

(5) Walker : A Rrare coin of the Zanj, p. 653 (The journal of the Royal Asiatic society 1).

هؤلاء العبيد « كسح السباخ » أى إزالة الطبقة الملحية التى تغطى هذه الأراضى وإظهار التربة الخصبة الصالحة للزراعة ونقل السباخ وجعله أكواما أو تلالا ليستفاد منه فى الوقت نفسه(١) .

سكن الزنوج العراق منذ مدة طويلة وظهروا بفرات البصرة فى آخر أيام مصعب بن الزبير ، وكانوا قليلى العدد آنذاك ، لكنهم أفسدوا الزروع واستولوا على الثمار كرها . ولما ولى خالد بن عبد الله القسرى البصرة كانوا قد كثروا فشكا إليه الناس أذاهم ففرقهم وقتل جماعة منهم وفتك بهم(٢) . وفى عهد ولاية الحجاج بن يوسف الثقفى ثار هؤلاء الزنج سنة ٧٥هـ/ ٦٩٤م واجتمع منهم جمع كبير واتخذوا من بينهم زعيمًا يدعى رباح ولقبوه « شيرز نجى » أى أسد الزنج(٣) . فلما فرغ الحجاج من ابن الجارود أمر زياد بن عمرو صاحب شرطة البصرة أن يحاربهم فجهز لهم جيشًا بقيادة ابنه حفص فهزموا الجيش وقتلوا قائدة(٤) . ولكن الهزيمة لم تلبث أن لحقت به فى نفس السنة (٧٥هـ / ٦٩٤م) .

ولما ولى يحيى بن محمد أخو السفاح الموصل سنة ١٣٣ هـ/ ٧٥٠م كانت معه جماعة من الزنج « فلما فعل ما فعل فى الإسراف فى قتل الرجال والنساء والأولاد فأباح الزنج فى اغتصاب النساء ، فاعترضت يحيى امرأته وعيرته بتسليم المسلمات لرعاع الزنج فأثر فيه كلامها وجمعهم للعطاء ، فلما اجتمعوا أمر بهم

---

(1) Encyclopedia of islam, vol. IV, p. 1213.

(٢) ابن الأثير : جـ٤ ص ٤٠ بيروت .

(٣) ابن الأثير : نفس المرجع والصفحة .

(٤) ابن الأثير : جـ٤ ص ٤٠ بيروت .

فقتلهم عن آخرهم ، و لم يكن للزنج شوكة فـى ذلـك العهـد ، وإنما كـان ابتـداء شوكتهم وازدياد قوتهم فى منتصف القرن الثالث الهجرى([١]) .

كان العمل الذى استخدم فيه هؤلاء الزنوج شاقًا إلى أبعـد الحـدود وفضـلاً على مـا يلاقونـه مـن الإرهـاق والعنـت ، فقـد تعرضـوا لرقابـة صارمـة واهانـات مستمرة([٢]) من قبل وكلاء أسيادهم يسوقونهم بالسوط على أداء واجباتهم الثقيلة، لذلك فقـد كـان الشـعور بـالمرارة ضـد الأسـياد هـو الشـعور السـائد بـين هـؤلاء العبيد([٣]) .

لقد كثرت أعداد هؤلاء العبيد وتزايدت حتى بلغ عدد أحد الجماعات التـى تشتغل على نهر دجيل الأهواز([٤]) خمسة عشر ألف غلام([٥]) . وكانت حالة الزنـج سيئة إلى اقصى حدود السوء ، فقد كان أكثرهم عبيدا لدهاقين البصـرة وبنـاتهم ، و لم يكونـوا ذوى زوجـات وأولاد([٦]) ، وكـان أسـيادهم مـن أصحـاب رؤوس

---

(١) دائرة معارف اليستانى جـ٩ ص ٢٥٩ .

(2) Noldeka : Sketches from Eastern History, p. 144.

(3) Ibid., 144 .

(٤) نهر بالأهواز حفره أردشير بن بابك أحد ملـوك الفـرس مخرجـه مـن أصبهـان ومصبـه فـى فارس قرب عبادان « ياقوت : معجم البلدان جـ٤ ص ٤٢ .

(٥) الطبرى : جـ٩ ص ٤١٤ بيروت .

ومما يدل على ضخامة أعداد الزنج ما يرويه الطبرى جـ٩ ص ٤١٤ ، من أن صاحب الزنج أخذ من مكان واحد خمسمائة غلام ومن مكان آخر مائة وخمسين غلاما ومن موضع ثالث خمسين ورابع ثمانين وكل هؤلاء فى يوم واحد .

(٦) كانوا على هيئة الشطار عزابا . ابن أبى الحديد ؛ شرح نهج البلاغة جـ٨ ص ٥٦٥ مصـر ١٢٨١ هـ.

الأموال قساة عليهم يكلفونهم من العمل أكثر مما يطيقون[١] ، كما أنهم لم يتناولوا أجورا معقولة حتى أنه لم يزد عن قليل من الغذاء الزهيد مكون من شىء من الطحين والتمر والسويق[٢] .

حالة الخلافة العباسية :

كان الخليفة المتوكل[٣] أول خلفاء العصر العباسى الثانى ، وقد دبر ابنه المنتصر مؤامرة لقتله ، وأن الأتراك بايعوه بالخلافة من بعده ، ولكنه لم يتمتع بالخلافة غير ستة أشهر وقتل على أيدى الأتراك الذين استولوا منذ قتل المتوكل على الدولة العباسية واستضعفوا الخلفاء حتى كان الخليفة لعبة فى يدهم أن شاءوا أبقوه وأن شاءوا خلعوه أو قتلوه .

وقد جلس على سرير الخلافة بعد المنتصر أحمد بن محمد بن المعتصم ولقب المستعين با لله ، فكانت أيامه كثيرة الفتن ودولته شديدة الاضطراب ، ولم يلبث أن عزل وقتل على يد هؤلاء الأتراك الذين تغلغلوا فى أمور الدولة العباسية وتسلطوا على حياة الخلفاء وبايعوا المعتز . ولم تطل خلافته فقد قتله الأتراك وبايعوا المهتدى

---

(١) واية ذلك أن على بن محمد لم يكد يتصل بهم حتى استجابوا له مسرعين وحتى تكاثروا من حوله .

طه حسين : ثورتان ص ٥٦٥ الكاتب المصرى مجلد ٣ عدد ٨ .

(٢) الأمر الذى جعل صاحب الزنج يهتم بهذه الناحية ويستغل سوء حالتهم المعيشية .

ابن الأثير : جـ٥ ص ٣٤٨ بيروت .

(٣) ولد جعفر بن المعتصم فى سنة ٢٠٦ هـ بفم الصلح وهى البلدة على نهر دجلة على مقربة من مدينة واسط ويكنى أبا الفضل وأمه أم ولد يقال لها شجاع . البغدادى ، تاريخ بغداد جـ٧ ص ١٦٦ . القاهرة ١٣٤٩هـ/١٩٣١م .

ابن الواثق بالخلافة سنة ٢٥٥هـ/ ٨٦٨ - ٨٦٩م وكان من أحسن الخلفاء سيرة وأظهرهم ورعا وأكثرهم عبادة .

وسرعان ما اجتمعت كلمة الأتراك على قتل الخليفة المهتدى فى شهر رجب سنة ٢٥٦هـ/ يونيو ٨٧٠م وبايعوا المعتمد بن المتوكل بالخلافة وكان إذا ذاك محبوسًا بالجوسق . ويقول صاحب الفخرى(١) « وقد غلب أخوه الموفق حتى لم يبق له من الخلافة إلا اسمها » .

كانت دولة المعتمد دولة عجيبة الوضع ، كان هو وأخوه طلحة كالشريكين فى الخلافة : للمعتمد الخطبة والسكة والتسمى بأمرة المؤمنين ، ولأخيه طلحة الأمر والنهى وقود العساكر ومحاربة الأعداء ومرابطة الثغور وترتيب الوزراء والأمراء وكان المعتمد مشغولاً عن ذلك بلذاته(٢) . ويقول السيوطى(٣) : « وانهمك المعتمد فى اللهو واللذات واشتغل عن الرعية فكرهه الناس وأحبوا أخاه طلحة » .

نسب صاحب الزنج :

صاحب الزنج هو اللقب الذى أطلق على الرجل الذى ظهر فى فرات البصرة(٤) سنة ٢٥٥ هـ/ ٨٦٨ م فقاد الزنج فى تلك الثورة الخطيرة التى دامت أكثر من اربعة عشرة سنة وفى الكلام على نسب هذا الرجل المسمى على بن

---

(١) ابن طباطبا : الفخرى الآداب السلطانية ص ٢٢٦ القاهرة ١٩٢٣م .

(٢) ابن طباطبا : ص ٢٢٦ .

(٣) تاريخ الخلفاء ص ٢٤٢ بالقاهرة . ١٣٥١هـ .

(٤) فرات البصرة : كورة بهمن بن أردشير ، وهى كورة واسعة بين واسط والبصرة معجم البلدان جـ١ ص ٣٦ .

محمد نلاقى صعوبات جمة ، فهناك من يقـول أنـه فارسـى ، بـل يؤكـد فارسيته ، وهناك من يرد نسبته إلى قبيلة عربية فى حين نجد بعض المراجع تسكت عـن نسبه فلا تثبت هذا أو ذاك . أما الرجل نفسه فقد « زعم أنه على ابن محمد بن أحمد بن على بن عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب »([1]) .

ويجد الباحث أن نسب هذا الرجل يتغير من حين إلى حين فينسب إلى يحيـى ابن زيد بن على بعد أخراب البصرة ويترك نسبته إلى أحمد بن عيسـى([2]) . ويقـول ابن أبى الحديد([3]) أن صاحبنا غير نسبه تبعًا للظروف فانتقل من أحمد بـن زيـد إلى أحمد بن محمد بن زيد ثم إلى يحيى بن زيد بن علـى ، وحـين شـخص إلى البحريـن سنة ٢٤٩هـ/ ٨٦٣م ادعى أنه على بن محمد بن الفضل بن حسن بن عبيد الله بـن العباس بن على بن أبى طالب([4]) . فهل نسبه العلوى صحيح ؟

إن الإجابة على هذا السؤال بالنفى لأن المراجع الرئيسـية تجمـع علـى أنـه لا ينتسب إلى العلويين حقًا ، بل هو دعى فى انتسابه إليهم([5]) . فيقول أبو الفدا عـن نسبة على بن محمد نفسه إلى العلويين « وهو فـى ذلـك كـاذب لأن الإجمـاع فـى يحيى أنه لم يعقب إلا بنتا ماتت وهى ترضع »([6]) ويقـول صـاحب الفخـرى »([7])

---

(١) الطبرى : جـ٩ ص ٤١٠ بيروت ، المسعودى : مروج الذهب جـ٢ ص ٤٣٩ ، تاريخ ابن الوردى جـ١ ص ٢٣٣ .

(٢) ابن الأثير : جـ٥ ص ٣٤٦ بيروت .

(٣) شرح نهج البلاغة جـ٨ ص ٣١٨ .

(٤) الطبرى : جـ٩ ص ٤١٠ بيروت .

(٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٣ ص ٢١ .

(٦) أبو الفدا : البداية والنهاية جـ١١ ص ٢٩ مكتبة المعارف - بيروت ١٩٧٧م .

(٧) ص ١٨٣ ، النجوم الزاهرة جـ٣ ص ٣١١ .

أما نسبه فليس عند النسابين بصحيح وهم يعدونه من الأدعياء » ويقول[١] ابن أبى الحديد « وأكثر الناس يقدحون فى نسبه وخصوصًا الطالبيين وجمهور النسابين اتفقوا على أنه من عبد القيس » ويقول المسعودى[٢] « وأكثر الناس يقول أنه دعى آل أبى طالب » .

ومع أن المراجع العربية الرئيسية تجرد صاحب الزنج من النسب العلوى إلا أن نولدكه لا يعلق كبير أهمية على كونه من العلويين لأنهم - على حد قوله - لم يكونوا كلهم شخصيات متميزة « ذلك أن نسل على أنذاك كانوا يعدون بالآلاف و لم تكن لهم كلهم أهمية تاريخية »[٣] .

على أننا نرجح أن يكون صاحب الزنج غير علوى وأنه إنما ادعى النسب العلوى لتصطبغ حركته بصبغة دينية وتلقى صدى عظيمًا واستجابة ملحوظة فى قلوب العامة . ذلك أن العلويين تمتعوا بسمعة طيبة ، واشتهر عنهم دائم نقمتهم على السلطة الحاكمة بدليل ثوراتهم المتعددة فى شتى العهود الإسلامية ، والاستناد إلى النسب العلوى يضفى على حركة صاحب الزنج طابعًا خاصًا تعجب به الجماهير إلا وهو الطابع الدينى الذى اعتمدت عليه أغلب الحركات من هذا النوع وهى فى جميعها حركات اجتماعية محضة .

وإذا كنا قد نفينا عن صاحب الزنج نسبة العلوى ، فعلينا أن نعرف نسبته ذلك أن المراجع اختلفت فى ذلك .

---

(١) شرح نهج البلاغة جـ٨ ص ٣١١ .

(٢) مروج الذهب جـ٤ ص ١٣٥ .

(3) Sketches, pp. 146 - 147 .

ولد علـى بن محمد فـى قرية كبـيرة تدعـى ورزنـين فـى قرى الرى (بخراسان) وبها كنت نشأته([١]) . وكان اسمه فيما يذكر علـى بـن محمـد بـن عبد الرحيم ، ونسبه فى قبيلة عبد القيس وأمه قـرة ابنـة علـى بـن رحيـب بـن محمد بن حكيم وهى أسدية من أسد بن خزيمة([٢]) . وقـد ذكـر عنـه أنـه كـان يقول : « جدى محمـد بـن حكيـم مـن أهـل الكوفـة »([٣]) . واستنادًا إلى بعـض المصادر نجد أن عائلته ترجع إلى البحرين ، وكانت فرعا ن قبيلة عبـد القيـس التـى كانت تستقر هناك([٤]) .

ونخـرج مـن ذلـك بـأن صاحبنـا عربـى ، ولكـن هنـاك مراجـع أخـرى تقـول أن صـاحب الزنـج فارسـى فيقـول ابـن الجـوزى([٥]) والسـيوطى([٦]) أن صـاحب الزنـج هـو «بهبوذ»([٧]) وأصلـه مـن ورزنـين فهـو مـن أصـل فارسـى

---

(١) الطبرى : جـ٩ ص ٤١٠ بيروت ، ابن الأثير : جـ٥ ص ٣٤٦ بيروت وهـى لا تبعـد عـن طهران عاصمة إيران الحديثة .

Noldeka : Sketches, p. 146 .

(٢) ابن أبى الحديد جـ٨ ص ٣١١ .

(٣) أحد الخارجين على هشام بن عبد الملك مع زيد بن على بن الحسين فلما قتـل زيـد هـرب فلحق بالرى فلجأ إلى ورزنين فاقام بها وأن أبا أبيه عبد الرحيم رجل من عبد القيـس كـان مولده بالطالقان وأنه قدم العراق فاقـام بهـا واشـترى جاريـة سـندية فأولدهـا محمـدا أبـاه .

الطبرى: جـ٩ ص ٤١٠ .

(٤) عبد القيس من قبيلة ربيعة .

(٥) المنتظم جـ٥ ص ٩٦ .

(٦) تاريخ الخلفاء ص ٢٤٢ .

(٧) وقيل ان اسمه نهبود .

أبو المحاسن : النوم الزاهرة جـ٣ ص ٤٨ .

كما يبدو من الاسم والمولد[١] . غير أننا نميل إلى اعطاء صاحبنا نسبًا عربيًا للأسباب الآتية :

أولاً : أنه عربى النسب بإجماع المراجع الرئيسية تقريبًا .

ثانيًا : أن ابن الجوزى والسيوطى وأن سمياه « بهبوذا » فأنهما لم يجزما بفارسيته .

ثالثًا : أن الطبرى وهو أقدم وأهم وأدق المراجع التى كتبت فى هذا الموضوع يطلق اسم بهبوذا بن عبد الوهاب على شخص آخر « وقد كان أكثر أصحاب الفاسق - أى صاحب الزنج - غارات وأشدهم تعرضًا لقطع السبيل وأخذ الأموال »[٢] ونحن نؤيد الطبرى بصفته مؤرخًا عاصر الأحداث وعايشها .

رابعًا : كانت لغة صاحب الزنج العربية وبها كان ينظم الشعر العربى البليغ ، وأن خطبه تدل على أسلوب عربى متين ، وأن لم يدل هذا على عروبة أصله ، فأنه يدل على عروبة ثقافته ونشأته .

خامسًا : لو كان نسب على بن محمد فارسيًا لأكد المؤرخون هذه الناحية للطعن فيه كثائر على الدولة ولما سكتوا هذا السكوت عن أصله .

---

(١) يبرر بعض المورخين المحدثين كونه فارسيًا بأن أكثر الحركات السرية أو الهدامة فى الإسلام قامت بها العناصر الأجنبية عامة والفارسية على وجه الخصوص انتقامًا من العرب .

(٢) الطبرى : جـ٩ ص ٦١٠ بيروت .

ويقول أبو الفدا : أن بهبوذا أكبر أمراء صاحب الزنج .

البداية والنهاية / جـ١١ ص ٤٢ ، بيروت ١٩٧٧م .

بداية ظهور صاحب الزنج فى البصرة :

كانت البصرة مدينة زراعية عظيمة وتتوقف معيشة سكانها على الزراعة بالدرجة الأولى(١) وعلى التجارة بالدرجة الثانية فقد قال عنها الجاحظ(٢) « انها باب بغداد الكبير ومدخل دجلتها المتدفق بضروب المتاع وأنواع السلع المجلوبة من أطراف الدنيا » . لذا لا يساورنا للعجب إذا اختار على بن محمد هذه المدينة كمركز لدعوته ، على اعتبار أنه يستطيع أن يجد فيها كثيرًا من الأعوان فيما إذا استغل الظروف السائدة جيدًا .

وقد اهتدى صاحب الزنج بثاقب فكرة إلى حقيقة هامة ، وهى أن يستغل الفوض السياسية والاجتماعية الضاربة أطنابها فى هذه المدينة المزدحمة بالسكان ، خاصة أن البصرة كانت تزخر آنذاك بجموع العبيد الذين كانوا يشتغلون على الأراض ، فرأى أن يجرب حظه فى هذ المدينة متخذًا من جموع الزنج الساخطين على حياتهم ووضعهم مادة يعتمد عليها ويتسعين بها فى دعوته .

ولا ننس حقيقة هامة وهى أن البصرة كانت تقاسى يومئذ نزاعا مستمرًا بين حزبين كبيرين هما البلالية والسعدية . وكان هذا النزاع الحاد قد بدأ منذ سنة ٢٥٢ هـ/ ٨٦٦م فى خلافة المعتز(٣) . ويبدو أن هذين الحزبين كانا يسكنان حين

---

(١) تعد البصرة من أهم مناطق زراعة التمر فى العراق وقد ذكر المقدسى أن أنواع التمر فى البصرة وحدها بلغ أربعين نوعا . أحسن التقاسيم ص ٢٩٧ ، ص ٢٩٨ بينما يقول ابن الفقيه أن هذه المدينة تنتج ثلثمائة نوع من التمور مختصر كتاب البلدان ص ٢٥٨ .

(٢) التبصر بالتجارة ص ٣ .

(٣) المسعودى : مروج الذهب حـ٢ ص ٤٠٣ .

مختلفين فى المدينة[١] . وكانت تفرق بينهما عصبية شديدة . ويقول جورجى زيدان[٢] : « أن البلالية والسعدية كانتا فرقتين من فرق الأتراك » ولا ندرى مبلغ هذا القول من الصحة ، فان المراجع التى بين أيدينا لا تؤكد ذلك .

قدم صاحب الزنج البصرة سنة ٢٥٤ هـ/ ٨٦٨م وكان عامل السلطان بها محمد بن رجاء بن أيوب الحضارى ووافق ذلك فتنة البلالية والسعدية ، فطمع أن يميل إليه أحد الفريقين[٣] . وتفصيل الأمر أن أحول البصرة كانت قد فسدت فى أمارة محمد بن رجاء . وانقسم أهلها هلى بعضهم وتطور العداء إلى صدام دموى داخل المدينة بين الفرقتين المذكورتين أدى إلى طرد الوالى وفتح السجون ونهب بيت المال ودور بعض الأغنياء ، وبقيت البصرة تقاسى الأمرين من هذه الفتن ، فتولى أمارته عدة ولاة دون جدوى . حتى هدأت الفتن قليلاً قبيل مجىء صاحب الزنج[٤] .

حاول على بن محمد أن يبدأ دعوته فى مسجد هذه المدينة لكن أحدا لم يلتفت إليه وطارده وصحبه الجند فلاذوا بالفرار ، ولم ينج صاحب الزنج نفسه إلا بالخروج إلى بغداد ، وقبض الوالى على من تبعه ، كما قبض على زوجته وابنه وابنته وجارية له . لكن الذى أفاده على بن محمد من هذه المغامرة أنه مهد الجو لخططه وبذر بذور حركته واطلع على أحوال البصرة تمام الإطلاع ، كما حصل أعوانا مخلصين مثل على بن أبان المهلبى ولد المهلب بن أبى صفرة وأخوه محمد الخليل[٥].

---

(1) Noldeka : Sketches , p. 147 .

(٢) جورجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى جـ١ ص ١٤٦ .

(٣) أبو الفدا : البداية والنهاية جـ١١ ص١٩ . بيروت ١٩٧٧م .

(٤) الأعظمى : مختصر تاريخ البصرة ص ٧٢ .

(٥) ابن أبى الحديد : شرح نهج اللابغة جـ٨ ص ٣١٢ .

وكان على بن محمد وهو فى بغداد ينتظر الفرص المواتية ويرقب الأحوال وأخذ يدعو لنفسه ويجمع حوله أعوانا جددًا فاستمال جماعة أصبحوا بعدئذ من أخلص تابعيه . ولم ينس أن يحيط نفسه وهو ببغداد بهالة من الغموض ويغلف أفكاره وتصرفاته بثوب دينى للسيطرة على تابعيه([1]) .

ما أن انتهى العام الذى قضاه فى بغداد حتى وردت الأخبار تنبىء عن عزل محمد بن رجاء وقيام ثورة بين البلالية والسعدية وفتحت السجون وخرج أهله وأعوانه فعاد إلى البصرة فى رمضان سنة ٢٥٥هـ/ أغسطس سبتمبر ٨٦٩م ولا ندرى أن كان لصاحب الزنج ضلع فى هذه الفتنة التى عصفت بالبصرة أم أن الظروف وحدها خدمته فأتاحت له أن يعود لنشر دعوته على نطاق واسع .

على كل حال فقد عرف على بن محمد كيف يستغل الفوضى السائدة فى البصرة وأقام فى برنخل([2]) . فى قصر يعرف بقصر القرشى على نهر عمرو بن المنجم ، وتظاهر على بن محمد أنه وكيل لعائلة من الأمراء فى بيع ما يملكون من السباخ([3]) وأمر أصحابه أن يتظاهروا بذلك أيضًا ، ويتضح من ذلك أنه كان يهدف إلى الاتصال بالزنج المشتغلين بكسح السباخ ويقوى علاقته بهم ويدرس أحوالهم عن قرب([4]) . كما أخذ يتحرى أخبار البصرة وأنباء النزاع بين البلالية

---

(١) ادعى أنه يعلم حقيقة ما فى ضمائرهم وما يفعله كل منهم وأنه سأل ربه آية فرأى كتاب يكتب له وهو ينظر إليه على حائط ولا يرى كاتبه .

أبو الفدا : البداية والنهاية جـ١١ ص ١٩ .

(٢) يقول المسعودى : أنه برغيل بين مدينة الفتح وكرخ البصرة . مروج الذهب : جـ٢ ص ٤٣٩ .

(3) Noldeka : p. 149 .

(٤) ابن أبى الحديد : جـ٨ ص ٣١٢ .

والسعدية ، وابتداء من هـذا التـاريخ أخـذ يـروج لدعوتـه ويعـد الزنـوج بتحسـين أحوالهم ، ولم يمض غير قليل حتى اجتمع إليه كثرة من الزنج ، ويعتبر يـوم الاثنـين ٦ سبتمبر ٨٦٩م / ٢٦ رمضان سنة ٢٥٥هـ يوم قيامه بالثورة(١) .

طبيعة حركة الزنج :

إن بحث طبيعة حركة الزنج ومحاولة الوصول إلى أراء قاطعـة أو معقولـة فـى مجال مبادئها والمعتقدات التى اعتنقها زعيمها علـى جـانب كبـير مـن الأهميـة لأن آراء المؤرخين تتضارب تضاربًا شديدًا فى الكلام علـى حقيقـة معتقـدات صـاحب الزنج ، ونجد أن هذه الآراء غير ناضجة تمامًا ، بل هى إشارات خاطفـة فـى أكـثر الأحيان تنثر هنا وهناك فى بطون المراجـع التاريخيـة . وقـد أفـاض المؤرخـون كـل الإفاضة فى بحـث حركـة الزنـج مـن وجهتهـا العسـكرية الحربيـة وبحثـوا فـى أدق التفاصيل وأتفهها فى الكلام على المعارك التى دارت بين الزنـج والعباسـيين) فـإذا حاول الباحث أن يتفهم جيـدًا هـذه الحركـة ويقـف علـى حقيقـة المبـادئ العقليـة والاجتماعية التى ارتكزت عليها وجد أن الطريق شائك لقلة المعلومات .

أن هناك طائفة من الأسئلة تتبادر إلى الذهن وهـى إذا كـان صـاحب الزنـج علويا - أو على الأقل قد ادعى النسـب العلـوى - فلـم لم يبشـر بمذهـب الشيعة ويحتضنه كما فعل العلويون من قبله ومن بعده ، وما هى طبيعة حركة الزنج ؟ هل هى ذات برنامج اجتماعى تهدف إلى إصلاح شامل لنظام المجتمع ؟ أم كانت مجـرد حركة ضيقة تهدف إلى تحسين حال طبقة معينة من المجتمع ؟ ولماذا لم يتعاون الزنج مع القرامطة ؟ والذين ظهروا حوالى تلك الفترة وقدر لهم أن يملأوا العالم الإسلامى بالرعب والفزع .

---

(١) البيرونى : الآثار الباقية عن القرون المالية ص ٣٣٢ ليبسك ١٨٧٨م .

أن حركة الزنج تعبير يطلق على تلك الثورة التي قام بها العبيد الأفريقيون Ethiopians[١] في المستنقعات الممتدة بين واسط والبصرة أو ما يسمى بمنطقة البطيحة ضد أسيادهم بزعامة علي بن محمد واستمرت أكثر من أربع عشرة سنة (٢٥٥ - ٢٧٠هـ / ٨٦٩ - ٨٨٣م).

إن هذه الثورة على جانب كبير من الأهمية من حيث طابعها ودوافعها كما أنها هامة من حيث آثارها في الدولة العباسية - خاصة إذا ما أخذنا في الاعتبار أن هذه الفترة - النصف الثاني من القرن الثالث الهجري - شهدت أحداثًا اجتماعيًا وسياسية وفكرية هائلة ، وأن الدولة العباسية كانت وهي في حالة ضعفها - تكافح ما تمخض عنه العصر من أحداث كفاح اليائس المستميت - أدركنا أن حركة الزنج كانت حلقة في هذه السلسلة المتصلة الأحداث التي عبرت عن السخط العام من ناحية وعن تفكك الدولة العباسية من ناحية ثانية . وعن دخول المجتمع الإسلامي في مرحلة جديدة من التطور الفكري والاجتماعي من ناحية ثالثة .

كانت حركة الزنج حربًا اجتماعية ذات طابع طبقي أي أنها ثورة طبقة اجتماعية معينة ضد الطبقات الأخرى في المجتمع[٢] ، كانت تشعر أنها مضطهدة سليبة الحقوق ، فقامت تطالب بحقوقها بمجرد أن وجدت لها زعيمًا يقودها فقاد علي بن محمد جموع هؤلاء الزنج الساخطين .

ولكن هل كانت حركة الزنج حربًا بين الأجناس ؟ بين السود والبيض ؟ كما يقول بعضهم ، وفي رأينا أن حركة الزنج لم تكن حربًا بين جنس وآخر بالمعنى الدقيق للكلمة بل كانت حربًا بين طبقات ، ذلك أن جماعات كثيرة من غير السود انضوت تحت لواء هذه الحركة كالإعراب الناقمين على الدولة ، وأهل القرى والفلاحين البيض الناقمين على أوضاعهم وغيرهم من أصحاب الحرف[٣] .

---

(1) Beowne : A literary History of Persia Vol. 1, p. 349.

(2) Masignon : Vol. Iv, p. 1213.

(3) Encyclopedia of islam, vol. IV, p. 1213.

، الطبري : جـ٩ ص ٤٨٢ - ص ٤٨٣ .

، ابن الجوزي : المنتظم جـ٥ ص ٥٦ .

برنامج حركة الزنج :

هل كانت حركة الزنج حركة منظمة ذات برنامج اجتماعى شامل ؟ وبمعنى آخر هل كانت هذه الحركة تهدف إلى إلغاء الرق إلغاء نهائيًا من المجتمع الإسلامى ؟ الواقع أن من أكبر وأعظم أسباب اخفاق هذه الحركة أنها كانت تنطوى على برنامج اجتماعى شامل ، أسوة بالحركات الاجتماعية الأخرى كحركة القرامطة مثلاً ، التى قننت وشرعت وأقامت نظامًا اجتماعيًا دقيقًا وخاصة فى البحرين حيث أنشئ « نظام الألفة »[1] وهل يصح أن نصف حركة الزنج بأنها هدفت إلى تحرير العبيد واسترقاق الأحرار ؟ هذا السؤال تتوقف على اجابته مصير حركة الزنج ، فإذا صح ذلك أصبحت حركة الزنج مجرد ثورة انتقامية حاولت إزالة شر من شرور المجتمع لتبدله بشر آخر أى إلغاء عبودية وإحلال عبودية أخرى محلها .

وقد شرح على بن محمد صاحب الزنج برنامجه فى خطبة ألقاها على العبيد يوم عيد الفطر سنة ٢٥٥هـ / سبتمبر ٨٦٩م موضحًا أهدافه بقوله « أنه يريد أن يرفع أقدارهم ويملكهم العبيد، والأموال والمنازل ويبلغ بهم أعلى الآمال[2]. ونفهم من هذه الخطبة أن صاحب الزنج لم يقصد إلى هدم العبودية ، بل إلى إدخال بعض التعديلات على الأوضاع الاجتماعية السائدة[3] . ومن مراجعة حوادث الحركة ووقائعها نجد أن على بن محمد حرر العبيد الذين

---

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى حـ٣ ص٣٢٦ مكتبة النهضة المصرية .

(٢) الطبرى : حـ٩ ص٤١٤ .

(٣) عبد العزيز الدورى : دراسات فى العصور العباسية المتأخرة ص٧٨ بغداد ١٩٤٦م .

انضموا إليه بالجملة ، وكلما سنحت الفرصة ، وكان يبادر إلى عتق الأرقاء كلما دخل مدينة أو قرية ، لكنه من ناحية أخرى استرق من أسر من المسلمين وعاملهم معاملة العبيد سواء بسواء .

ونجد فى المراجع أمثلة كثيرة لاسترقاق على بن محمد للمسلمين الأحرار رجالهم ونسائهم . فيروى المسعودى[١] « أن عسكر صاحب الزنج كان ينادى فيه على المراة من ولد الحسن والحسين والعباس وغيرهم من ولد هاشم وقريش وغيرهم من سائر العرب وأبناء الناس تباع الجارية منهم بالدرهمين والثلاثة ... لكل زنجى منهم العشرة والعشرون والثلاثون يطؤهن الزنج ويخدمن النساء الزنجيات كما تخدم الوصائف » . وإذا علمنا أن عدد الزنج كان ضخمًا جدًا - كما أسلفنا - استطعنا أن نتصور عدد النساء المسترقات إذا صدق المسعودى فى هذه الأرقام ، ويزيد هذه الصورة وضوحًا ما يرويه المسعودى[٢] أيضًا من أن امرأة من ولد الحسن بن على بن أبى طالب كانت لدى أحد رجال الزنج فسألت عليا بن محمد صاحب الزنج أن ينقلها إلى غيره أو يعتقها لأنها كانت تقاس الأمرين من معاملته فعنفها قائلاً « هو مولاك وأولى بك من غيره » . وهذا يدل على أن الرق بكل خصائصه وصفاته عرف فى « دولة الزنج » وأن عليا لم يقدم دليلاً على أنه كان يريد أن يزيل الرق نهائيًا . بل إن الموفق طلحة وجد آلاف الأسرى الأبرياء فى سجون « المختارة حاضرة الزنج حين استطاع احتلالها[٣] . ومن هنا تكون

---

(١) مروج الذهب جـ٢ ص٤٤٧ القاهرة ١٣٤٦هـ .

(٢) مروج الذهب جـ٢ ص٤٤٧ .

(٣) الطبرى : جـ٩ ص٦٠١ بيروت .

حركة الزنج قد قامت لفائدة طبقة العبيد فقط ، وهذا أحد الأسباب الرئيسية فى عدم رواج هذه الدعوة بين أهالى البصرة الأحرار الذين لم تكن لهم أى مصلحة فى تحرير العبيد .

ولعل الباحث يستطيع أن يجدبعض العذر لصاحب الزنج وحركته ويخفف من وطأة الاتهام السالف إذا تذكر أن عليا بن محمد فى حالة حرب مع المجتمع كله وأنه أينما التفت وجد أعداء لحركته ، فلم يجد بدأ من أسر أعدائه واسترقاقهم ليأمن شرهم ويضعف همتهم ويظهر أمامهم بمظهر القوة والرهبة . ومن ناحية أخرى نجد أن صاحب الزنج يعتنق مذهب الخوارج الأزارقة(١) .

على أى حال يجب أن نعترف بأن حركة الزنج كانت محدودة غير ذات برنامج شامل ، وأنها - لم تهدف إلى إلغاء العبودية كلية ، وأن كل ما نستطيع أن نقوله عن حركة الزنج أنها كانت تهدف إلى تحرير العبيد والانتقام من سادتهم وجعل العبيد سادة يمتلكون الأراضى والمنازل . ولم يكن هذا حلاً منطقيًا .

أن حركة الزنج كانت فى بدايتها حركة ضد ملاك الأراضى وملاك العبيد باعتبار أنها دعت إلى تحرير العبيد ولذلك وقف هؤلاء الملاك فى وجهها

---

(١) الأزارقة : هم أصحاب أبى راشد نافع بن الأزرق الذين خرجوا معه من البصرة إلى الأهواز فغلبوا على هذه المدينة وكورها وما وراءها من بلدان فارس وكرمان فى أيام عبد الله بن الزبير . وقد كفروا عليا وعثمان وعائشة وعبد الله بن العباس ، وكفروا القعدة وأباحوا قتل أطفال المخالفين والنساء منهم وغير ذلك من المبادئ كعدم جواز التقية وتكفير مرتكب الكبيرة .

الشهرستانى : الملل والنحل حـ١ ص١٦١ - ص١٦٤ مصر ١٣١٧هـ .

وقاوموها أشد المقاومة ، ثم تطورت هذه الحركة فصارت حركة ضد الدولة على اعتبار أن الخلفاء والولاة ظالمون منتهكون حرمة الله والدين وأنهم هم الذين شجعوا ملاك الأراضى على أن يأتوا هذه الأعمال المنكرة ضد العبيد الذين هم بشر مثلهم ومسلمون كذلك يتساوون مع غيرهم فى نظر الشريعة الإسلامية التى هدمت الفروق اللونية والجنسية ، وسنجد أن صاحب الزنج يعتنق مذهب الخوارج لأن المذهب يتفق مع طبيعة الدعوة التى تبناها ويؤكد ما ذهبنا إليه من أن حركة الزنج بدأت ضد ملاك الأراضى . ونجد أن الدولة لم تتدخل لقمعها بادئ الأمر ، فبقى الزنج يعيثون فسادًا فى البصرة ، والمناطق الجنوبية دون أن تحرك الحكومة ساكنًا بل لقد تركت أهل البصرة المتطوعين أنفسهم يصدون تيار الزنج العنيف[1] . حتى قوى أمر صاحب الزنج وفزع منه أهل البصرة ، وأمسكوا عن حربه ، فكتبوا إلى الخليفة يطلبون منه التدخل، وعندها فقط أرسل قائدًا من قواد الدولة سنة ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م هو جعلان التركى[2] . وهنا خرجت حركة الزنج عن كونها حركة محلية ضد ملاك الأراضى إلى حركة تقوم على العصيان ضد الدولة والخلافة معًا .

حركة الزنج فى طورها الأول (٢٥٥ - ٢٦١هـ / ٨٦٨ - ٨٧٤م):

يمكن تقسيم حركة الزنج إلى فترتين تنتهى الأولى سنة ٢٦١هـ وهى فترة انتصارات متوالية للزنج وتبدأ الثانية بعد هذا التاريخ بعد تعيين أبى أحمد الموفق للمرة الثانية للقيادة العامة .

---

(١) دائرة معارف البستانى حـ٩ ص٢٦٠ .

(٢) الطبرى : حـ٩ ص٤٧٠ ، ابن الأثير : حـ٥ ص٣٥٨ بيروت .

وفى الكلام على هذه الحرب الطويلة التى استمرت أكثر من أربعة عشر عامًا نلاحظ أن طبيعة الأرض الجغرافية أضفت على هذه الحرب طابع حرب العصابات ، ذلك أن امتلاء هذه المنطقة بالمستنقعات والقنوات والبردى جعل الحرب حرب عصابات وكمائن مما ساعد على اطالتها وجعل قمعها أمرا عسيرًا على الدولة .

إن حوادث الزنج وقعت أكثرها فى البصرة المطلة على شط العرب وهو ما كان يسمى آنذاك بدجلة العوراء . ويتكون هذا النهر من إلتقاء دجلة والفرات عند القرنة ، وتلتقى بها أيضًا قناة الحويزة(١) ، فيسمى النهر حينئذ شط العرب(٢) ، وتتفرع من شط العرب هنا « قناتان كبيرتان بين منبعها مسافة فرسخ وقد شقا صوب القبلة مسافة أربع فراسخ يلتقيان ويكونان قناة واحدة تسير فرسخ واحد ناحية الجنوب ، ومنها شقت ترع كثيرة مدت فى كل الأطراف . أما القناة العليا وهى الشمالية الشرقية فتسمى نهر معقل(٣) وأما الثانية وهى الغربية الجنوبية فتسمى نهر الأبلة(٤) ، وتشتهر البصرة بكثرة أنهارها حتى لقد بلغت

---

(١) الحويزة : بين واسط والبصرة وخوزستان بين البطائح .

ياقوت : معجم البلدان جـ٣ ص٣٧٣ القاهرة ١٩٠٧م .

(٢) ناصر خسرو : سفرنامة ص٩٥ .

(٣) نهر معقل : نسبة بن يسار بن عبد الله وهو نهر معروف فى البصرة فمه عند نهر الأجانة .

(٤) الأبلة : بلدة على شاطئ دجلة البصرة فى زاوية الخليج الذى يدخل إلى مدينة البصرة ، أما نهر الأبلة الضارب إلى البصرة فحفره زياد .

معجم البلدان جـ١ ص٨٩ - ص٩٠ .

مائة وعشرين ألف نهر[١] . وكانت فى حدود البصرة آجام كثيرة وبطائح تسير فيها القوارب الصغيرة . ويبدو أنها كانت أرضًا فى القديم ثم تراجعت عنها المياه بعد ما بنيت البصرة وشقت الأنهار فغلب الماء على المناطق المنخفضة فأصبحت أشبه بالمستنقعات[٢] .

وتتكون البطيحة من عدة اهوار[٣] تتصل بعضها ببعض حتى تصب جميعها فى نهر دجلة العوراء . ومن أهم الأنهار التى يرد ذكرها والتى تتفرع من شط العرب نهر المرأة والدير ، وبثق شيرين ، معقل ، الأبلة ، اليهودى أبى الخصيب ، الأمير ، القاطول ، وهذه كلها تقع على الجانب الغربى أما فى الجانب الشرقى فنجد نهر المبارك ، الريان ودبيان[٤] .

ساعد هذا الوضع الجغرافى على جعل حرب الزنج حرب عصابات لأن الجيوش الكبيرة المنظمة ذات التجهيزات الثقيلة كان يصعب عليها الانتقال فى تلك المناطق التى تكتنفها المسطحات المائية وتخترقها عشرات الآلاف من القنوات وكان من الطبيعى أن يصعب على الخلافة القضاء على هذا العصيان بسرعة لأن مثل هذه الحرب تكون طويلة عادة ، ويستغرق تطهير منطقة من المناطق وقتًا طويلاً ، خاصة وهذه المناطق تصلح لإتخاذ كمائن تباغت منها العصابات جيوش

---

(١) الأصطخرى : المسالك والممالك ص٧٩ ليدن ١٨٧٠ - ١٨٩٢م .

(٢) الأصطخرى : المسالك والممالك ص٨١ - ٨٢ .

(٣) الهور : هو الماء الكثير .

(٤) سهراب : عجائب الأقاليم السبعة ونهاية العمارة ص١٣٥ - ص١٣٦ ليبسك .

العباسيين التى تجهل جغرافية هذه المنطقة وتجعل إقامة وسائل الدفاع أمرًا سهلاً وإزلتها أمرًا صعبًا([1]) .

ومن استعراضنا لجغرافية المنطقة نجد أن الطبيعة تقف إلى جانب الزنج ، فهم يحاربون على تربة ملائمة اعتادوها جيدًا وخبروها بحكم اشتغالهم فيها ، وقد عرف الزنج كيف يديرون دفة الحرب ، بينما كان عدوهم مجهزًا بأسلحة لا تصلح إلا للقتال على أرض يابسة صلدة أى الحروب المنظمة([2]) . ومن هنا قاسى العباسيون متاعب جمة ، حتى أبو أحمد الموفق نفسه الذى تعب كثيرًا من « ضيق المواضع التى كان يحارب فيها وصعوبتها وكثرة الخنادق والأنهار بها »([3]) .

ومن أمثلة الصعوبات التى كان يلاقيها العباسيون فى هذه الحرب ما يرويه الطبرى([4]) عن استغلال الزنج لهذه الطبيعة المعقدة وكيف كانوا يجرون الماء على السباخ التى يسلكها أصحاب الموفق لئلاً يجدوا إلى سلوكها سبيلاً ، وكيف يحفرون خنادق فى مواضع عدة يحولون بها دون تقدم جيوش الموفق . وكان الموفق يضطر إلى اضاعة كثير من وقته وجهده لطم وردم الخنادق والأنهار والمواضع الضيقة « كى تصلح فيها مسالك الخيل والرجالة » .

---

(١) الدورى : دراسات ص٨٠ .

(2) Naldeeke, p. 154.

(٣) الطبرى : جـ٩ ص٦٥٥ بيروت .

(٤) الطبرى : جـ٩ ص٥٨٩ - ٥٩٠ بيروت .

وساعدت كثافة النخيل فى المنطقة الجنوبية من العراق وخاصة منطقة شط العرب ، الزنج على أن ينظموا أنفسهم فى جماعات صغيرة العدد خفيفة السلاح وتكمن بين الأشجار تتربص بقوات العباسيين الدوائر فتأخذها غيلة وعلى حين غرة ، وأسلوب الزنج المتميز فى القتال أنهم كانوا يختبئون فى القنوات المغطاة بالحشائش وينقضون فجأة على مؤخرات قوات العدو . كما استعان الزنج بالكشافة والجواسيس والطلائع فى رصد حركات عدوهم وتنقلاته »(١) .

وبرع الزنج أيضًا فى حرب الماء ، وقد ساعدتهم الطبيعة على ذلك ، فكانت الرياح تهب وتعصف فى بعض الأيام فى دجلة (شط العرب) فيتعذر على العباسيين الحرب وينتهز الزنج فرصة شلل حركات عدوهم فيستولون على سفن العباسيين التى تربكها الرياح ، وإذا ما ألقى ركاب السفن أنفسهم فى الماء تبعهم الزنج وفتكوا بهم قتلاً واسرا واغراقًا(٢) .

بداية حركة الزنج :

بدأت حركة الزنج فى أواخر سنة ٢٥٥هـ / سبتمبر ٨٦٩م فى عهد الخليفة المهتدى با لله (٢٥٥ - ٢٥٦هـ / ٨٦٨ - ٨٦٩م) حين خرج على ابن محمد من القصر الذى كان يسكن فيه ، فلقى عبيدًا لرجل يدعى العطار متجهين إلى عملهم فى كسح السباخ يبلغون الخمسين فأسرهم وكتف وكبلهم ،

---

(1) Naldeeka, p. 155.

(٢) الطبرى : جـ٩ ص٤٧٩ بيروت .

واتجه إلى موضع أخر فأخذ منه خمسمائة غلام ، وهكذا أخذ على ابن محمد يتجول فى المنطقة المجاورة طوال يومه يتصيد العبيد « حتى اجتمع إليه كثير من غلمان الشورجيين »(١) وكان بينهم جماعة من وجهاء الزنج الذين أصبحوا بعد ذلك قواد رئيسيين فى جيش الثورة منهم طريف وصبيح الأعسر وراشد المغربى وراشد القرماطى(٢) ، وعمل على بن محمد على كسب هؤلاء العبيد ، فألقى فيهم خطبة أوضح لهم فيها أغراضه ومقاصده وبذل لهم الوعود المغرية بالحرية وتمليكهم الأموال والضياع والعبيد وزيادة فى تأكيد نواياه الحسنة دعا وكلاؤهم وخاطبهم بشدة قائلاً لهم « لقد أردت ضرب أعناقكم لما كنتم تأتون هؤلاء الغلمان بتحميلهم مالا يطيقون فكلمنى أصحابى فيكم فرأيت اطلاقكم »(٣) .

وحاول هؤلاء الوكلاء أن يصلحوا بينهم وبين على بالمال ليطلق سراح عبيدهم ، فرفض ، وأمر ببطح هؤلاء الوكلاء ودعا غلمانهم إلى ضربهم بالعصا ومن ذلك اليوم بدأ العداء على أشده بين الملاك وعلى بن محمد وأعلنت الحرب بلا هوادة ، واستمر على يتصيد الزنج ، فانضموا إليه بالمئات منساقين إلى وعوده المغرية هربًا من وضعهم السيئ . وألقى فيهم

---

(١) الطبرى : حـ٩ ص٤١٤ بيروت .

(٢) ابن أبى الحديد حـ٨ ص٣١٣ .

(٣) الطبرى : حـ٩ ص٤١٤ بيروت .

يوم عيد الفطر خطبته الثانية مؤكدًا وعوده ونواياه وترجمت خطبته إلى الذين لا يفهمون العربية منهم « لتطيب بذلك أنفسهم »[١] .

وبعد أن تضخم عدد أتباع على بن محمد أخذ فى تنظيمهم ، إلا أنه برزت أمامهم مشكلة السلاح إذ كان معسكره فى ذلك الوقت لا يحوى غير ثلاثة أسياف[٢] وكذلك الحاجة إلى المال ليصرف منه على شئون الحرب والتموين وكانت الوسيلة الوحيدة للحصول على المال هو الهجوم على القرى المجاورة ، فهاجم على بن محمد قرية الجعفرية حيث عثر مائتين وخمسين دينار وألف درهمًا ، فكان هذا أول ما صار إليه . كما حصل على ثلاثة براذين منحها لقواده أما هو فكان قد أهدى فرسًا وفى هذه القرية نفسها تهب الزنج كثيرًا من الأسلحة فصارت لديهم كمية كبيرة من السيوف والآلات والتراس[٣] .

استمر على بن محمد وأعوانه يغيرون على القرى ويقتلون وينهبون وكان أصحابه قد تضخم عددهم إلى درجة أنه زج بستة آلاف زنجى فى معركة واحدة[٤] .

وكان على بن محمد هادئ الأعصاب بعيد النظر ، كثير التروى يحسب لكل خطوة حسابًا فكان يضع خططًا محكمة تأتى بالنتائج

---

(١) ابن أبى الحديد جـ٨ ص٣١٣ .

(٢) أبى الفدا : البداية والنهاية جـ١١ ص١٩ .

(٣) الطبرى : جـ٩ ص٤١٧ بيروت .

(٤) ابن أبى الحديد : جـ٨ ص٣١٤ .

الطيبة واستعمل الجواسيس والكشافة لاستطلاع وارتياد المناطق المجاورة ودراسة حال أعدائه(١) .

واتخذ قائد الزنج حرب الأعصاب وسيلة لبث الرعب في قلوب أعدائه ، فكان كلما انتهب قرية قتل الأسرى وحمل رؤوسهم على البغال ، وقد كان مذهب الأزارقة ، يدعو إلى قتل الأسرى باعتبارهم كفارًا ، أما النساء والأطفال فقد احتفظ بهم كغنائم(٢) . ولم يكن عليا بن محمد يهاجم القرى عبثًا ، بل كان يتحقق من كون أهلها أعداء له ثبت عداؤهم(٣) . فقد رفق بأباء مهاجمة قرية القادسية لأن هذه القرية لم تتعمد ايذاءه(٤) .

اشتد ساعد الزنج وقوى نفوذهم بما اجتمع لديهم من مال وأسرى واستطاعوا هزيمة جيش عظيم من أربعة آلاف محارب كان يقوده رجل تركى يدعى أبا هلال وقتل من هذا الجيش ألفا وخمسمائة(٥) . ولم يمض غير قليل حتى هزم أصحاب السلطان للمرة الثالثة ، وهكذا برهن الزنج على قوة غير عادية .

لكن نشوة النصر حملت بعض الزنج على التعجل رغم أن قائدهم ألح عليهم بالتروى فمنوا بهزيمة شنعاء فى منتصف ذى القعدة

---

(1) Naldeeka, p. 155.

(٢) الشهرستانى : الملل والنحل حـ١ ص١٦٤ .

(٣) أبو الفدا : البداية والنهاية حـ١١ ص١٩ ويقول أن صاحب الزنج لا يتعرض لأموال الناس ولا يؤذى أحدًا وإنما يريد أخذ أموال السلطان .

(٤) الطبرى : حـ٩ ص٤١٦ بيروت .

(٥) الطبرى : حـ٩ ص٤٢٤ بيروت .

سنة ٢٥٥هـ / أواخر أكتوبر ٨٦٩م ولم ينج على نفسه من الموت إلا باعجوبة بفضل شجاعته(١) .

ومع أن جيش المواطنين من أهل البصرة قد حمى المدينة بشجاعته ، إلا أنه لم يستفد من نصره وظروفه الحسنة لأنه لم يكن تحت قيادة قائد يوازى صاحب الزنج الذى سرعان ما جمع شمل أصحابه وأعاد تنظيمهم بحيث استطاعوا أن ينقضوا على مؤخرة جيش البصريين ، مستفيدين من الكمائن التى اختبأوا فيها على جانبى النهر ، وأسر الزنج بعض السفن ، واستماتوا فى القتال حتى اشتركت نساؤهم بقذف الحجارة ، أما القسم الثانى من الجيش البصرى الذى تقدم سالكًا البر فقد كانت هزيمته أشد وأنكى ، فقد قتل وغرق عدد كبير منهم ، وهلك كثير من أفراد العائلة الحاكمة(٢) . الأمر الذى أثر على معنويات البصريين ، وأوقع على بن محمد الهيبة والفزع والرهبة فى قلوب الناس « بكثرة القتل وقلة العفو »(٣) .

تحمس الزنج لفتح البصرة ، وطلبوا من قائدهم أن ينقض عليها حالاً ، إلا أنه اقنعهم بضرورة الاستجمام والراحة بعد هذه الوقائع ، كما كان يدرك ببعد نظره أن ليس باستطاعته فتح هذه المدينة بسهولة ، خاصة وأنه ليس له فيها أنصار(٤) .

---

(1) Naldeeka, p. 155.
(2) Ibid., p. 155.

(٣) ابن أبى الحديد : جـ٨ ص٣١٤ .
(٤) الدورى : دراسات ص٨٥ .

بناء المختارة :

كان من الضرورى لصاحب الزنج أن يتخذ له مركزًا حصينا ولاتباعه السود فانسحب إلى بقعة جافة فى آخر أنهار البصرة وهى سبخة(١) .

فأقام هناك وأمر أصحابه باتخاذ الأكواخ فيها من سعف النخيل والطين(٢) وفى السنة التالية ٢٥٦هـ ابدلها بعاصمة أخرى تقع على ضفة نهر أبى الخصيب الغربية(٣) ، وقد جعل هذه المدينة حصينة ذات أسوار وتحيطها خنادق وقد بنى اتباعه أكواخًا من سعف النخيل والطين(٤) . ويحتمل أن قصور صاحب الزنج وقواده الكبار وسجون ومحابس الأسرى والمساجد والمؤسسات العامة التى أضيفت بالتدريج كانت أنيقة نسبيًا ويظهر أنها كانت من الحجارة وجعلها كالقلاع(٥) .

وقد سميت هذه المدينة « بالمختارة » ولا ندرى سر هذه التسمية لكن الأرجح أن بانيها أطلق عليها هذه التسمية ازدهاء منه بحسن موقعها وتكتنفها أراض مزروعة وبساتين النخيل والأدغال والقنوات وكانت تقع تحت البصرة بقليل ويخترقها نهر أبى الخصيب(٦) .

---

(١) السبخة الأرض الملحة ، موضع بالبصرة . ياقوت : معجم البلدان جـ٥ ص٢٧ .

(٢) الطبرى : جـ٩ ص٤٣٧ بيروت .

(٣) الطبرى : جـ٩ ص٤٧٠ - ص٤٧١ بيروت .

، ابن الأثير : جـ٥ ص٣٥٨ بيروت .

(4) Naldeeka, p. 156.

(٥) الدورى : دراسات ص٨٥ .

(6) Naldeeka, p. 156.

اعتنى صاحب الزنج بتموين مدينته الجديدة ، وقد راعى هذه الناحية في اختيار موقعها ، فكانت الأراضي حولها حصينة منتجة ، وكانت قريبة من البحر (الخليج الفارسي) والبادية ليضمن الحصول على الميرة من الجانبين ذلك أن حرب الزنج الطويلة كانت تتطلب ضمان مسألة التموين .

وكان سكان هذه العاصمة التي لم تعمر طويلاً والتي لم يبق كدليل على بنائها سوى القطعة النقدية المحفوظة في المتحف البريطاني(١) يستمدون حاجياتهم من جيرانهم فضلاً عن استعانتهم بمحصولات هذه المنطقة ، وحين ضرب عليها الحصار أخيرًا واستطاع الموفق أن يقطع عنها سبل المواصلات ، قاس الزنج نقصًا كبيرًا في الميرة ، وكان التجار والبدو يجلبون إلى هذه المدينة الميرة ولو كانوا على مرأى من جيش العباسيين(٢) .

استنجاد أهل البصرة بالخلافة :

لم يلبث أهل البصرة أن استنجدوا بالخلافة بعد أن استبد بهم الفزع والخوف فأرسلت لنجدتهم القائد التركي جعلان ، إلا أنه يبدو من جهل هذا القائد بطبيعة منطقة القتال(٣) أن بقي ستة أشهر مخندقًا قبالة صاحب الزنج وعلى بعد فرسخ واحدة دون أن يفعل شيئًا ، ولكن عليا ابن محمد لم يقف مكتوف اليدين فضيق المسالك وبيت لأصحابه وأوقع

---

(1) Walker: A Rare coin, p. 653.
(2) Naldeeka, p. 156.

(٣) فقد كان أكثر أصحابه من الفرسان .
الطبري : حـ٩ ص٤٧٠ ، ابن الأثير : حـ٥ ص٣٥٨ بيروت .

بـين جنـود جعـلان وقتـل منهـم عـددًا ليـس بالقليـل ، ممـا حـدا بجعـلان أن يتقهقـر إلى البصـرة يلاحقـه الفشـل[١] .

عـزل الخليفـة القـائد الفاشـل جعـلان لعجـزه فى حـرب الزنـج بعـد تنكيلهـم بـالجيش العباسى ، ونقـل الزنـج عـاصمتهـم إلى ضفـة أبى الخصيب الغربية وبلغ من جرأتهم أيضًا أن استولوا على أسطول مكون مـن أربع وعشرين سفينة مرسل إلى البصرة وغنم الزنج من الأموال والسبايا ما لا حصر له[٢] .

احتلال الزنج الأبلة وعبادان والأهواز :

لم يلبـث الزنـج بعـد أن أشتد سـاعدهم أن هـاجموا الأبلـة[٣] وهـى الميناء التجـارى العظيـم الـذى يقـع على شـاطئ دجلـة البصـرة فـى زاويـة الخليـج الفـارسى[٤] على بعـد أربـع سـاعـات مـن البصـرة ، وذلـك فـى ٢٥ رجـب سنة ٢٥٦هـ / ٢٩ يونية ٨٧٠م ، وقاتـل الزنج فى معركة عنيفـة قصـيرة جـرت فى البر والبحر دخلوا على أثرهـا إلى المدينـة . وكـان دخولهـا مصحوبًـا بمجـزرة هـائلـة حيث قتـل واغـرق من أهلهـا خلق كثير . وذهبـت بيـوت المدينـة المبنيـة

---

(١) الطبرى : جـ٩ ص٤٧٠ بيروت .

(٢) وكان هذا الفوز غنيمة باردة كما قال صاحب الزنج الذى اقنـع أصحابـه بمهاجمـة السفن مدعيا أن صوتا من السماء خاطبه أن : « قد أظلك فتح عظيم » .

الطبرى : جـ ص٤٧٠ - ٤٧١ بيروت .

(٣) تعد الأبلة ميناء البصرة الذى يربطها بالخليج الفارسى .

المقدسى : أحسن التقاسيم ص١١٧ .

(٤) ياقوت : معجم البلدان جـ١ ص٨٩ .

من خشب الساج(١) طعمة للنيران . وغنم صاحب الزنج كميات هائلة من السلاح والعبيد . كما استولى على حصن المدينة .

ووصلت رسالة الرعب من الأبلة إلى عبادان(٢) ، ففتح أهلها أبوابها مستسلمين دون قيد أو شرط فدخلها على بن محمد وحرر من كان بها من العبيد وألحقهم بجيشه وأستولى على ما فيها من السلاح ووزعه على أصحابه(٣) .

أدى استسلام عبادان إلى طمع صاحب الزنج فى الأهواز التى إنهارت بسرعة بعد مهاجمة جيبى(٤) ، وانسحب واليها سعيد بن تكسين بجنده مما ضمن للمدينة معاملة رقيقة رحيمة ، أما إبراهيم بن المدبر صاحب الخراج والصياع فقد فضل المقاومة ، لكنه أسر وصودرت أمواله وعبيده وسقطت الأهواز(٥) .

وهكذا استطاع قائد الزنج فى أقل من سنة واحدة أن يحتل مدنا كبيرة الأهمية ويستولى على مقاطعات شاسعة ، وتأثرت بذلك بغداد التى احتلت مواصلاتها وألحق الزنج بتجارتها أضرارًا بالغة(٦) .

---

(١) ابن الأثير : جـ٧ ص٩٤ .

، تاريخ ابن الوردى جـ١ ص٢٣٤ .

(٢) ابن الأثير : جـ٥ ص٣٥٩ بيروت .

وعبادان بلدة صغيرة على جزيرة فى مصب نهر دجلة العوراء قرب البحر .

ياقوت : معجم البلدان جـ٦ ص١٠٤ - ص ١٠٥ .

(٣) الطبرى : جـ٩ ص٤٧٢ بيروت .

(٤) جيبى : بدلة من أعمال خوزستان ، معجم البلدان : جـ٢ ص٤١ .

(٥) وكان ذلك يوم الاثنين ١٢ رمضان ٢٥٦هـ / ١٤ اغسطس ٨٧٠م .

تاريخ ابن الوردى جـ١ ص٢٣٤ .

(6) Naldeeka, p. 158.

وفى الوقت الـذى كـانت الأبلة تعـانى مـن ضربـات الزنـج كـان الأتـراك يتأمرون على مصير الخليفة المهتدى فى سامرًا بعد حكم لم يبلغ السنة الواحدة .

لكن الأمـور بـدأت تتحسن حـين بويـع المعتمـد فـى منتصـف رجـب سـنة ٢٥٦هـ / يونيـو ٨٧٠م وبالرغـم مـن أن المعتمـد لم يكـن بالخليفـة الـذى تتطلبـه هـذه الظروف فإن أخـاه أبـا أحمـد الموفـق كـان الحـاكم الحقيقى الذى قبض على الأمـور بقوة تاركًا للخليفـة ألقـابه ومظـاهره(١) . وكان الموفـق ذكيًا وماهـرًا إلى حـد بعيـد ، فقـد استطاع أن يعيـد للخلافـة قوتهـا وهيبتهـا(٢) ، لكن انشغال الموفق منعه مـن أن ينصـرف لـلزنج فـى بـادئ الأمر ، إلا أنه أرسـل إليهـم فـى رجـب سـنة ٢٥٧هـ / يونيـو ٨٧١م جيشـًا بقيادة غلامه سعيد بن صالح المعروف بالحاجب(٣) .

واستطاع الحـاجب أن يكبـد الزنـج خسـائر فادحـة فـى أول الأمـر وحقق انتصـارات كثـيرة بفضل مسـاعدة سكان الفرات(٤) ، غـير أن الحـاجب لم يسـتفد من انتصاراته كثـيرًا فقـد هزمـه الزنج بغتـة فـى هجـوم ليلى شـر هزيمة وأحرقوا معسكره وقتلوا منه مقتله عظيمـة ، مما دعـا المعتمـد إلى استدعائه وتسليم القيادة إلى منصور بن جعفر الخياط(٥) .

---

(١) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ص١٨٣ ، القاهرة ١٩٢٣م .

(2) Noldeka, p. 158.

(٣) ابن أبى الحديد : حـ٨ ص٣١٥ .

(٤) نفس المصدر : حـ٨ ص٣١٦ .

(٥) ابن الأثير : حـ٥ ص٢٦١ بيروت .

لم يكن منصور الخياط بأحسن حال من الحاجب إذ تمكن الزنـج من هزيمتـه بعد أن فشل حصاره لهم[١] ، وفى الأهواز استطاع القـائد الزنجـى علـى بـن أبـان المهلبى أن ينتصر على قوات الخلافة حيث قتل شاهين ابن بسطام[٢] ، وسـار بعـد ذلـك إلى البصرة بأمر من صاحب الزنج فقطع مواصلاتها بدجلة[٣] ، مما أدى إلى نقـص المؤن والأقوات بالبصرة ، ولما تأكد صاحب الزنج من ضعف أهل البصرة واضرار الحصار بهم صمم على مهاجمة هذه المدينة فى شوال ٢٥٧هـ / سبتمبر ٨٧١م .

واستطاع صاحب الزنج أن يستغل الأعـراب[٤] ، فـانضم عـدد ضخـم منهم إليه ، تدفعهم الرغبة فى نهب هذه المدينة الغنيـة رغم احتقار العربى للزنجى . وكانوا فرقة من الفرسان[٥] وتقرر يوم الجمعة ١٧ شوال ٢٥٧هـ ٧ سبتمبر ٨٧١م موعدا لمهاجمة البصرة فدخلتها قواتـه من ثلاثة جهـات علـى رأسـها القـائد العـام على بن ابان « فأقام يقتل ويحرق يـوم الجمعـة وليلـة السـبت ويـوم السـبت »[٦] وفى يوم الاثنين أعاد الزنج الكرة فاحتلوا المدينة العتيـدة وانتفحـوا مـن أهلهـا شـر انتقام بعد أن وعدهم صـاحب الزنـج بالأمـان ، وأحـرق علـى ابـن أبـان المسـجد الجامع وأعمل العبيد سيوفهم فى جموع أهل البصرة التى أحتشدت بباب إبراهيم ابـن يحيـى بعـد منحهـا الأمـان » فكـان السـيف يعمـل فيهـم وأصواتهـم مرتفعـة

---

(١) الطبرى : جـ٩ ص٤٧٨ - ص٤٧٩ بيروت .

(٢) وهو من أكابر أعوان الخليفة . ابن أبى الحديد : جـ٨ ص٣١٦ .

(3) Noldeka, p. 159.

(٤) ابن الأثير : جـ٥ ص٣٦٢ بيروت .

(5) Noldeka, p. 159.

(٦) الطبرى : جـ٩ ص٤٨٦ بيروت .

بالشـهادة . وعظم الخطب وعمها القتل والنهب والأحراق ، وقتلوا كل مـن رأوا بها من أهل اليسار وأخذوا ماله ، ومن كان فقيرًا قتلوه لوقته »[١] وأحدقت النـار بالمدينـة من كل جانب فالتهمت كل شئ مرت به « مـن إنسـان وبهيمـة وأثـاث ومتاع »[٢] ويذكر المسعودى[٣] أنه قد هلك فى هـذه الموقعـة مـن أهـل البصـرة ٣٠٠ ألفًا وهذا أقل تقدير لعدد القتلى فى هذه المجزرة الرهيبة[٤] واسترق الزنج النسـاء والأطفال ، وبيعت النساء الهاشميات من علويات وعباسيات بابخس ثمن ، ونـال الزنـج عددًا وفيرًا من العبيد يبلغ العشرة لكل فرد . وهكذا غدًا العبيـد فـى غمضـة عـين أحرارًا وتحول الأحرار إلى عبيد مما ينفى عن حركة الزنج أى صبغة تحريرية عامة .

على أن الخلافة لم تلبث أن أرسلت جيشًا بقيادة محمد المولد فى ذى القعـدة سنة ٢٥٧هـ / أكتوبر ٨٧٠م استطاع أن يسـترجع البصـرة بسـهولة وكذلـك الأبلة[٥] ، ولكن يحيى بن محمد القائد الزنجى الجديد لم يلبث أن هزم المولـد هزيمة نكراء واضطره إلى التقهقر إلى تخوم المدينة[٦] . أما فى الأهواز فكانت الحـرب فـى صالح الزنج حيث استطاع على بن ابـان سـنة ٢٥٨هـ / ٨٧١م أن يهـزم الخيـاط قائد العباسيين فى الأهواز وأن يرديه قتيلاً[٧] .

---

(١) الطبرى : جـ٩ ص٤٨٦ بيروت ، ابن الأثير : جـ٥ ص٣٦٢ بيروت .

(٢) الطبرى : جـ٩ ص٤٨٦ بيروت .

(٣) مروج الذهب جـ٢ ص٤٤٥ ، النجوم الزاهرة جـ٣ ص٤٨ .

(4) Noldeka, p. 160.

(5) Noldeka, p. 160.

(٦) الطبرى : جـ٩ ص٤٨٨ بيروت .

(٧) الطبرى : جـ٩ ص٤٩١ بيروت .

لقد شد احتلال الزنج للبصرة من أزرهم ورفع معنوياتهم ، بينما كان ذلك بالنسبة للخلافة كارثة مؤلمة ذلك أن البصرة هي عين العراق وميناؤه النهرى الوحيد ، ومعنى السيطرة عليه تهديد التجارة الصادرة والواردة ، ولما كانت مفتاح أرض السواد ، فإن خطر العبيد السود أصبح يهدد كل المناطق المجاورة .

لم يلبث الخليفة المعتمد أن عقد لأخيه أبى أحمد الموفق طلحة يوم الاثنين ٢٠ ربيع الأول ٢٥٨هـ / فبراير ٨٧٢م على ديار مضر وقنسرين والعواصم وفى أوائل ربيع الآخر وجهه هو ومفلح بعد أن خلع عليهما إلى البصرة لحرب الزنج[١] . وكان الجيش الذى قاده ضخمًا لم ير أحسن منه وأكمل منه سلاحًا وعتادًا وأكثر عدد وجمعًا[٢] . مما أوقع الرعب فى قلوب الزنج وكادت عزيمتهم تنهار لولا أن رئيسهم أدرك الخطر فأرسل يستدعى على بن أبان من الأهواز ، فوافاه فيمن معه من الجند ، وصادف أن قتل مفلح الساعد الأيمن للموفق فاختل نظام الجيش العباسى ولحقته الهزيمة أواخر أبريل سنة ٨٧٢م / جمادى الأولى ٢٥٨هـ فانسحب أبو أحمد إلى الأبلة ليعيد تنظيم جيشه[٣] .

لم يلبث الفريقان أن ألتحما عند نهر أبى الخصيب ، ورغم أن الموفق أصاب تقدمًا ونجاحًا فى بعض الأحيان إلا أن الفشل كان من نصيبه فى النهاية ، ذلك أن الزنج جمعوا كل قواتهم وبيتوا الكمائن لتصيد أصحاب الموفق ، و لم يشعر

---

(١) الطبرى : حـ٩ ص٤٩٠ بيروت .

(٢) الطبرى : حـ٩ ص٤٩٢ بيروت .

(٣) الطبرى : حـ٩ ص٤٩٤ – ص٤٩٥ بيروت .

هـذا إلا وقـد أصبح مخيمه طعمـة للنيران ، ووجدا الأمير العباسـى نفسه مضطرًا إلى التراجع إلى واسـط حيث تفرق عنه عامـة مـن كـان معـه مـن أصحابه[١] . على أى حـال فإن تكن هـذه الحملـة قـد فشلت فقد كسب الموفـق شيئـًا هامـًا إذ عرف عدوه جيدًا ووقف على دخائله .

أخذ الزنج بعد أن تخلصوا من الجيش العباسـى يعيشـون فـى المنـاطق المجـاورة وأرسل على بن محمد قوات هائلة إلى الأهواز بقيادة على بن ابان ثم دخل على بن ابان الآهواز فى ٦ رجب ٢٥٩هـ / بداية مـايو ٨٧٣م[٢] . و لم تلبث الخلافة أن أرسلت هذه المرة شخصية قوية هى موسى بن بغا التركى[٣] فخرج من سامرًا فى ١٧ ذى القعدة سنة ٢٥٩هـ / سبتمبر ٨٧٣م يساعده عبد الرحمن بن مفلح الـذى ذهب إلى الآهواز ، واسحق بن كنداج الذى قاد جبهة البصرة وإبراهيم بـن سيما الذى وافى بـازاورد[٤] . ودارت عـدة معـارك أظهـر فيهـا قـواد الخلافـة شـجاعة كانت وقتية واستطاع الزنج التحصن بالآجام ومناطق القصب والحلفـاء وحـاولت هذه الجيوش الضغط على الزنج من عدة جهات ، كما حاولت قطع التموين عنهم

---

(١) ابن الأثير : حـ٥ ص٣٦٦ بيروت .
رجع الموفق إلى سامرًا يـوم الجمعـة ٢٦ ربيـع الأول ٢٥٩هــ / ينـاير ٨٧٣م تاركـًا المولد خلفًا لـه على واسـط .

(٢) الطبرى : حـ٩ ص٥٠٣ بيروت ، ابن الأثير : حـ٥ ص٣٦٧ بيروت .

(٣) كان بغا من قواد المعتصم وأتاحت لـه شـجاعته ومقدرتـه أن يتزوج مـن بيـت الخلافـة .
حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى حـ٣ ص٤٠ .

(٤) الطبرى : حـ٩ ص٥٠٤ بيروت .

لكنها لم تحصل على نتيجة نهائية مطمئنة(١) . واستمرت الحرب سجالاً بضعة عشر شهرًا اتخذ موسى خلالها واسط مركزًا له حتى صرف عن حرب الزنج وتولاها مسرور البلخى(٢) .

علاقة الزنج بالصفارين :

يرجع ظهور يعقوب بن الليث الصفار على مسرح الأحداث إلى خلافة المتوكل سنة ٢٣٧هـ / ٨٥١ - ٨٥٢م ، وكان يعقوب فى أول أمره أحد قادة صالح ابن النضر الكنانى الذى اشتهر بالتطوع فى قتال الخوارج ، وقد تغلب على سجستان سنة ٢٣٧هـ وكان يعقوب من المخلصين فى خدمته حتى جعله صالح فى مقام النائب عنه وقد استعاد طاهر بن عبد الله أمير خراسان سجستان من صالح بن النضر وأعادها لطاعته(٣) .

وسرعان ما تغلب على هذه المدينة درهم بن الحسين زعيم المطوعة الذى ظهر عجزه ، فولى جنده قائده يعقوب بن الليث ، فلما رأى أصحاب درهم ضعفه وعجزه اجتمعوا على يعقوب بن الليث وملكوه أمرهم لما رأوه فيه من السياسة وحسن التدبير فتولى يعقوب أمر المطوعة وحارب الخوارج والشراة وهزمهم هزيمة

---

(1) Noldeka, p. 161.

(٢) الطبرى : جـ٩ ص٥٠٦ ، ابن الأثير : جـ٥ ص٣٦٨ بيروت .

(٣) ابن الأثير : جـ٥ ص٢٩١ ، ص٣٣٧ ، ص٣٣٨ بيروت .

، النويرى : نهاية الأرب جـ٢٣ ورقة ١٩٣ مخطوط بدار الكتب رقم ٥٥١ معارف عامة .

منكرة ولم يلبث أن اشتدت شوكته فغلب على سجستان وهراة وبوشنج وما والاها(١) . واستولى على كرمان(٢) وشيراز .

وفي سنة ٢٥٩هـ / ٨٧٢ - ٨٧٣م استولى يعقوب على نيسابور في عهد الخليفة المعتمد وقبض على محمد بن طاهر وأهل بيته وأسقط دولة الطاهريين(٣) ، وفي سنة ٢٦٠هـ / ٨٧٣ - ٨٧٤م دخل طبرستان وفي سنة ٢٦١هـ / ٨٧٤ - ٨٧٥م بدأت أطماعه تظهر جليًا مما أدى إلى معادلة الخليفة له ولعنه إياه في الأمصار(٤) .

على أن ذلك لم يحل بين يعقوب بن الليث وبين تحقيق مأربه فأرغم الخليفة على أن يعترف له بولاية خراسان وفارس وطبرستان وجرجان والري وآذربيجان وقزوين وفي سنة ٢٦٢هـ / ٨٧٤ - ٨٧٦م دخل رامهرمز(٥) وطمع أن « يصير إلى باب السلطان »(٦) ونجح فعلاً في تهديد الخلافة وتعدى واسط ووصل إلى دير

---

(١) ابن الأثير : حـ٥ ص٢٩١ بيروت .

، ابن خلكان : وفيات الأعيان حـ٢ ص٣١٢ ، النويري : نهاية الأرب (مخطوط) حـ٢٣ ورقة ١٩٣ .

(٢) ابن الأثير : حـ٥ ص٣٤٠ حوادث سنة ٢٥٥ هـ .

(٣) ابن الأثير : حـ٥ ص٣٦٨ - ص٣٦٩ بيروت .

(٤) الطبري : حـ٩ ص٥١٢ بيروت ، ابن الأثير : حـ٦ ص٧ بيروت .

(٥) رامهرمز : مدينة مشهورة في خوزستان . ياقوت معجم البلدان حـ٤ ص١٢٢ .

(٦) الطبري : حـ٩ ص٥١٦ بيروت .

العاقول[١] ، حتى اضطر الخليفة إلى الخروج بنفسه لصده وقد استنكر جند الصفار حرب الخليفة فتقاعسوا مما أدى إلى هزيمة قائدهم سنة ٢٦٢هـ / ٨٧٥ - ٨٧٦م[٢] .

وهكذا نرى أن الظروف خدمت صاحب الزنج إلى أبعد الحدود فقد كان الصفار هو الخطر المباشر على الدولة ، لذلك وجهت الخلافة كل همها للقضاء عليه . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد يئس ابن بغا من حرب الزنج وتضايق من الوضع الراهن ، فاستقال من حرب الزنج ومن ولاية المشرق أيضًا سنة ٢٦١هـ / ٨٧٥م فانتقلت الولاية والقيادة لأبي أحمد الموفق[٣] .

ركز الموفق همه كله لحرب الصفار ، فاستغل الزنج انسحاب قوات الخليفة من دجلة الأدنى ومدوا نفوذهم إلى الشمال حيث عاونتهم القبائل العربية في البطائح جنوب واسط[٤] ، وأعاد الزنج هجومهم على الآهواز فدخلوها للمرة الثالثة وأفرطوا في القتل والنهب والسلب حتى قيل أن عدد القتلى بلغ خمسين ألفا[٥] .

عاد يعقوب بن الليث منهزمًا إلى خوزستان ، ونزل جند يسابور ، وأراد صاحب الزنج أن ينتهز ذلك الموقف ويعقد محالفة مع يعقوب ضد الخلافة وأرسل له

---

(١) بين مدائن كسرى والنعمانية بينه وبين بغداد خمسة عشر فرسخًا على شاطئ دجلة . معجم البلدان جـ٤ ص١٥٤ .

(٢) ابن الأثير : جـ٦ ص٧ - ص٨ بيروت .

(3) Noldeka, p. 162.

(4) Noldeka, p. 162.

(5) Noldeka, p. 162.

لكى يحثه على الرجوع إلى بغداد ويعده بالمساعدة ، غير أن يعقوب رفض ذلك العرض وقال لكاتبه أكتب إليه : ﴿ قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ﴾ . وبعث بالكتاب إليه[1] . ويتبين لنا إسلام يعقوب بن الليث على المذهب السنى حينما رفض التحالف مع صاحب الزنج .

على أن موت يعقوب فى شوال سنة ٢٦٥هـ /[2] يونية ٨٧٩م قلب الأمور رأسًا على عقب ، فإن خلفه وأخاه عمرو كان أقل صلابة منه فاستطاع الموفق اقناعه بعقد الصلح ومنحه كثيرًا من الامتيازات ليتفرغ تمام التفرغ لحملته الكبرى على الزنج ، وبذلك ضمن الموفق تأييد الصفاريين ، ومن ثم بدأت كفة الدولة العباسية ترجع فى حروبها مع الزنج .

ويتبادر إلى الذهن سؤال . ترى لو قدر للصفارين أن يتحدوا مع الزنج فأى مصير كان ينتظر العباسيين على أيديهم ؟ إن الإجابة على ذلك صعب للغاية . فإن المتتبع لحركة الصفار التوسعية من ناحية ، وقوة الزنج من ناحية أخرى يستطيع أن يزعم بأن الدولة العباسية كانت ستواجه منعطفًا خطيرًا باتحاد عدويها خاصة وأن كلا الحركتين كانتا تهدفان إلى تغيير النظام القائم وتعتمد على تأييد طبقات العامة ، لكن هذا الاتحاد لم يتم ، واستطاع الموفق أن يعالج كلا من عدويه على حدة ، فلما فرغ من الصفارين ركز جهوده للقضاء على الزنج .

---

(١) ابن الأثير : حـ٦ ص٨ بيروت .

(٢) ابن الأثير : حـ٦ ص٢١ بيروت ويذكر المسعودى : مروج الذهب حـ٢ ص٤٤٥ وما بعدها أن وفاته فى ذى القعدة سنة ٢٦٥هـ .

الموفق وابن طولون :

تؤخذ على الموفق غلطة من صنع يديه كان لها أبعد الأثر فى استفحال خطر الزنج ، تلك هى عداؤه مع أحمد بن طولون[١] والى مصر . فلو أن الموفق استمال ابن طولون الذى لبى نداءه أول الأمر بما يعنه على حرب الزنج ، إذن لاستطاع أن يوجه كل جهوده لمحاربة هؤلاء الثائرين والقضاء عليهم قبل أن يضطرب المشرق ويتقاعس ولاته عن الانصياع للسلطان ودفع ما عليهم من الخراج[٢] .

كانت المهمة التى انيطت بالموفق مهمة شاقة صعبة ، فقد نفذت موارد الشرق من جراء حروب الزنج ، وتثاقل الناس عن حمل الخراج حين علموا بخروجهم فى حين كان الخليفة منهمكًا فى لهوه وصيده وجواريه بحيث ضاعت هيبة الخلافة واستبد العمال بالولايات .

اضطر الموفق إلى الالتجاء إلى ابن طولون فشكا إليه حاجته إلى المال خاصة وقد تأخرت أموال مصر ، إذ حملت إلى المعتمد نفسه[٣] ، فأنفذ نحرير خادم المتوكل إلى أحمد بن طولون يأمره بحمل الأموال والطراز والرقيق والخيل والشمع وفى نفس الوقت كتب المعتمد سرًا يقول لابن طولون « أن الذى حرك إخراج

---

(١) كانت ديار مصر قد أقطعها باكباك من قواد الأتراك ، وكان مقيمًا بحاضرة الخلافة فاستخلف بها من ينوب عنه ، وكان طولون والد أحمد بن طولون أيضًا من الأتراك ومن أنسبائه فالتمس باكباك من يستخلفه بمصر فأشير عليه بأحمد ابن طولون فولاه المعتز بالله سنة ٢٥٤هـ. ، محمد كرد على : خطط الشام حـ١ ص ١٧٢ - ١٧٣ بيروت ١٣٨٩هـ/١٩١٩ م .

(٢) ابن الداية : سيرة أحمد بن طولون ص ١٩ برلين ١٨٩٤م .

(٣) نفس المصدر ونفس الصفحة .

نحرير إليك أبو أحمد ، وقد انفذ نحريرًا عينـا عليـك ومعـه كتـب إلى سـائر قـوادك بالتضريب عليك(١) .

على أن ابن طولون بعث مع رسـول الموفـق مبلغًـا كبـيرًا مـن المـال وشيعه بنفسه إلى العريش ، ولعلـه كـان يـدرك أن الخليفـة السـليب السـلطة سـيبدد هـذه الأموال على لهوه وعبثه ، كما كان يعلم حق العلم أن الحاكم الحقيقى للخلافة إنما هو الموفق وليس المعتمد ، وكأن الموفق لم يكتف بما ارسله ابن طولون فكتـب إليـه كتابًا جافًا شديد اللهجة يطلب منه المزيد ، وحـاول ن يصـرف ابـن طولـون عـن ولايته فلم يفلح ، وهكذا أصبحت الخصومة لا مناص منها بـين هذيـن الرجلـين . وزاد العداوة اشتعالا ذلك الكتاب العنيف الذى رد به ابن طولون يقول فيه : « إن فى ولايته مائة ألف جنـدى قـد يستعين بهـم فـى حـرب الموفـق إن أعـوزه الأمـر ويستطرد قائلاً : أنه يستكثر من العدد والعمال لصيانة الدولة والدفـاع عنهـا(٢) ، فأثار هذا الكتاب حفيظة الموفق وأوعز أبـو أحمـد إلى موسـى بـن بغـا بعـزل ابـن طولون عن مصر وتقليدهـا مـاجور الـتركى والى دمشـق(٣) . وحـين رفـض هـذا الأخير أن يقاوم ابن طولون سار ابن بغا بنفسـه إلى الرقـة لقتالـه(٤) ، واتخـذ ابـن طولون للأمر عدته فبنى حصنًا منيعًا فى الجزيرة وصنع أسطولاً بحريًـا ضخمًـا(٥) .

---

(١) ابن الداية : ص١٩ .

(٢) ابن الداية : حـ٢١ راجع نص الكتاب من ص ٢١ - ٢٤ .

(٣) المقريزى : الخطط حـ١ ص ٣١٩ بولاق ١٢٧٠هـ .

(٤) الرقة : مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام . معدود فـى بـلاد الجزيـرة لأنها من حانب الفرات الشرقى .

، معجم البلدان : حـ٤ ص ٢٧٢ .

(٥) المقريزى : خطط حـ١ ص ٣١٩ .

وأقام ابن بغا بالرقة عشرة أشهر يستعد للقتـال ، لكـن الظـروف سـاءت فعـاد إلى العراق حيث توفى معتلاً فى صفر سنة ٢٦٣هـ / سبتمبر أكتوبر ٨٧٩م .

لقد ازداد نفوذ ابن طولون وتوسعت سلطته حين استتب له الأمر فى الثغور الشامية بعدما عزله الموفق عنها ، وحدث أن توفى والى الشام فاستولى ابن طولـون على الرملة ودمشق وحمص ما بـين سنتى ٢٦٤- ٢٦٥هـ ودخـل انطاكيـة سنة ٢٦٥هـ ٨٧٨ - ٨٧٩م . ثم استولى على طرسوس([1]) ، ثـم حدثـت اضطرابـات فى مصر([2]) ، كما حدث مثلهـا فـى الشـام فسـار إلى دمشـق حيـث ورد كتـاب المعتمد بالالتجاء إليه([3]) .

أن قصة التجاء الخليفة إلى ابـن طولـون تدلنـا علـى مقـدار مـا كـان يلاقيـه المعتمد من العنت والاضطهاد على يد أخيه الموفـق ، لذلـك انتهـز فرصـة انشـغال الموفق بحرب الزنـج فخـرج مـن سـامرا متظـاهرًا بـالصيد فـى جمـادى الأولى سـنة ٢٦٩هـ/ نوفمبر - ديسمبر ٨٨٢ وأقام يتصيد بالكحيل وأرسـل ابـن طولـون مـن

---

(١) الطبرى : حـ٩ ص ٥٤٣ ، المقريزى : خطط حـ١ ص ٣٢٠ .

(٢) يذكر الطبرى : حـ٩ ص ٥٤٥ أن العباس بن أحمد بن طولون انتهز فرصة خروج أبيـه إلى الشام بعد أن استخلفه على مصر ، وحمل ما فى بيت مال مصر من الأموال والأثاث وغـير ذلك ثم مضى إلى برقة ومنها إلى طرابلس حيث اصطدموا بقوات إبراهيم الثـانى بـن أحمد الأغلبى التى هزمتهم أقبح هزيمـة وكاد العباس أن يوسـر فعـاد إلى برقـة حيـث أرسـل إليـه والده قوة تمكنت من القبض عليه وحملوه إلى ابن طولون حيث أمر بضربـه وحبسـه وقطـع أيدى وأرجل أصحابه .

، ابن عذارى : البيان المغرب فى أخبار المغرب حـ١ ص ١١١ - ١١٣ ، ابن الأثير : حـ٦ ص ٢١ بيروت .

(٣) الطبرى : حـ٩ ص٥٤٥ بيروت ، المقريزى : خطط حـ١ ص ٣٢٠ .

ينتظره بالرقة إلا أن الموفق أرسل من يحبط مؤامرة الخليفة . فلم يكد الهارب السيء الطالع يضع قدميه فى عمل اسحق بن كنداج عامل الموصل والجزيرة حتى حمل إلى سامرا محجورا عليه([1]) .

استغل ابن طولن حجر الموفق على الخليفة فأثار حفيظة النـاس ضـده ووفـق إلى عقد اجتماع حضره القضاه والفقهاء خلع فيه الموفـق عـن ولايـة العهـد ودعـا الناس إلى حربه لحجره على الخليفة ، واستمر العداء بين الطولونيين والموفق ، حتى تم الصلح فى عهد خمارويه حيث تضمن كتاب الصلح تولية خمارويـه وأولاده مـن بعده على مصر والشام ثلاثين سنة([2]) .

نهاية حركة الزنج :

نستطيع أن نعتبر سنة ٢٦٥هـ / ٨٧٩ م بدايـة قـوة العباسـيين وأفـول نجـم الزنج كقوة عظيمة هددت المناطق الشرقية من أملاك الدولة العباسية طـوال العشـر سنوات التالية .

فإن انتهاء أمر الصفارين ترك للموفق مجالاً لتركيز قواه وضرب الزنج ضربـة قاصمة بعد أن دخلوا واسـط والنعمانيـة وأصبحـوا على بعـد سبعـين ميلاً جنوب بغداد . وأخذ الموفق بعـد سـنة ٢٦٥هـ يحشـد جهـوده وكـل مـوارده لإنهاء هـذه « الثورة السوداء » مستفيدا من الـدروس التى تعلمهـا مـن طـوال الفترة الماضية([3]) .

---

(١) الطبرى : جـ٩ ص ٦٢٠ - ٦٢١ بيروت ، المقريزى : خطط جـ١ ص ٣٢٠ - ٣٢١ .

(٢) محمد كرد على : خطط الشام جـ١ ص ١٧٧ - ١٧٨ بيروت ١٩٦٩م .

(3) Noldeka, p. 164.

وكل الموفق أمر طرد الزنج إلى ابنه ابى العباس أول الأمر فى ربيع الآخر سنة ٢٦٦هـ/ نوفمبر - ديسمبر ٨٧٩م واستعرض أبو أحمد جيش ابنه وهو فى منتهى الرضا وكان هذا الجيش من عشرة آلاف من الفرسان والرجالة « فى أحسن زى وأجمل هيئة وأكمل عدة »(١) . وكان يرافق هذا الجيش أسطول مكون من الشذاءات والسميريات والمعابر كلها متقنة الصنع(٢) ، وتحرك أبو العباس نحو جرجرايا بعد أن عبأ جيشه تعبئة دقيقة ثم استقر فى فم الصلح(٣) قريبًا من العدو .

كان أبو العباس شابًا فى الثالثة والعشرين من عمره لذلك استصغر الزنج شأنه(٤) وقرروا مجابهته بكل قواتهم دفعة واحدة لإخافته ، إلا أن أبا العباس حقق الثقة التى وضعت فيه واستطاع أن يرغم قائد الزنج سليمان بن جامع عل الانسحاب والتقهقر فى أول اصطدام له معه وصلى الجمعة فى واسط(٥) .

أخذ أبو العباس يعد نفسه وقواته لملاقاة الزنج ثانية رافضًا مشورة قواده بالإقامة فى واسط ، أما الزنج فأخذوا يعدون أنفسهم بدورهم ، فحشد سليمان

---

(١) الطبرى : جـ٩ ص ٥٥٧ بيروت ، ابن الأثير : جـ٦ ص ٢٦ بيروت .

(2) Noldeke, p. 165

(٣) فم الصلح : نهر كبير فوق واسط ، معجم البلدان جـ٦ ص ٣٩٩ .

(٤) ابن الأثير : جـ٦ ص ٢٧ بيروت .

(٥) بعد أن استأمن إليه خلق كثير .

ابن أبى الحديد : جـ٨ ص ٣٤٤ .

يذكر نولدكة أن قوات الزنج المحاربة لأبى العباس كانت زهاء العشرين ألفًا .

ابن جامع أصحابه وقسمهم ثلاث فرق ، سلكت كل واحدة منها طريقًا لكن هذا التنظيم إنهار أمام عزيمة أبى العباس حيث انتصرت قوات أبو العباس فى اللقاء الثانى مع الزنج وعاد إلى معسكره محملاً بالغنائم(١) .

أظهر أبو العباس فى حرب الزنج حنكة وجرأة نادرتين ، فقد كان يستطيع المواضع والمسالك بنفسه ، كما أنه اتبع سياسة ناجحة فى اجتذاب الزنج حين أخذ يضم قوادهم الذين يهزمهم إلى جيشه(٢) ، كما طهر كثيرًا من المواضع والقرى واستنقذ كثيرًا من الأسرى والسبايا من النساء اللاتى كن فى أيدى الزنج وردهن إلى أهلهن(٣) كما جمع كثيرًا من الأموال والغنائم واستحوذ على عدد هائل من الأسرى وتضخم أسطوله بما انضاف إليه من سفن العدو(٤) . وجملة القول أن أبا العباس انتصر فى جميع الوقائع التى اشتبك فيها مع العدو(٥) . فكانت بداية طيبة تبشر بالنصر النهائى .

لم يلبث الموفق أن ساند ابنه أبى العباس فى حربه ضد الزنج فى صفر سنة ٢٦٧هـ/ أكتوبر ٨٨٠ م وحضر بنفسه ، خاصة حين اتصل بعلمه أن صاحب الزنج قد أمر بتركيز كل قواتهم ومواجهة أبى العباس بكل عنف ، وأخذ الموفق

---

(1) Noldeka, p. 165.

(٢) الطبرى : حـ٩ ص ٥٥٨ - ٥٦١ بيروت .

Noldeka, p. 165.

تحرج موقف صاحب الزنج من هجرة قواده وأعوانه ، وتميز أبو العباس بشجاعة تدعوا إلى الاعجاب ففى أحد المعارك وجد أن عشرين سهما قد تعلقت بثيابه .

(٣) ابن الأثير : حـ٦ ص ٢٧ - ٢٨ بيروت .

(٤) الطبرى : حـ٩ ٥٦٢ ص٥٦٦ بيروت .

(٥) النجوم الزاهرة حـ٣ ص ٤٢ .

منذ أن حضر إلى ميدان القتال ومعه جيش عظيم وأسطول ضخم[١] بعد الخطط الدقيقة لحرب الزنج ، وأثمر ذلك الاتحاد عن احتلال الموفق مدينة (المنيعة) التى بناها الزنج على مقربة من واسط فى أوائل ربيع الأول سنة ٢٦٧هـ/ أكتوبر ٨٨٠م كما حرر خمسة آلاف من الأسرى نساء وأطفالاً[٢] .

و لم يلبث الموفق أن اباح مدينة الزنج المحتلة لناس فنهبوها ، وهدم سورها وطم خنادقها وأحرق ما كان بقى فيها من السفن[٣] ، ثم تقدم الموفق بعد ذلك إلى طهيثا حيث تقع « المنصورة » وهى الحصن الثانى للزنج فى ربيع الآخر سنة ٢٦٧هـ / نوفمبر ٨٨٠ م حيث نشبت المعركة مع الزنج وفيها قتل الجبائى ، وكان أعظم أصحاب قائد الزنج وأكثرهم طاعة له[٤] ثم تقدم الموفق حتى سور المدينة ، وكان سليمان بن جامع قد حفر أمام مدينة المنصورة خمسة خنادق وجعل أمام كل خندق سورا ، لكن هذا لتحصين لم يقف فى وجه الموفق واصحابه و لم يلبث أن اقتحم المدينة[٥] . واستنقذ عددًا هائلاً من النساء والصبيان[٦] ، بعد أن فر سليمان بن جامع قائد الزنج ، واقام الموفق بطهيثا سبعة عشر يومًا وأمر بهدم

---

(١) الطبرى : حـ٩ ص ٥٦٦ بيروت ، ابن الأثير : حـ٦ ص ٢٨ وما بعدها .

(٢) ابن أبى الحديد : حـ٨ ص ٣٤٥ .

(٣) ابن الأثير : حـ٨ ص ٢٨ - ٢٩ تأثر صاحب الزنج بهذه الهزيمة وتألم أشد الألم حتى أنه يقول وهو يصف الكتاب الذى نقل إليه الخبر أنه « ورد بقاصمة الظهر » الطبرى : حـ٩ ٥٦٩ بيروت .

(٤) الطبرى : حـ٩ ص ٥٧٢ . وما بعدها ، ابن الأثير : حـ٦ ص ٢٩ - ٣٠ بيروت .

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية حـ١١ ص ٤٠ .

(٦) قدره الطبرى حـ٩ ص ٥٧٣ بعشرة آلاف وابن الجوزى : المنتظم حـ٥ ص ٥٨ بخمسة عشر ألف .

سور المدينة وطم خنادقها وردم أنهارها[١] ، كما أخذ يطارد الهاربين من الزنوج حتى إذا ما وقع أحدهم فى يده عفا عنه وضمه إلى جيشه[٢] .

ترك الموفق حملته فى واسط تحت أمرة ابنه هارون ، وسار باتجاه الأهوآاز يوم الجمعة ١ جمادى الآخرة سنة ٢٦٧هـ/ ٦ يناير ٨٨١ م ليطهرها وينقذ سكانها من شرور المهلبى قائد الزنج هناك ، أما ابنه الآخر أبو العباس فقد سبقه إلى الأهواز .

اضطرب صاحب الزنج حين بلغته أنباء الهزائم التى منى بها أعوانه كما اصابه هلع شديد من قدوم الموفق ، فكتب إلى المهلبى - وكان فى الأهواز مع ثلاثين ألفا - يأمره بترك كل ما معه من المؤن والأثاث وأن يوافيه فى الحال ، ولما كان صاحب الزنج ينوى تركيز كل قواته فى مكان واحد ، فقد أمر بهبوذ بن عبد الوهاب بترك أعماله والتوجه إليه ، وكان يلى الغندم[٣] . والباسبان[٤] فوقع كل ما فى هذه المناطق من الحبوب والتمر والمواشى فى يد الموفق فكان ذلك قوة له على الزنج وضعفًا لهؤلاء[٥] إذ أنهم بدأوا يقاسون قلة الغذاء وصعوبة التموين . ومن هنا نجد أن الحرب الاقتصادية والسيطرة على المؤن ومواردها أصبحت وسيلة من الوسائل الفعالة التى استخدمها الموفق فى حرب الزنج ، واستطاع فى نفس الوقت فتح السدود والسكور التى أنشأها الزنج فى دجلة والأنهار الأخرى لعرقلة سير السفن ، ثم دخل إلى جند يسابور ومنها إلى تستر حيث أعاد الأمور إلى

---

(١) البداية والنهاية حـ١١ ص ٤١ .

(٢) الطبرى : حـ٩ ص ٥٧٤ بيروت ، ابن الأثير : حـ٦ ص ٣٠ بيروت .

(٣) الغندم : موضع بالأهواز معجم البلدان : حـ٦ ص ٤٠١ .

(٤) الباسبان : قرية بخوزستان . معجم البلدان : حـ٢ ص ٣٦ .

(٥) الطبرى : حـ٩ ص ٥٧٦ بيروت .

نصابها فى هذه النواحى ، كما اتصل بمحمد بن عبيد الله الثائر الكردى ، وعقد معه صلحًا فأمن جانبه ، وهكذا أخذت مدن الأهواز تنهار سريعًا أمام هجمات الموفق فاستولى على المنطقة كلها وكشف الزنج عنها(١) .

بناء الموفقية :

اهتم أبو أحمد الموفق بقضية التموين اهتمامًا كبيرًا ، فكتب إلى عمال النواحى يطلب الميرة ، فلم تلبث القوافل أن وفت بها مما رفع معنوية الجنود وحسنت أحوالهم . وكتب كثير من الزنج إلى أبى أحمد يطلبون الأمان فأجابهم إلى ذلك ووافاه ألف رجل من العدو فأحسن غليهم وضمهم إلى قواده وأجرى لهم الأرزاق ، وكان لذلك أثره فى أضعاف قوة الزنج وتقوية الجيش العباسى . ثم كتب أبو أحمد إلى ولديه أبى العباس وهارون بالانحدار إلى نهر المبارك فى فرات البصرة لتجتمع كل قواته فى مكان واحد والتقى الجميع هناك فى ١٥ رجب سنة ٢٦٧هـ / ١٨ فبراير ٨٨١(٢) .

أصبح نفوذ الزنج محدودًا على مدينة المختارة ، وقبل أن يشن الموفق هجومه الكبير كتب إلى صاحب الزنج يدعوه إلى التوبة عما ارتكبه فى حق الإسلام والمسلمين ويعلمه أن التوبة له مبسوطة والأمان له موجود فإن هو نزع عما عليه من الأمور التى يسخطها الله ودخل فى جماعة المسلمين محا ذلك ما سلف من عظيم جرائمه وكان له به الحظ الجزيل فى دنياه(٣) . لكن صاحب الزنج

---

(١) تاريخ ابن الوردى جـ١ ص ٢٣٩ .

(٢) الطبرى : جـ٩ ص ٥٧٦ - ٥٧٧ بيروت .

(٣) الطبرى : جـ٨ ص ٥٨٠ - ٥٨١ ، ابن الجوزى : المنتظم : جـ٥ ص ٥٩ ، ابن الأثير : جـ٦ ص ٣١ بيروت .

ازداد نفورًا وإصرارًا رغم موقفه السيء([1]) ، لكن بعض قواده كانوا أقل شجاعة منه ، فقد انضم بعضهم إلى الموفق الذى رحب بهم أجمل ترحيب ، وكان من أثر أنعامه على المنضمين إليه بسخاء أن أغرى هؤلاء أصحابهم على هجران جيش الزنج ، مادام لم يعد لهم مطمع فى الفوز أو الكسب من وراء هذه الثورة التى بدأ فى طريقها إلى الفشل ووجد صاحب الزنج أن خيرة قواده قد خانوه فغدا قليل الثقة بالآخرين([2]) .

كانت المختارة التى يشمل حصارها كل الفترة المتبقية من الحرب مدينة منيعة محاطة بالحصون والخنادق وتحميها الجداول والسدود فضلاً عما كان على سورها من المجانيق والعرادات وآلات الحصار المختلفة([3]) . وأشرف أبو أحمد على هذه المدينة فهاله ما راى من مناعتها ، كما راعه كثرة عدد الزنج الذين لم يكتفوا بتحصينات مدينتهم بل استمروا فى انشاء وسائل دفاع جديدة طيلة الحصار . وكان جيش الزنج يتكون من ثلاثمائة ألف محارب على حين كان جيش العباسيين حوالى الخمسين ألفا([4]) ، إلاأن جيش الموفق كان يتميز بالتجهيز التام والتغذية الجيدة فضلاً عما كان ينضاف إلى هذا الجيش من قوات الزنج المستسلمة ، وما يأتيه من امدادات([5]) .

---

(١) ولعله كان يتوقع فى كل لحظة قيام عصيان فى بغداد أو سامراء أو ظهور ثائر خطر فى بعض المقاطعات فينفك حصار الموفق عنه .

Noldeka, p. 166.

(2) Noldeka, p. 167.

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١١ ص٤١ مكتبة المعارف – بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٧م.

(٤) نفس المصدر : جـ١١ ص ٤١ .

(5) Noldeka, p. 168

لم يكن الموفـق ينـوى الاستيلاء علـى (المختـارة) بهجـوم مفـاجىء نظـرًا لحصانة هذه المدينة ، ولما كانت هذه المدينة مفصولة عنه بنهـر فقـد قـرر أن يتخـذ معسكرًا ومقرًا وفى أواخر رجب سنة ٢٦٧هـ / ٨٨١م اختـار أبـو أحمـد مكانـا على جانب دجلة الشرقية ، فرحل إليه الناس واصلحت الطرق وانشئت القناطر(١) وبقى أبو أحمد فى هذا المكان بعد العدة حتى منتصف شعبان سنة ٢٦٧هـ(٢) .

وفى منتصف شعبان سنة ٢٦٧هـ/ أبريـل ٨٨١م انتقـل الموفـق إلى معسـكر جديد بإزاء مدينة الزنج على جانب دجلة وبنى هنـاك مدينـة سماهـا الموفقيـة(٣) ، وهـدف الموفق من بناء هذه المدينة أن يكون قريبًا من المختارة أولاً وقطع الامدادات والمـؤن عن الزنج ثانيًا . و لم تلبث هذه المدينة أن ازدهرت بسرعة وبنى فيها الموفق مسجدًا جامعًا(٤) . واتخذ دورًا للضرب فأصدر الدنانير والدراهم للمعاملات التجارية(٥).

وهكذا أدت هذه الثورة السوداء المدمرة فى جملة ما أدت إلى قيـام مدينتـين عظيمتين اتسع فيهما العمران وكثر البناء وراجت التجارة ، فقد رأينا كيـف أنشـأ على بن محمد مدينة المختارة وأحاطها بالخنادق والأسوار وحكم منها حيث أرسل الولاة والعمال والقضاة إلى المناطق الخاضعة له كما أصدر فيها نقودًا بدولته مـا زالـت منها قطعتان ذهبيتان فيهما أكبر القيمة فى التدليل على قيام هذه المدينة(٦) .

---

(١) ابن الأثير : جـ٦ ص ٣١ بيروت .

(٢) الطبرى : جـ٩ ص ٥٨٤ بيروت .

(٣) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان (مخطوط) جـ٦ ص٩ ورقة ٢٠١ دار الكتب رقم ٥٥١.

(٤) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان (مخطوط) جـ٦ ص٩ ورقة ٢٠١ دار الكتب رقم ٥٥١.

(٥) الطبرى : جـ٩ ص ٥٨٦ بيروت .

(٦) توجد إحدى هاتين القطعتين فى المتحف البريطانى والأخـرى فـى بـاريس والقطعـة الأولى أقدم من الثانية بثلاث سنين مما يدل على أن الحياة العامة فـى دولـة الزنـج استغرقت بضـع سنين ، كما نستدل منها على أن الزنج استعملوا النقود فى التبادل التجارى .

أدرك الموفق بثاقب بصره أن الوسيلة الفعالة لايذاء الزنج وشل حركتهم هو الحصار الاقتصادى ، ففى الوقت الذى أمن تموين جيشه فرض على الزنج حصارًا اقتصاديًا شديدًا ونجح فى قطع سبل الاتصال بينهم وبين الخارج ، وساعد وصول أسطول جديد من الساحل الفارسى على كثرة واردات الجيش العباسى ، وفقد الزنج سبل تموينهم حتى غدوا يحصلون على قوتهم بأشق المجهودات(١) . ومن ثم أخذوا يشعرون بقلة الطعام كما انقطع ورود الخبز إليهم ، فكثر انضمامهم إلى جيوش العباسيين ، وهو ما كان يعمل الموفق على تحقيقه . وفى السنة التالية (٢٦٨هـ) شدد الموفق الحصار الاقتصادى ومنع وصول الميرة والتموين إليهم « حتى استأمن إليه خلق كثير »(٢) .

كذلك هاجم رشيق أبى العباس جماعة الإعراب من بنى تميم(٣) . الذين كانوا يحملون إلى المختارة الطعام والإبل والغنم عن طريق الأنهار ، واستولى رشيق على ما كانوا يحملون من المؤن ، وبذلك انسدت على صاحب الزنج كل المسالك(٤) . وكان من نتيجة هذا الحصار أن سرى الضعف بين صفوف الزنج

---

(١) الطبرى : جـ٩ ص ٥٩٤ - ٥٩٥ بيروت .

كان سمك البطيحة يأتى لمعسكر صاحب الزنج بوفرة ، وكان الأعراب يحملون الميرة إليه فانشأ الموفق سوقًا أيضًا فى البصرة للأعراب حمل إليه التمر الذى كانوا يتصلون بالزنج للحصول عليه بمبادلة ما لديهم من البضائع ، كما منع جلب السمك من الزنج منعًا باتًا .

، الطبرى : جـ ٩ ص ٦٠٤ - ٦٠٥ بيروت .

(٢) نفس المصدر ص ٦٠٢ بيروت ، ابن الأثير : جـ٦ ص ٣٧ بيروت .

(٣) وهم الذين ساعدوا الزنج فى دخول البصرة . الطبرى : جـ٩ ص ٦٠٧ .

(٤) نكل الموفق بهؤلاء الأعراب وقتل بعضهم لكى يتحاشى الباقون مساعدة الزنج فى جلب الغذاء . الطبرى : جـ٩ ص ٦٠٧ بيروت .

وأضر بهم الجوع(١) فتفرقوا فى القرى والأنهار يبحثون عن القوت من السمك والتمر فأخذ أبو أحمد يتصيدهم أسرًا وقتلاً حتى تضعضعت صفوف صاحب الزنج وانفض من حوله كثير من أعوانه ، بل إن ابنه فكر فى هجره والالتحاق بأبى أحمد فلم يجد أبوه بدأ من قتله(٢) .

سقوط المختارة :

استمر حصار المختارة من سنة ٢٦٧ - ٢٧٠ هـ/ ٨٨٠ - ٨٨٤م أى حتى نهاية حركة الزنج . ففى ربيع الآخر سنة ٢٦٨ هـ / نوفمبر ٨٨١ م عبر أبو أحمد الموفق إلى المختارة ومعه ابنه أبا العباس وخيرة قواده وضم إلى كل منهم المهندسين والعمال فأمرهم أن يعملوا على هدم سور المدينة دون أن يدخلوها ، فتمكنوا من هدم أجزاء كثيرة من السور فعلاً ، ودخلوا المدينة مخالفين بذلك أوامر قائدهم الأعلى ، فكانت النتيجة وبالاً عليهم ، إذ تشعبت بهم المسالك وأرتبكوا واستطاع الزنج هزيمتهم وملاحقتهم حتى النهر ومنى جيش الموفق بخسائر فادحة نتيجة عصيانهم الأوامر(٣) .

حاول الموفق أن ينقل معسكره إلى الجانب الغربى من دجلة ، إلا أن صاحب الزنج حال بينه وبين تنفيذ ذلك ، فاكتفى الموفق بمحاولة هدم السور(٤) ، واقتصر الأمر فى هذه المرحلة على غارات خاطفة لإحداث أكبر قدر ممكن من

---

(١) يروى ابن الجوزى : المنتظم حـ٥ ص ٦٣ أنهم أكلوا لحوم الناس ونبشوا القبور فأكلوا لحوم الموتى .

(٢) الطبرى : حـ٩ ص ١٠ - ١١ بيروت .

(٣) الطبرى : حـ٩ ص ٦٠٢ - ٦٠٣ بيروت ، ابن الأثير : حـ٦ ص ٣٧ بيروت .

(٤) الطبرى : حـ٩ ص ٦٠٣ بيروت .

الخسائر فى الجانب الزنجى ولإلقاء الرعب بين صفوفهم ، وتمكن الوفق من هدم المسجد الجامع فى مدينة الزنج وحمل منبره إلى الموفقية[١] . واستمر الموفق يهاجم السور ويهدمه حتى انهارت دواوين الزنج وانتهبت خزائنهم[٢] .

وفى الوقت الذى أشرف فيه العباسيون على الانتصار خدمت الظروف الزنج فقد أصيب الموفق بسهم فى صدره أطلقه عليه عبد رومى اسمه قرطاس[٣] ، أعاقه عن القيادة فانسحب إلى الموفقية ، ووقفت العمليات الحربية فترة أتاحت للزنج فترة من الراحة والاستعداد وتنظيم صفوفهم المبعثرة . وما كاد الموفق يتماثل للشفاء فى شعبان سنة ٢٦٩هـ/ ينـاير ٨٨٣م ويعاود حرب الزنج حتى انشغل باخبار هروب المعتمد من سامرا إلى الرقة قاصدًا الالتجاء إلى ابن طولون ، فحال دون نجاح مؤامرة الخليفة واستطاع إعادته إلى سامرا[٤] .

وفى شعبان سنة ٢٦٩هـ/ يناير ٨٨٣ م هاجم الموفق المختارة من جديد وتمكن أصحابه من إحراق بعض قصور صاحب الزنج واستنقاذ عدد كبير من النساء الأسيرات[٥] ، وكاد موقف صاحب الزنج يسوء لولا أن استعمل الحيلة فأجرى الماء على الأراضى التى يسلكها الجيش العباسى ، كما حفر الخنادق لإعاقة تقدم الجيش الفاتح ، وقد حاول الموفق ردم هذه الخنادق فدارت معركة عنيفة كثر

---

(١) الطبرى : حـ٩ ص ٦١٨ - ٦١٩ ، ابن الأثير : حـ٦ ص ٤١ بيروت .

(2) Noldeka, p. 168

(٣) وكان ذلك فى جمادى الأولى سنة ٢٦٩هـ / ديسمبر ٨٨٢م .

(٤) الطبرى : حـ٩ ص ٦٢٠ - ٦٢١ استغل الزنج الظروف السيئة التى أرغمت العباسيين على تخفيف ضغطهم على أعدائهم فأعادوا بناء ما تهدم من سور المدينة .

(٥) الطبرى : حـ٩ ص ٦٢٢ وما بعدها ، ابن الأثير : حـ٦ ص ٤٢ ، بيروت .

فيها القتلى والجرحى[١] . وتمكن الموفق من إحـراق دار صـاحب الزنـج[٢] الـذى خرج هاربًا لا يلوى على شيء مخلفًا وراءه أمواله وأمتعته طعمة للنيران ولجنود الموفق[٣] ، واستنقذوا فى هذه العملية كثيرًا من النساء المسترقات ، وكاد النصر يتم للجيش العباسى لولا أن دهم المرض الموفق[٤] ، فتوقفت الحرب مدة شهرين حتى أوائل شوال سنة ٢٦٩ هـ / مارس ٨٨٢ حيث أفـاد الزنـج مـن هـذه الهدنـة وقاموا ببناء قنطرة ضخمة على نهر أبى الخصيب لعرقلة مرور السـفن ، كمـا بنـوا جسرين ضخمين على نفس النهر ، إلا أن الموفق اسـتطاع إزالـة القنطـرة وبرجـين حجريين بنيا على فوهة النهر بمجرد أن شفى من مرضه[٥] .

ومن الجدير بالذكر أنه كلما ساء موقف صـاحب الزنـج ، كلمـا زاد عـدد المستأمنين إلى الموفـق ، فقـد اسـتأمن سنة ٢٦٨هـ/ ٨٨١ - ٨٨٢ م جعفـر بـن إبراهيم المعروف بالسجان وهو أحد ثقات صـاحب الزنـج فتبعه خلـق كثـير[٦] . وفى سنة ٢٦٩ هـ/ ٨٨٢ - ٨٨٣م استأمن محمد بن سمعان كاتب صاحب الزنـج ووزيره[٧] ، بل إن (أنكلاى) ابن صاحب الزنج نفسه طلب الأمان وكاد يلحـق

---

(١) بذل الزنج قصارى جهدهم لدفع الخطر عن قصر زعيمهم خاصة ومدينتهم عامة واستعانوا بالحجارة والنشاب والمقاليع والمجانيق والعرادات والرصاص المذاب .

، ابن الجوزى : المنتظم جـ٥ ص ٦٧ .

(٢) الطبرى : جـ٩ ص ٦٢٣ - ص ٦٢٥ بيروت .

(٣) ابن الجوزى : جـ٥ ص ٦٧ .

(٤) الطبرى : جـ٩ ص ٦٢٧ بيروت .

(٥) ابن الأثير : ٦ ص ٤٦ بيروت .

(٦) الطبرى : جـ٩ ص ٦٠١ ، ابن الأثير : جـ٦ ص ٣٧ بيروت .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم جـ٥ ص ٨٧ .

بأبى أحمد لولا أن علم والده فأثناه عن ذلك[١] . وأرسل سليمان بن موسى الشعرانى من قادة الزنج الرئيسيين يطلب الأمان فرفض الموفق طلبه ، لما أتاه من أعمال القسوة ، وحين أجابه الأمير العباسى إلى طلبه تبعه كثير من قواد الزنج ، واتبع معهم الموفق سياسة المسامحة والإحسان مما كان له أثره على أتباعهم من الزنج فتركوا معسكرهم لاجئين إلى الجيش العباسى[٢] . ومن أهم هؤلاء اللاجئين شبل بن سالم أحد قواد الزنج الذى اسند إليه الموفق مهمة مهاجمة معسكر صاحب الزنج فى فرقة من الزنج المستأمنين[٣] .

نهاية حركة الزنج ومقتل صاحبها :

وفى شهر ذى القعدة سنة ٢٦٩هـ/ إبريل ٨٨٣ م كان الهجوم الشامل للجيش العباسى الذى تمكنت قواته من دخول دار صاحب الزنج وإحراقها ، وحملت نساؤه وأولاده إلى الموفقية[٤] ، وهرب صاحب الزنج إلى قلعة أخرى هى دار المهلبى أحد قواده وهناك دارت معركة حامية بينه وبين أبى العباس انتهت بنصر مؤزر للعباسيين الذين عادوا محملين بالأموال والأسرى والنساء اللاتى وقعن فى اسر صاحب الزنج من المسلمات « فضعف أمره وداخله الضعف »[٥] .

وفى أوائل ذى الحجة (من نفس السنة) وصلت إلى أبى أحمد نجدة مؤلفة من عشرة آلاف رجل بقيادة كاتبه صاعد بن مخلد ، كما أن لؤلؤا - أحد أتباع

---

(١) الطبرى : حـ٩ ص ٦٤٢ ، ابن الأثير : حـ٦ ص ٤٧ بيروت .

(٢) ابن الأثير : حـ٦ ص ٤٠ بيروت .

(٣) الطبرى : حـ٩ ص ٦٤٣ بيروت .

(٤) المنتظم حـ٥ ص ٦٧ .

(٥) الطبرى : حـ٩ ص ٦٤٨ - ٦٤٩ بيروت ، ابن الأثير : حـ٦ ص ٤٨ بيروت .

ابن طولون - كتب يستأذن أبا أحمد فى القدوم عليه لإعانته فى حرب الزنج - وقدم فعلاً فى جيش كبير من الفراغنه[١] والأترك • الروم والبربر والسودن فى أوائل محرم سنة ٢٧٠ هـ/ يوليو ٨٨٣ م . وكان أبو أحمد قد أرجأ القتال حتى قدومه، وكان للفرقة التى قدم بها لؤلؤ أثر عظيم فى انهاء القتال بفضل شجاعتهم وثباتهم[٢] .

لم يتوقف أمر المشاركة فى قتال الزنج على لؤلؤ فقد تطوع أحمد بن دينار عامل أيذج ونواحيها (من كور الأهواز) مع جمع عظيم من الفرسان كما تطوع ألف رجل من أهل البحرين بقيادة رجل من عبد القيس وهى القبيلة التى ينتمى إليها صاحب الزنج[٣] مما يدل على عدم اقتناعهم بصدق دعوته .

لم يلبث الموفق بما احتمع لديه من قوات إسلامية أن شن هجومًا واسعًا على مواضع الزنج ، واحتشد جيش الزنج للقاء الجيش الزاحف حيث دارت معركة هائلة انهزم فيها الزنج واستولى الجيش الفاتح على مدينة الزنج بأسرها وأطلق سراح من فيها من الأسرى ولاذ صاحب الزنج بالفرار يتبعه بقية قواده إلى نهر السفيانى[٤] ، فتبعهم لؤلؤ مقتحمًا النهر بفرسه يتبعه أصحابه وأخذ يطارد صاحب لزنج حتى أمره أبو أحمد بالعودة .

---

(١) نسبة إلى فرغانه وهى من بلاد ما وراء النهر .

(٢) الطبرى : جـ٩ ص ٦٤٩ - ٦٥٠ بيروت .

لقد كان للؤلؤ فخر قتل صاحب الزنج حتى قيل أنه هو الذى كسب النصر وليس أبو أحمد .

(٣) الطبرى : جـ٩ ص ٦٥٤ بيروت . وقد أمر الموفق أن يخلع عليهم وإقامة الأنزال لهم .

(٤) الطبرى : جـ٩ ص ٦٥٥ - ٦٥٦ بيروت .

وفى أوائل صفر سنة ٢٧٠هـ/ أغسطس ٨٨٣ م بدأ أبو أحمد زحفًا جديدًا وكان الزنج قد عادوا إلى مدينتهم وأقاموا بها ، وفى هذا الهجوم أسر سليمان بن جامع أبرز قواد صاحب الزنج واثنان من قواده الآخرين([1]) ، ثم جاء البشير بقتل على بن محمد صاحب الزنج وحمل أحد أصحاب لؤلؤ رأسه فسجد الناس شكرًا وأمر أبو أحمد أن يكتب إلى أمصار المسلمين بالنداء فى أهل البلاد التى دخلها الزنج .. أن يؤمروا بالرجوع إلى أوطانهم([2]) .

لقد كان لمقتل صاحب الزنج أثر رائع ومؤثر على نفس الموفق الذى خر ساجدًا لله حين قدم غلام لؤلؤ يحمل رأس الثائر الجبار وسجد معه بقية قواده ؛ وطيف برأسه كى يشاهده أولئك الذين نكبوا وأوذوا على يديه سنين طويلة([3]) .

استسلم أثر سقوط المختار حوالى خمسة آلاف زنجى وبقيت جماعة منهم بقيادة درمويه الزنجى أخذت تعيث فى قرى البطيحة تقتل وتسلب متخذة من ذلك وسيلة للعيش دون أن تدرى المصير الذى آل إليه زعيم حركتهم ، وحين سمع درمويه بالخبر طلب الأمان فأجابه الموفق إلى ذلك هو ومن معه([4]) . أما الباقين من الزنج فقد هاموا فى الصحراء يقتلهم الجوع والعطش .

---

(١) المنتظم : حـ٥ ص ٧٠ ، ابن الأثير : حـ٦ ص ٥٢ ويذكر أن ذلك كان أواخر صفر .

(٢) الطبرى : حـ٩ ص ٦٥٩ - ٦٦٠ .

، ابن الوردى : تتمة المختصر فى أخبار البشر حـ١ ص ٢٤٠ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية حـ١١ ص ٤٤ .

(٤) الطبرى : حـ٩ ص ٦٦٠ - ٦٦٢ بيروت .

، ابن الأثير : حـ٦ ص ٥٣ ويذكر أن درمويه أظهر ما كان فى يده من الأموال والأمتعة وردها إلى أربابها .

- ضعف سلطة الوزراء آواخر القرن الثالث الهجرى :

يعتبر ظهـور نظـام الـوزارة[١] فـى العصـر العباسـى[٢] مـن سمـات التطـور الحضارى للدولة الإسلامية . وقد ارتبط هذا النظام منـذ نشـأته بنظـام الخلافـة ، ونما وتطور حسب سلطة الخلفاء وميولهم واتجاهاتهم السياسية[٣] .

وبدأت مسؤلية الوزير وأعماله تتضح مع ظهور هذا المنصـب ، وإن كـانت لم تتبلـور فـى صورتهـا الكاملـة ، لأن العباسـيين فـى بدايـة عهدهـم لم يحـددوا سلطات الوزير ، ومجال نفوذه بصورة واضحة ، وإنمـا اقتصـر الأمـر علـى وضـع أساس نظام الوزارة ، ثم أخذ هـذا النظام يتطور تدريجيـًا ، حيـث أصبـح الوزيـر فى آواخـر العصر العبـاسى الأول يشـرف علـى جميـع الرسـائل الرسميـة ، فضلاً عن إيرادات الدولة ومصروفاتها ، ويختص إلى جـانب ذلـك تعيـين الموظفـين وعزلهم ، واسداء المشورة إلى الخليفة .

---

(١) لم تكن الوزارة مقننة القواعد ، ولا مقررة القوانين فى عهد بنـى أميـة ، وكـان ذوو الأراء من مستشارى الملك يقومون مقام الوزراء وكان الواحد منهم يسمى كاتبًا أو مشيرًا .
ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ص١٨٠ .
، آدم متز : الحضـارة الإسلامية فى القـرن الرابـع الهجـرى جـ١ ص١١٣ ترجمـة : محمد عبد الهادى أبو ريدة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م .

(٢) كان أبو سلمة الخلال أول من تلقب بالوزارة حين قلده أبو العباس السفاح وزارته .
ابـن طباطبـا : الفخرى فى الآداب السـلطانية . ص١٥٥ دار بـيروت للطباعـة والنشـر ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م .

(٣) الفخرى : ص١٥٥ .
، بدر عبد الرحمن محمد : بنو الفرات فى العراق فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى ص١٢ الأنجلو ١٩٨٧م .

وعلى الرغم من السلطات الواسعة التى منحت لبعض وزراء تلك الفترة فإن خلفاء هذا العصر احتفظوا بمكانتهم ، وظلت لهم الكلمة العليا فى إدارة شئون الدولة ، واستطاعوا بما لهم من نفوذ أن يحدوا من سلطة الوزراء ، وكان الوزير عرضة للعزل إذا حاول أن يظهر سلطانه ، أو يتخطى الحدود المرسومة له .

كان من أثر ازدياد نفوذ الأتراك فى مستهل القرن الثالث أن ضعفت سلطة الوزراء ، وقل شأن الوزارة ، وأصبح الوزراء يخشون على أنفسهم من بطش الأتراك ، وليس أدل على ذلك مما يرويه صاحب الفخرى(١) عن عبيد الله ابن يحيى بن خاقان وزير الخليفة العباسى المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧هـ / ٨٤٧ - ٨٦١م) وقد اشتهر هذا الوزير بالتعفف وكرم الأخلاق . حتى أنه رفض أن يأخذ مائتى ألف دينار وثلاثين سفطا من الثياب المصرية حملها إليه صاحب مصر ، وأمر بحملها إلى خزانة الديوان(٢) .

وقد حاز هذا الوزير محبة الجند ، فلم يخالفوا له أمرا ، ومن مظاهر حبهم إياه حمايتهم له عند مقتل المتوكل واجتماعهم على بابه وقولهم له : « أنت أحسنت إلينا فى حال وزارتك وأقل ما يجب علينا أن نحتفظ بك ونحرسك فى مثل هذه الفتنة »(٣) .

كان الخلفاء فى تلك الفترة غالبًا ما يختارون وزرائهم من بين الكتاب وأبناء الوزراء ، ويرجع ذلك إلى ما تتمتع به هذه الطبقة من خبرات فى الشئون الإدارية

---

(١) ابن طباطبا ص٢١٧ ، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى جـ٣ ص٤٣٥ .

(٢) وبمجاملة منه فتح أحد الأسفاط وأخذ منها منديلاً لطيفًا وضعه تحت فخذه . ابن طباطبا ص٢١٧ .

(٣) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك جـ١١ ص٢٧ ، ص٦٧ ، ص٨٦ بيروت .

والمالية ، مما يؤهلها لشغل منصب الوزارة ، حتى انحصرت فى تلك الفترة فى أسر معينة مثل أسرة آل خاقان[١] ، التى تولى منها منصب الوزارة أربعة وزراء فى سبعين عامًا ، وأسرة بنى الفرات[٢] ، التى تقلد منها الوزارة أربعة وزراء فى خمسين سنة ، كذلك أسرة بنى وهب[٣] ، التى توارث عشرة من أفرادها أرقى مناصب الدولة وتقلد أربعة منهم منصب الوزارة .

ويمكننا القول أنه ابتداء من خلافة المنتصر (٢٤٧ - ٢٤٨ - ٨٦١ - ٨٦٢م) بدأت الوزارة تدخل فى دور جديد ، فحل محل كبار الوزراء ذوى الثقافة العالية والشخصية القوية وزراء لا يتميزون بالكفاية فى إدارة شئون الدولة ، باستثناء قلة كان لها دور لا يستهان به فى تسيير أمور الدولة ، ويظهر هذا الانتقال بصورة واضحة بعد أن ولى أحمد بن الخصيب الوزارة للمنتصر بن المتوكل ، الذى كان مقترًا فى صناعته مطعونًا فى عقله على حد قول صاحب الفخرى[٤] .

ازدادت سلطة الأتراك فى عهد الخليفة المستعين (٢٤٨ - ٢٥٢هـ / ٨٦٢ - ٨٦٦م) وصار الوزير يعين من قبلهم ، فإن وافق هواهم رضوا عنه ، وأن خالفهم فى شئ عزلوه وأقاموا غيره ، فلم يتعرضوا فى أول عهد هذا الخليفة

---

(١) محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ص٣٧ .

(٢) وصف ابن طباطبا فى كتابه الفخرى ص٢٣٨ مطبعة المعارف ١٩٢٣م . بنى الفرات بقوله : « وبنو الفرات من أجل الناس فضلاً وكرمًا ونبلاً ووفاء ومروءة » .

(٣) يذكر ابن طباطبا ص ٢٦٦ عن بنى وهب « أنهم من رؤساء الناس وحذاقهم وفضلائهم وكرمائهم ، وكانت دولتهم فاخرة ، وأيامهم مشرقة » .

(٤) ابن طباطبا ص٢١٧ .

لوزيره ابن الخصيب ، لكنهم ما لبثوا أن غضبوا عليه واستصفوا أمواله[١] . ولم ينعم بالوزارة أكثر من شهرين .

أدى ازدياد نفوذ الأتراك إلى تدخلهم فى شئون الوزارة ، وليس أدل على ذلك ما حدث مع أبى صالح عبد الله بن محمد بن يزداد وزير الخليفة المستعين ؛ الذى كان من أشهر كتاب عصره ، وأقدرهم فى إدارة أمور الدولة ، واستطاع أن يضبط الأموال ويضيق على الأمراء ، فهددوه بالقتل ، وأرغموه على الهرب ، فلم يستوزر المستعين بعده أحد ، وإنما كان يعين كتابًا يقومون بأعمال الوزراء[٢] .

وقد تجلى تدخل الأتراك فى شئون الوزارة بصورة واضحة منذ عهد الخليفة المعتز (٢٥٢ - ٢٥٥هـ / ٨٦٦ - ٨٦٩م) ، كما ضاعت هيبة الوزارة لضعف شأن الخلافة ، فكان على الوزير أن يلبى رغبات كبار الأتراك ليبقى فى منصبه وإلا عزل وتعرض للأساءة إليه . وكان من بين الوزراء الذين تعرضوا لنقمة الأتراك أبو جعفر أحمد بن اسرائيل الأنبارى[٣] وزير المعتز ، فقد أساء إليه الأتراك وتربصوا به وقبضوا عليه واستصفوا أمواله .

ولما ولى المعتمد الخلافة ، واستبد بالأمور أخوه أبو أحمد الموفق طلحة[٤] ضعف شأن الوزارة ، واستمر الحال على ذلك حتى عهد الخلفية المقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠هـ / ٩٠٨ - ٩٣٣م) الذى ساءت أحوال الخلافة العباسية فى أيامه ،

---

(١) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ٣ ص٢٨٣ بولاق ١٢٨٤هـ (سبعة أجزاء) .

(٢) الفخرى : ص٢٢٠ .

، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى جـ٣ ص٤٣٥ .

(٣) الفخرى ص٢٢٢ .

(٤) الفخرى : ص٢٢٦ - ص٢٢٧ .

واضطربت أمور دولته من جراء السياسة التى اتبعها فى تعيين وزرائه يؤيد ذلك قول المسعودى[١] « لم يقف على أحوال الملك ، فكان الأمراء والوزراء والكتاب يديرون دفة الأمور . ليس له فى ذلك حل ولا عقد ، ولا يوصف بتدبير ولا سياسة » .

– بنو الفرات وبداية ظهورهم :

لما مات الموفق اجتمع القواد وبايعوا ابنه أبا العباس بولاية العهد بعد المفوض ابن المعتمد ولقب المعتضد بالله ، واجتمع عليه أصحاب أبيه ، وتولى ما كان أبوه يتولاه[٢] . ويروى المسعودى[٣] تفصيل ذلك فيذكر أن أبا العباس كان محبوسًا فلما خرج أبوه الموفق إلى الجبل خلفه بدار الخلافة الوزير إسماعيل بن بلبل ، وكان مضيقًا عليه إلى أن وافى الموفق من آذربيجان عليلاً ، فوصل بغداد يوم الخميس ثانى صفر سنة ٢٧٨هـ / ١٦ مايو ٨٩١م[٤] . فلما اشتدت علة الموفق وأرجف بموته وجه إسماعيل بن بلبل إلى « بكتمر » وكان موكلاً بالمعتضد بالمدائن[٥] أن ينصرف بالمعتضد والمفوض إلى الله (ابن المعتمد) ، إلى بغداد ، فدخلها فى يومه ، واتصل بإسماعيل صلاح الموفق ، فانحدر ومعه المعتضد والمفوض ، على أنه لم يلبث أن اضطرب القواد والموالى ، وانتهبت دار إسماعيل بن بلبل ، وفتحت الجسور

---

(١) التنبيه والإشراف ص٣٢٨ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ٦ ص٦٩ بيروت حوادث سنة ٢٧٨هـ .

(٣) مروج الذهب : جـ٢ ص٤٩٢ – ص٤٩٣ طبعة التحرير .

(٤) يذكر صاحب كتاب التوفيقات الإلهامية ص٣١٠ أن أول صفر السبت ١٥ مايو ٨٩١م .

(٥) على أقل من مسيرة يوم . مروج الذهب جـ٢ ص٤٩٢ .

وأبواب السجون وتوفي الموفق ليلة الخميس لثلاث يقين من صفر سنة ٢٧٨هـ فلما مات الموفق قام المعتضد بأمور الناس وخلع المفوض من ولاية العهد ، وقام إسماعيل بن بلبل في الوزارة بعد شغب كثير ببغداد(١) .

لم يلبث أن قبض علي(٢) إسماعيل بن بلبل(٣) ووجه إلى عبد الله بن سليمان بن وهب فأحضر وخلع عليه ورد إليه أمر كتابه وذلك يوم الثلاثاء لثلاث بقين من صفر سنة ٢٧٨هـ / ١٠ يونيو ٨٩١م(٤) . وطلب بني الفرات فاختفوا(٥) .

بويع أبو العباس أحمد بن طلحة المعتضد با لله صبيحة الليلة التي مات فيها المعتمد على ا لله عمه يوم الثلاثاء لاثنى عشر ليلة بقيت

---

(١) مروج الذهب جـ٢ ص٤٩٢ - ص٤٩٣ .

(٢) كان إسماعيل بن بلبل مكروهًا من الناس بسبب تشدده معهم في جباية الأموال التي كان ينفقها على صنائعه من بني شيبان فثقل ذلك عليهم وكثر الدعاء عليه ، وقد عذب عذابًا شديدا ، إذ جعل في عنقه غلاً فيه رمانة حديد وزنها مائة وعشرون رطلاً ، وألبس جبة صوف وعلق معه رأس حمار ميت فلم يزل على ذلك حتى مات ، ودفن بغله وقيوده ، وأمر المعتضد بضرب جميع الآنية التي كانت في خزائنه وفرقت على الجند .
المسعودي : مروج الذهب جـ٢ ص٤٩٣ .

(٣) المصدر السابق : جـ٢ ص٤٩٣ .

(٤) مروج الذهب جـ٢ ص٤٩٣ انظر أيضًا
Harold Bowen: The life and Times of Ali IBN isa p.27
(Cambridge 1929).

(٥) ابن الأثير : الكامل جـ٦ ص٦٩ بيروت .

من رجب سنة ٢٧٩هـ / ٢٦ أكتوبر ٨٩١م . ولما أفضت الخلافة إلى المعتضد بالله سكنت الفتن وصلحت البلاد ، فولى غلامه بدر الشرطة وعبيد الله بن سليمان الوزارة(١) .

على الرغم مما كان يتمتع به عبيد الله بن سليمان من أمانة وتقى وورع إلا أنه لم تكن لديه القدرة على إدارة شئون الدولة مثلما كان لابن بلبل ، الذى عمل على تنمية موارد السواد ، التى تضاعفت فى سنة واحدة . لذا فقد كان عبيد الله بن سليمان فى موقف لا يحسد عليه ، إذ كان مطالبًا بقائمة كبيرة من المصروفات التى لا قدرة له على الوفاء بها . لذلك لجأ إلى مساعديه ، الذين لم يجدوا حلاً للمشكلة إلا أن يطلب من الخليفة العفو عن أحمد وعلى ابنى الفرات ، اللذان كانا فى السجن ، عقب فتنة ابن بلبل ، وبإمكانهما أن يكشفا له الطريقة التى يمكن أن يخرج بها من أزمته المالية(٢) .

نشأ بنو الفرات فى قرية من إقليم النهروان الأعلى يقال لها بابلك (بابلى) قريبة من صريفين(٣) ، وكان أبوهما محمد بن موسى ، تولى أعمالاً جليلة ،

---

(١) مروج الذهب جـ٢ ص٤٩٥ ، الكامل جـ٦ ص٧٣ .
وقد عمل عبيد الله بن سليمان كوزير للمعتمد بعد وفاة والده سليمان .
Harold Bowen: p. 28.

(٢)كان أحمد وأخوه على ابنى الفرات من المؤيدين لإسماعيل بن بلبل ، واللذان استترا عقب القبض على نصيرهم ، إلا أنه لم يلبث أن كشف أمرهم وألقيا فى السجن .
Harold Bowen: Ali IBN isa p. 29.

(٣) هلال بن المحسن الصابى : تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء ص١١ - ١٢ .
تحقيق / عبد الستار أحمد فراج دار أحياء الكتب العربية .

وأكبر أولاده أبو العباس أحمد[١] .ولا نعرف على وجه التحديد عمر أحمد ، غير أن عليا الأصغر كان فى الثامنة والثلاثين وقد تركوا أباهم فى سعة من العيش قبل أن يعملوا فى خدمة الدولة ، ولم يقطعوا الصلة بأهليهم هناك ، فكانوا يدعونهم للقدوم إلى بغداد كلما دعت الحاجة إلى ذلك[٢] .

كان أبو العباس أحمد بن الفرات أخو أبى الحسن على اكتب أهل زمانه واضبطهم للعلوم والآداب[٣] ، وعينه إسماعيل بن بلبل مشرفًا على الديوان (ديوان السواد) وكان ابن بلبل يعتبر الأخوين أحمد وعلى من أقدر العمال فى وزارته[٤] .

وقام أحمد بن الفرات بعمل نائب الوزير ، ثم أصبح اليد اليمنى لعبيد الله ابن سليمان ، وصار لأحمد وأخيه على سلطة مطلقة حتى وصف عبيد الله الوزير بالببغاء ، إذ أن كل كلمة كانت تصدر منه بإيحاء من أحمد وعلى ، وارتفعت منزلة أحمد لدى المعتضد ، حينما أشار عليه

---

(١) وأبو عبد الله عيسى من خيار المسلمين والزهاد جاور بمكة ، وواصل بها الصوم والصلاة ، ومات فى وزارة أخيه أبو الحسن على .

الصابى : تحفة ص١٢ ، الهمذانى : تكملة تاريخ الطبرى ص٢٤٦ .

ملحق بالجزء الحادى عشر من تاريخ الطبرى طبعة دار سويدان - بيروت .

(2) Harold Bowen: Ali IBN isa p. 30.

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٣ ص٤٢٤ . تحقيق / إحسان عباس .

وللبحترى قصيدة فيه أولها :

بت أبدى وجدًا واكتم وجدًا   لخيال قد بات لى منك يهدى

انظر ديوان البحترى جـ١ ص٥٦٩ .

(4) Harold Bowen: p. 30.

بالعدول عن بعض مشروعاته الإنشائية والتى كان من الممكن أن تضيع فيها الأموال بلا جدوى(١) .

أصبح أحمد بن الفرات مشرفًا على ديوان المالية ، وأظهر كفاية فى إدارته ، وتضاعف الدخل أكثر مما كان عليه منذ مائتى سنة ، ولكى يسهل مهمة الإشراف على هذا الديوان الواسع أنشأ ديوانًا جديدًا سماء « ديوان الدار » ألحق به ابنه وبعض المساعدين وعلى رأسهم محمد ابن داود وابن أخيه على بن عيسى(٢) .

استمرت رئاسة أحمد بن الفرات لديوان المشرق وديوان المغرب حتى شوال من سنة ٢٨٦هـ / أكتوبر / نوفمبر ٨٩٩م حين قلد المعتضد وعبيد الله بن سليمان ديوان المشرق محمد بن داود ابن الجراح وديوان المغرب على بن عيسى(٣) .

وفى سنة ٢٨٨هـ / ٩٠١م توفى عبيد الله بن سليمان ، فولى المعتضد ابنه أبا الحسن القاسم بن عبيد الله الوزارة(٤) ، ولم يلبث المعتضد أن توفى فى ربيع الآخر سنة ٢٨٩هـ / فبراير - مارس ٩٠٢م فجلس القاسم ابن عبيد الله فى

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٣ ص٤٢٢ .
Harold Bowen: p. 30.
(2) Harold Bowen: Ali IBN isa p. 31-32.
(٣) الطبرى : الأمم والملوك جـ١٠ ص٧٣ حوادث سنة ٢٨٦هـ .
، ابن الأثير : الكامل جـ٦ ص٩٣ بيروت .
(٤) ابن الأثير : جـ٦ ص٩٩ .

دار السلطان فى الحسنى(١) ، وأذن للناس بالدخول ، فعزوه فى المعتضد وهنئوه بما حدد له من أمر المكتفى ، وتقدم الكتاب والقواد فى تحديد البيعة للمكتفى با لله فبايعوا(٢) .

وفى رجب سنة ٢٩٠هـ / يونيو ٩٠٣م خلع على ابنى الوزير القاسم ابن عبيد الله ، فولى الأكبر منهما ضياع الولد والحرم والنفقات ، والأصغر كتابة أبى أحمد بن المكتفى ، وكانت هذه الأعمال إلى الحسين بن عمرو النصرانى(٣) .

علا شأن القاسم بن عبيد الله فى أيام المكتفى (٢٨٩ - ٢٩٥هـ / ٥٠٢ - ٩٠٨م) ، فلما أدركته الوفاة أشار على المكتفى بالعباس بن الحسن فاستوزره ويقول الصولى : من أعجب ما شاهدت من تقلب الدنيا وتصاريف الأمور أننى رأيت العباس بن الحسن فى أول الأربعاء قبل أن يموت الوزير القاسم بن عبيد الله وقد حضر إلى داره وقبل يد ولده ، ثم فى آخر اليوم المذكور مات القاسم وخلع المكتفى على العباس بن الحسن واستوزره ، فجاء ولد الوزير القاسم فقبل يده(٤) .

ومع ما تمتع به العباس بن الحسن من دهاء ومكر وأدب وافر ، فقد كان ضعيفًا فى الحساب ، ولم تكن سيرته محمودة ، وكان عاكفًا على لذاته والأمور مهملة وكان يقول لنوابه بالأعمال أنا أوقع إليكم وأنتم افعلوا ما فيه المصلحة(٥) .

---

(١) الحسنى : قصر فى دار الخلافة منسوب إلى الحسن بن سهل ، وهو المعروف بالتاج وبه منازل الخلفاء ببغداد . ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ٢ ص٢٦٠ بيروت .

(٢) الطبرى : جـ١٠ ص٨٦ - ص٨٧ .

(٣) وكان القاسم بن عبيد الله اتهم الحسين بن عمرو أنه سعى به إلى المكتفى ، خاصة وأن الحسين بن عمرو كاشف القاسم بن عبيد الله بحضرة المكتفى ، فلم يزل القاسم يدبر عليه ويغلظ قلب المكتفى حتى أمر بعزله .
الطبرى : جـ١٠ ص٩٩ - ص١٠٣ .

(٤) ابن طباطبا : الفخرى ص٢٣٢ - ٢٣٣ .

(٥) نفس المصدر : ص٢٣٣ .

لما ثقلت العلة على الخليفة المكتفى فى عـام ٢٩٥هـ / ٩٠٧م كـان الوزيـر أبو أحمد العباس بن الحسن راكبًا مـن داره يومًـا ومعـه كمـا جـرت العـادة أحـد الكتاب الأربعة(١) الذين يتولون الدواوين ، فشـاوره فيمـن يرشـح للخلافـة بعـد المكتفى ، وكان الوزير يميل إلى ابن المعتز ، فأجابه الكاتب ، وهو أبو الحسن على بن محمد ابن الفرات : أنه يجب ألا يولى هذا الأمر من عرف دار هذا ونعمة هذا وبستان هـذا ، ومن لقى الناس ولقوه وعرف الأمور وحنكته التجارب ، فقال الوزير : صدقـت وا لله يا أبا الحسن ، فمن نقلد ؟ فأشار ابن الفرات بتقليد جعفر بن المعتضد (الخليفة المقتـدر) « فأنه صبى لا يدرى أين هو وعامة سروره أن يصرف من المكتب » فمالت نفس الوزير إلى ذلك(٢) ، وعمل على تقليد المقتدر وكان صبيًا فى الثالثة عشر(٣) .

لم يلبث الخليفة المكتفى أن توفى سنة ٢٩٥هـ / ٩٠٨م(٤) وبويـع جعفـر ابن المعتضد ولقب المقتدر با لله(٥) ، فلما بويع استصغره الوزير أبـو أحمـد العبـاس

---

(١) وهم أبو عبد الله بن محمد بن داود بن الجراح ، وأبو الحسن محمد بن عبدان ، وأبو الحسن على بن محمد بن الفرات وأبو الحسن على ابن عيسى .

مسكويه : تجارب الأمم حـ١ ص٢ تصحيح ونشر هـ.ف. أمـدروز مطبعـة شـركة التمـدن الصناعية ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م ، ابن الأثير : الكامل حـ٦ ص١١٩ بيروت .

(٢) يضاف إلى ذلك وصية المكتفى ، فأنه أوصى لما أشتد مرضه بتقليد أخيـه جعفـر الخلافـة .

مسكويه : حـ١ ص٣ ، ابن الأثير : حـ٦ ص١١٩ .

(٣) آدم متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى حـ١ ص١٢ .

(٤) كانت خلافته ست سنين وستة أشهر وتسعة عشر يومًا وكان عمـره ثلاثًـا وثلاثـون سـنة وأمه أم ولد تركية اسمها جيجك .

ابن الأثير : حـ٦ ص١١٨ - ١١٩ . بيروت .

(٥) ولد سنة ٢٨٢هـ وكنيته أبو الفضل وأمه أم ولد يقال لها « شغب » .

الطبرى : الأمم والملوك حـ١٠ ص١٢٩ بيروت .

ابن الحسن ، وعزم على خلعه وتقليد الخلافة أبا عبد الله محمد بن المعتمد على الله .... فراسله فى ذلك واستقر الحال وانتظر الوزير قدوم « بارس »[١] حاجب إسماعيل بن أحمد السامانى صاحب خراسان ، وكان قد أذن له فى القدوم ، وأراد الوزير أن يستعين على ذلك ويتقوى به على غلمان المعتضد ، فتأخر « بارس » واتفق أنه وقع بين أبى عبد الله بن المعتمد وبين ابن عمروية صاحب الشرطة منازعة فى ضيعة مشتركة بينهما فأغلظ له ابن عمروية فغضب ابن المعتمد غضبًا شديدًا وأغمى عليه وتوفى فى اليوم التالى فأراد الوزير البيعة لأبى الحسين ابن المتوكل فمات أيضًا بعد خمسة أيام وتم أمر المقتدر[٢] .

---

(١) هو « بارس الكبير » حاجب إسماعيل بن أحمد ، وكان والى طبرستان حين توفى إسماعيل سنة ٢٩٥هـ وولى ابنه أحمد بن إسماعيل الذى كانت علاقته سيئة ببارس فسار إلى طبرستان فجمع « بارس » أموالاً كثيرة من خراج الرى وطبرستان وجرجان واستولى عليها ، وكتب « بارس » إلى الخليفة المكتفى يستأذنه فى المسير إليه فأذن له فاتجه إلى بغداد فى أربعة آلاف فارس فوصلها بعد وفاة المكتفى وتولى المقتدر الخلافة فطمع فى أمواله فسمه فمات .

الكرديزى : زين الأخبار ص١٤٨ فارسى ، ابن الأثير : الكامل جـ٦ ص١١٨ ، فاميرى : تاريخ بخارى ص١١٢ .

(٢) ابن الأثير : جـ٦ ص١١٩ - ١٢٠ .

الدولة البويهية

(أ) ظهــور بنى بويه :

كان من أثر استفحال نفوذ الأتراك أن ضعفت الخلافة العباسية بحيث لم يعد للخليفة العباسى منذ بداية القــرن الرابع الهجــرى (العاشر الميلادى) سلطان الا على بغداد وضواحيها(١) ، مما أدى الى استقلال بعض الولاة بولاياتهم ، وعدم استقرار الأمور فى ولايات الدولة العباسية ، فقامت فى طبرستان(٢) سنة ٣٠١ هـ (٩١٣ — ٩١٤ م) ثورة بقيادة الحسن بن على الزيدى(٣) الملقب بالأطروش(٤) ، الذى

---

(١) محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، ص ٤٩ .

(٢) كانت منطقة الجبال العالية الممتدة فى حذاء الساحل الجنوبى لبحر قزوين مما فى شرق قومس وشمالها تعرف بطبرستان ، و« طبــر » فى لغة أهل تلك البلاد معناها « الجبل » و« ســتان » بمعنى ناحية ، فطبرستان تعنى ناحية الجبل أو بلاد الجبل . لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤٠٩ ، ترجمة كوركيس عواد وبشير فرنسيس .

(٣) هو الحسن بن على بن محمد بن على بن ابى طالب . المسعودى : مروج الذهب جـ ٤ ، ص ٢٩٤ وجاء فى دائرة المعارف الاسلامية المجلد الثانى ص ٣٠٩ مادة الأطروش : أن اسمه : أبو محمد الحسن بن على بن الحسن على بن عمر بن زين العابدين . ولد بالمدينة حوالى سنة ٢٣٠ هـ (٨٤٤ م) وتوفى عام ٣٠٤ بمدينة آمل وهو عامل على طبرستان ، وكان يلقبه الزيدية وأهل الدين بالامام الناصر الكبير .

(٤) كانت طبرستان هى مركز الأطروش ومنها كان يقوم بجولاته فى الاقاليم المجاورة ، وقد حدث أن ذهب الى خراسان ودخلها سرا يدعــو الناس اليه فسجنه محمد بن عبد الله الخجستانى ونالته مكاره كثيرة ثقل فيها سمعه ومن ثم لقب بالأطروش . =

دعا أهالى طبرستان وبلاد الديلم الى الاسلام(٥) ، فأسلم على يده عدد كبير على المذهب الزيدى(٦) ، واستطاع أن يستميلهم الى جانبه ، وظلوا مخلصين له طوال حياته(٧) كذلك نجح الحسن بن على الزيدى فى القضاء على النظام الاقطاعى الذى كان سائدا فى بلاد الديلم . وظلت طبرستان بيد أسرته حتى سنة ٣١٤ هـ (٩٢٧ م) (٨) حين فتح مرداويج بن زيار(٩) الديلمى هذا الاقليم وأسس الدولة الزيارية التى امتد نفوذها من غربى ايران حتى الاهواز(١٠) .

هلال بن الصابى : المنتزع من التاجى ورقة (٥) فيلم بدار الكتب رقم ٢٣٥ ، النويــرى : شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب : نهاية الأرب فى فنون الادب جـ ٢٣ ، ص ٩٩ ، مخطوط بدار الكتب رقم ٥٥١ معارف عامة .

(٥) كان بعض اهالى طبرساتن يعبد الأوثان ويدين بالمجوسية ، وقد اقام الحسن بن على الزيدى ثلاث عشرة سنة بينهم .

انظر : انولد : (سيرتوماس) : الدعوة الى الاسلام ص ١٨٢ ترجمه الى العربية حسن ابراهيم حسن وعبد المجيد عابدين واسماعيل النحراوى مكتبة النهضة العربية .

(٦) محمد حسين الزبيدى : العراق فى العصر البويهى ، ص ٢٩ .

(٧) عبد العزيز الدورى : دراسات فى العصور العباسية المتاخرة ، ص ٧٢ — ٧٣ ، بغداد ١٩٤٥ .

(٨) يذكر حمزة الاصفهانى أن وفاة الأطروش كانت فى شعبان سنة ٣٠٤ هـ (يناير ٩١٧ م) ، تاريخ سنى ملوك الارض ، ص ١٧٥ ، مطبعة الحياة ، بيروت .

Ibn Isfandiyar : History of Tabaristan. p. 204 (London 1905).

(٩) مرداويج بن زيار : احد قواد اسفار (الأصفر) بن شيرويه أمير قزوين ، دفعته اطماعه الى الثورة على اميره واستولى بمعونة شيعته من الديلم الجبليين على قزوين واستولى على الرى واصفهان من يوسف بن أبى الســاج (والى العباسيين) ، كما استولى على طبرستان وجرجان وهمذان . ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : جـ ٨ ، ص ٦٦ ، ٦٧ ، المطبعة الكبرى ١٢٩٠ هـ ،

حسن احمد محمود : الاسلام والحضارة العربية فى آسيا الوسطى ، ص ٦٩ .

(١٠) حسن احمد محمود : نفس المرجع ، ص ٦٩ .

عبد العزيز الدورى : نفس المرجع ، ص ٧٣ ، ٢٤٣ .

لم يقنع مرداويج بن زيار بتأسيس تلك الدولة التى اتسعت رقعتها ، بل أراد أن يستولى على بغداد ويبطل دولة العرب(١١) حتى أن الخليفة المقتدر العباسى (٢٩٥ — ٣٢٠ هـ) (٩٠٨ — ٩٣٢ م) لم يجد بدا من الاعتراف بسلطانه ، شأنه فى ذلك شأن المتغلبين على بعض ولايات الدولة الاسلامية ، وأقره على ما بيده من بلاد ، بعد أن تعهد مرداويج بدفع جزية سنوية(١٢) .

كان بنو بويه من بلاد الديلم أو من بلاد جيلان التى تقع فى الجنوب الغربى من بحر قزوين(١٣) وكان جد هذه الأسرة بويه بن فناخسرو الملقب بأبى شجاع صيادا فقيرا ويروى بعض المؤرخين أنهم ينتسبون الى كسرى فارس « بهرام جور بن يزدجرد »(١٤) بينما يذكر البعض الآخر بأنهم من ولد يزدجرد بن شهريار(١٥) ، وهناك من ينسبهم الى العرب فيزعم أن جدهم الأعلى هو « بهرام بن الضحاك بن الابيض

---

(١١) ابن الاثير : جـ ٨ ، ص ٦٥ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص ٢٥٣ ، مطبعة الموسوعات ١٣١٧ هـ .
كان مرداويج فارسى الأصل متعصبا للفرس ، وقد جعل عسكره صنفين منهم جيلى وديلم وهم خواصه واهل بلده الذين فتح بهم الرى ونواحيها ، وصنف أتراك وأهل خراسان .
ابو بكر الصولى : أخبار الراضى بالله والمتقى لله ، ص ٦٢ ، نشر ج . هيورث . دن ، مطبعة الصاوى ١٣٥٤ هـ — ١٩٣٥ م .

(١٢) ابن الاثير : نفس المصدر والصفحات ، حسن احمد محمود : الاسلام والحضارة العربية ، ص ٧٠ .

(١٣) محمد حسين الزبيدى : العراق فى العصر البويهى ، ص ٢٩ .

(١٤) هلال بن الصابى : المنتزع من التاجى ورقة (١) ، وقد أيد هذا الرأى ابن الاثير جـ ٨ ص ٩١ ، بينما تورد دائرة المعارف الاسلامية : مادة بويه . أنهم لا ينتسبون الى الملك الساسانى « بهرام جور » بل الى كبير وزرائه « مهرنوس » .

(١٥) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدا والخبر جـ ٤ ص ٤٢٦ بولاق ١٢٨٤ هـ .

ابن معـــاويه بن الديلم بن باســـل بن ضبة ابن أد »(١٦) • الا أن القلقشندى يضعف هذه النسبه(١٧) ، وينفى حمزة الأصفهانى (المتوفى سنة ٣٧١ هـ) نســبتهم الى ملوك الساسانيين والعرب وينسبهم الى الديلم(١٨) •

انضم بويه الى الأطروش ، ووجد فى معـــاركه متنفسا لمواهبه الحربية ، فاكتسب بذلك مكانة خاصة لديه • ويبدو أن اســلام بويه واعتناقه مذهب الزيدية كان ســابقا على قدوم الأطروش الى بلاد الديلم • يتضح هذا من أسماء ولديه على والحسن وكل منهما ولد قبل وجود الأطروش ببلاد الديلم(١٩) •

ذكر ابن الجوزى(٢٠) والذهبى(٢١) أن بويه خرج بأولاده الى خراسان مغاضبا « لما كان ابن كاكى » بعد أن ظلت العلاقات بينهما وطيدة حتى أواخر سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٥ م ، ثم ساءت بسبب الحرب التى شنها أبو الحسن بن كاكى ضد على بن بويه(٢٢) ، فاعتزل بويه خدمة « ما كان » وذهب بأولاده الى خراسان •

استطاع أولاد بويه على والحســن وأحمــد ــ وكانوا جنودا

---

(١٦) أبو الريحان البيرونى : الآثار الباقية عن القرون الخاليــة ص ٣٨ . نشر ادوارد سخاو ليبزج ١٨٧٦ م واعادت طبعه مطبعة المثنى ببغداد سنة ١٩٢٣ م •

(١٧) صبح الأعشى فى صناعة الانشا جـ ١ ص ٢٦٧ •

(١٨) نسبهم الى قبيلة اسمها « شيرذيل آوندان »
تاريخ سنى ملوك الأرض ص ١٧٥
، عبد العزيز الدورى ، رداسات فى العصور العباسية ص ٢٤٤

(١٩) النويرى : نهاية الأرب فى فنون الادب جـ ٢٤ ، ص ٢٦٨ مخطوط بدار الكتب رقم ٦٩٩ •

(٢٠) المنتظم فى اخبـــار الملوك والامم جـ ٦ ص ٢٠٨ حيــدر أباد الدكن ١٣٥٧ هـ •

(٢١) تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام جـ ١٨ ص ١٤٠ مخطوط بدار الكتب رقم ٣٩٦ تاريخ

(٢٢) Ibn Isfandiyar : History of Tabaristan. p. 210.

مغامرين — أن يصلوا الى مراكز متقدمة فى جيش « ما كان بن كاكى » الديلمى لحنكتهم العسكرية ، غير أن « ما كان » لم يلبث أن حلت به الهزيمة على يد مرداويج بن زيار ، فلما رأى على بن بويه وأخوه الحسن ما حل « بما كان » من الهزائم أمام مرداويج(٢٣) ، استأذناه فى ترك خدمته قائلين « نحن فى جماعة وقد صرنا ثقلا عليك وعيالا وأنت مضيق ، والأصلح لك مفارقتنا اياك لنخفف عنك مؤنتنا ويقع كلنا على غيرك ، فاذا تمكنت عاودناك »(٢٤) .

فارق على بن بويه وأخوه الحسن ومعهما بعض القواد « ما كان ابن كاكى » وانضموا الى مرداويج بن زيار بطبرستان ، فأكرمهم وأحسن اليهم(٢٥) ، وأراد أن يكافئهم على انضمامهم اليه وأن يستفيد من جهودهم ، فأسند اليهم بعض الأعمال ، وكان من نصيب على بن بويه ولاية الكرج(٢٦) ، ولما كان من المحتم أن يمر على بن بويه ومن معه من القواد على الرى أولا ، حيث كان وشمكير بن زيار (أخى مرداويج) ومعه عبد الله الحسين بن محمد الملقب بالعميد(٢٧) وزيره ومستشاره ، فقد اتبع على بن بويه سياسة حكيمة قبل توليه أمور

---

(٢٣) التحق ابناء بويه بجيش « ماكان » فى وقت تحسن العلاقات بين « ماكان » ومرداويج بن زيار منذ أن اتفقا على قصد أسفار بن شيرويه ، ثم ساءت العلاقات بين « ماكان » ومرداويج بعد أن قتل أسفار وسار مرداويج الى « ماكان » بجيوشه فهزمه .

مسكويه ، تجارب الامم ج ٥ ص ٢٧٥ ، ابن الاثير ج ٨ ص ٩٢

(٢٤) مسكويه : ج ٥ ص ٢٧٧ ، ابن الاثير : ج ٨ ص ٩٢

(٢٥) مسكويه : ج ٥ ص ٢٧٧ .

(٢٦) الكرج : بفتح أوله وثانيه تقبين همذان واصفهان وهى الى همذان اقرب وبين الكرج وهمذان نحو ثلاثين فرسخا ، وهى التى نسميها « جورجيا » الآن .

ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ٧ ص ٢٣٠ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقة ص ٢١٦ .

(٢٧) وهو والد الوزير والكاتب أبى الفضل بن العميد وزير ركن الدولة بن بويه فى فارس .

ابن الاثير : ج ٨ ص ٩٢ .

الكرج ، فأحسن الى أبى عبد الله الحسين (العميد) ، ونجح فى اقامة صداقة متينة معه(٢٨) ، وكان لذلك أثره فى نفس مرداويج الذى ساورته الشكوك من ناحية هؤلاء القواد وخشى عدم ولاءهم له(٢٩) ، وأرسل الى أخيه وشمكير يأمره بمنع هـؤلاء القواد من الخـروج من الرى وردهم اليه(٣٠) ، غير أن على بن بويه تمكن بمساعدة (العميد) له من الوصول الى ولايته والفوز بها(٣١) .

لما أحس مرداويج بالخطر الذى يتهدده من ناحية على بن بويه ، بعث جماعة من القواد لمحاربته ، فاستمالهم على بن بويه اليه ، الأمر الذى أثار مرداويج ، فكتب اليه يستدعيه ، فماطله الى أن جبى ضرائب البلاد التى يتولى حكمها(٣٢) ، ثم فارقها الى أصـبهان فاسـتولى عليها(٣٣) ، ثم لم يلبث أن رحل عنها بعد أن جبى أموالها شهرا(٣٤) وتوجه الى أرجان(٣٥) واستولى عليها سنة ٣٢١ هـ (٩٣٣ م) من غير

---

(٢٨) مسكويه : جـ ٥ ص ٢٧٨ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ٩٢

(٢٩) وذلك لقرب عهدهم بصحبة عدوه « ماكان بن كالكى » .
النويرى : نهاية الارب جـ ٢٤ ص ٢٧٨ (مخطوط)

(٣٠) مسكويه : جـ ٥ ص ٢٧٨ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ٩٢ .
وكانت الكتب التى تصل الى وشمكير تعرض أولا على العميد ، فيقف عليها ، ثم يعرض على وشمكير جملها ، فلما علم العميد بكتاب مرداويج الى أخيه ، تقدم سرا الى على بن بويه ليبادر بالاسراع الى ولايته ، وفى اليوم التالى عرض الرسالة على وشمكير ، فأمر برد على بن بويه الذى كان على مرحلة بعيدة من الرى .
ابن الاثير : جـ ٨ ص ٩٢ .

(٣١) مسكويه : جـ ٥ ص ٢٧٨ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ٩٢ .

(٣٢) مقدار ما جباه منها خمسمائة الف درهم .

(٣٣) مسكويه : جـ ٥ ص ٢٧٧ — ص ٢٧٩ .
ابن الاثير : جـ ٨ ص ٩٣ .

(٣٤) يذكر النويرى : نهاية الارب جـ ٢٤ ص ٢٧٠ أن على بن بويه مكث بأصبهان شهرا ويذكر ابن الاثير : جـ ٨ ص ٩٣ . انه جباها شهرين .

(٣٥) ارجان : مدينة كبرى تقع على بعد ستين فرسخا من شيراز والأهواز . ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ١ ص ١٨٠

حرب(٣٦) ، وجبى خراجها فبلغ جملة ما حصله منها مليونى درهم(٣٧) ، ولما خشى أن يجتمع عليه مرداويج وأخوه وشمكير اللذان اتفقا على محاربته ، استقر رأيه على الرحيل عن النوبندجان(٣٨) الى اصطخر(٣٩) ومنها الى البيضا(٤٠) ، ثم دخل شيراز سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م (٤١) ، وبذلك دانت له بلاد فارس بالولاء والطاعة(٤٢) ، كما تمكن أخوه أحمد ابن بويه من الاستيلاء على كرمان(٤٣) .

لما نجح على بن بويه فى بسط سلطته على اقليم فارس ، أراد أن يضفى على تلك السلطة الصبغة الشرعية ، فكتب الى الخليفة الراضى بالله (٣٢٢ — ٣٢٩ هـ / ٩٣٤ — ٩٤٠ م) ووزيره أبى على بن مقلة يعرفهما أنه على الطاعة ، ويطلب أن يقطع ما بيده من البلاد مقابل

---

(٣٦) ابن الاثير : جـ ٨ ص ٩٣ ، وقد ذكر أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر جـ ٢ ص ٨٣ أن ذلك سنة ٣٢٠ هـ وهو خطأ واضح .

(٣٧) مسكويه : جـ ٥ ص ٢٨٠ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ٩٣
ويذكر ابن الجوزى : المنتظم جـ ٦ ص ٢٧٠ انه استخرج منها مائتى ألف دينار .

(٣٨) النوبندجان : مدينة بناحية انبوران فى اقليم فارس ويقال لها أيضا النوبنجان على بعد فرسخين من بداية شعب بوان الذى يعده العرب احدى جنات الدنيا الأربع لسترنج : بلدان الخلافة ص ٣٠٠ .

(٣٩) كان أبو طالب النوبندجانى قد ارسل الى على بن بويه الرسائل يطلب منه الذهاب الى شيراز ، موضحا له أن النفوس نافرة من ياقوت وان الناس قد استثقلوا وطأته لتهوره فى جباية الاموال . مسكويه : جـ ٥ ص ٢٨٠ .

(٤٠) البيضاء : على مسافة ثمانية فراسخ من شيراز ، وسميت البيضاء لبياض قلعتها ، وينطقها الفرس (بيزا) ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٣٣ ، لسترنج : بلدان الخلافة ص ٣١٦ .

(٤١) مسكويه : جـ ٥ ص ٢٩٦ ، ص ٢٩٨ ، ابن الاثير جـ ٨ ص ٩٥

(٤٢) مسكويه : جـ ٥ ص ٢٩٩ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ٩٥

(٤٣) مسكويه : جـ ٥ ص ٢٩٨ — ٢٩٩ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ٩٦ دائرة المعارف الاسلامية المجلد الرابع مادة بويه .

ألف ألف درهم(٤٤) •

لم يسع الخليفة الراضى الا أن يجيب طلب على بن بويه ، وأنفذ الوزير اليه اللواء والخلع(٤٥) فى شوال سنة ٣٢٢ هـ (سبتمبر ٩٣٤ م) وأمر الرسول وهو أبو عيسى يحيى بن ابراهيم المالكى(٤٦) ألا يسلم اللواء والخلع الا بعد أن يتسلم المال المتفق عليه فلما قرب الرسول من شيزار ، خرج اليه على بن بويه قبل أن يدخل شيراز ، وطالب الرسول أن يسلم اليه الخلع واللواء ، فسلمها اياه ولم يأخذ منه المال الذى وعد بأدائه(٤٧) •

اتسع نفوذ على بن بويه حتى غدا فى سـنة ٣٢٣ هـ / ٩٣٥ م مسيطرا على مدينة شيراز ، كما بسط نفوذه شمالا حيث مدينة أرجان ، وأصبح على مقربة من مناطق نفوذ مرداويج ابن زيار (المقيم بأصبهان) وله بمدينة الأهواز — شمال أرجان — جيش كبير(٤٨) •

على أن مرداويج بن زيار ما لبـث أن أغتيـل سـنة ٣٢٣ هـ (٩٣٥ م) (٤٩) ، على يد غلمانه الأتراك الذين كان يسىء معاملتهم

---

(٤٤) ابن الاثير : جـ ٨ ص ٩٥ ، العينى : عقد الجمان جـ ١٨ ص ٢٤٦ مخطوط بدار الكتب رقم ١٥٨٤ وقد ذكر مسكويه : جـ ٥ ص ٢٩٩ ، وابن الجـوزى : المنتظم جـ ٦ ص ٢٧١ أن المبلغ المقاطـع عليه ثمانية آلاف ألف درهم •

(٤٥) ابن الجوزى : جـ ٦ ص ٢٧١

(٤٦) مسكويه : جـ ٥ ص ٣٠٠

(٤٧) مسكويه : جـ ٥ ص ٣٠٠

ومما يذكر أن على بن بويه أخذ يماطل المالكى ويضرب له المواعيد حتى اعتل المالكى ومات سـنة ٣٢٣ هـ ولم يدفع له على بن بويه من المال شيئا •

تجارب الامم جـ ٥ ص ٣٠٠ •

(٤٨) مسكويه : جـ ٥ ص ٣١٦

(٤٩) ابن طباطبا : الفخرى ص ٢٥٣ ، الكرديزى ، زين الاخبـار ص ١ ، ابن الأثير ، جـ ٨ ص ٩٩ •

ويفضل الديلم عليهم(٥٠) ، وكان من نتيجة قتل مرداويج أن أضطر جيشه بالأهواز الى الانسحاب(٥١) ، وتراجعت حامياته بعسكر مكرم(٥٢) وتستر(٥٣) وجند يسابور(٥٤) والسوس(٥٥) ، وأصبحت مدينة أصبهان خالية ليس هناك من يحميها أو يدافع عنها(٥٦) .

انتهز ياقوت فرصة مقتل مرداويج وأراد الاستيلاء على الأهواز ، واتجه الى محاربة على بن بويه ، وفى نفس الوقت أرسل على بن بويه أحد قادته من(٥٧) أرجان الى رامهرمز(٥٨) يريد الأهواز ، غير أنه ما لبث أن انسحب الى أرجان(٥٩) .

بقى ياقوت بقواته فى عسكر مكرم حتى أتاه أبو عبد الله

---

(٥٠) ذكر الصولى : اخبار الراضى والمتقى ص ٢٠ ، ٢١ أن رئيس الغلمان الاتراك كان يعرف « ببجكم » وان قتل مرداويج كان من تدبير ابن ياقوت .

(٥١) مسكويه : جـ ٥ ص ٣٠٢

(٥٢) عسكر مكرم : مدينة من مدن الأهواز فى اقليم الجبال . لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٧٢ .

(٥٣) تستر : وتبعد ستين ميلا شمال الأهواز . لسترنج : ص ٢٦٩

(٥٤) جند يسابور : وتقع على ثمانية فراسخ شمال غربى تستر لسترنج : ص ٢٧٣

(٥٥) السوس : فى اقليم الجبال وهى سوسة القديمة قرب نهر كرخه لسترنج : ص ٢٧٤

(٥٦) مسكويه : جـ ٥ ص ٣١٦

(٥٧) مسكويه : جـ . ص ٣٠٣

(٥٨) رامهرمز : مدينة مشهورة بنواحى خوزستان على مسيرة ثلاثة أيام من شرق الأهواز . ياقوت : جـ ٤ ص ٢١٢ ، لسترنج : بلدان الخلافة ص ٢٧٨

(٥٩) مسكويه : جـ ٥ ص ٣٠٣

البريدى(٦٠) ، ثم زحفا نحو أرجان ، وأتى على بن بويه(٦١) بنفسه لمباشرة الحرب ، حيث تم له النصر ، وخيف على الأهواز منه ، فراسله أبو عبد الله البريدى فى طلب الصفح فاستجاب له ، وكاتب الوزير أبا على بن مقله فيما قرره من أمر الصلح فأمضاه ، وعاد على بن بويه الى شيراز ، وغدا بذلك الحاكم الفعلى لتلك النواحى ، حيث أرسل اليه اللواء والعهد(٦٢) .

امتد نفوذ بنى بويه على كثير من أرجاء فارس ، فسار الحسن بن بويه الى أصبهان ، وتمكن من الاستيلاء عليها ، وأزال عنها وعن بعض بلاد الجبل نواب وشمكير(٦٣) ، أما الأخ الثالث أحمد بن بويه ، فقد اتجه الى كرمان(٦٤) ، وكان المتغلب عليها محمد بن الياس بن اليسع الصفدى ، الذى اضطر الى الرحيل الى سجستان(٦٥) ، وبذلك خلت كرمان لأحمد بن بويه(٦٦) .

(ب) دخـــول بنى بويه بغـــداد :

ساءت الأوضاع السياسية فى العراق فى الفترة الواقعة من سنة ٣٢٤ هـ حتى دخول بنى بويه بغداد سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م ، فقد عجز

---

(٦٠) تلد الخليفة الراضى ياقوت وابنه المظفر اعمال الحرب والمعاون بالاهواز وتولى كتابته ابوعبد الله محمد البريدى مضافة الى ما اليه من اعمال الخراج والضياع بالأهواز ، مسكويه : جـ ٥ ص ٣٠١ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ٩٩ .

(٦١) مسكويه : جـ ٥ ص ٣٠٣

(٦٢) مسكويه : جـ ٥ ص ٣٠٣
، ابن الاثير : جـ ٨ ص ٩٩ .

(٦٣) ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٠٨ .

(٦٤) كرمان : ولاية مشـــهورة بين فـــارس ومكران وسجستان وخراسان ، تقع مكران شرقيها وفارس غربيها وخراسان شماليها وبحر فارس جنوبها . ياقوت : جـ ٧ ص ٢٤١ .

(٦٥) ابن الاثير : جـ ٨ ص ١١٣
، النويرى : نهاية الارب جـ ٢٤ ص ٢٧٥ (مخطوط) .

(٦٦) مسكويه : جـ ٥ ص ٣٥٣ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ١١٣

الوزراء فى عهد الخليفة الراضى (٣٢٢ — ٣٢٩ هـ / ٩٣٤ — ٩٤٠ م) عن ادارة شئون البلاد ، لازدياد نفوذ كبار القواد وتدخلهم فى أمور الدولة ، مما دعا الخليفة الراضى الى استمالة محمد بن رائق — وكان يلى واسط والبصرة — وقلده الامارة ورياسة الجيش ، وجعله أمير الأمراء(٦٧) ، ورد اليه أعمال الخراج والضياع وأعمال المعاون فى جميع النواحى ، وفوض اليه تدبير المملكة ، وأمر بأن يخطب له على جميع المنابر فى الممالك وأنفذ اليه اللواء والخلع(٦٨) .

كان لهذا العمل الذى قام به الخليفة الراضى أثره على الوزارة ، فبطل أمرها منذ يومئذ ، فلم يكن الوزير ينظر فى شىء من أمر النواحى ولا الدواوين ، ولا الأعمال ، ولا كان له غير اسم الوزارة فقط ، وبطلت الدواوين ، فكان ابن رائق وكاتبه ينظران فى الامور جميعها ، وكذلك كل من تولى امرة الأمراء بعده ، وصارت الاموال تحمل الى خزائنهم فيتصرفون فيها كما يريدون ، وبطلت بيوت المـــال ، وتغلب أصحاب الأطراف ، وزالت عنهم الطاعة(٦٩) .

وليس أدل على ضعف شأن الوزير فى عهـــد الراضى ، أن أمير الامراء أصبح يتدخل فى تعيين الوزراء وعزلهم . فقد أشار ابن رائق أثر تقلده هذا المنصب على الخليفة الراضى بأن يولى الفضل بن جعفر ابن الفرات الوزارة ، حتى يصبح مطلق التصرف فى أموال الدولة(٧٠) .

على أن نفوذ ابن رائق لم يلبث أن ضعف فى سنة ٣٢٦ هـ من جراء منافسة الامراء له ، فقد حاربه أبو عبد الله البريدى صاحب الأهواز ، كما خرج عليه أحد قواده واسمه (بجكم) ودخل بغداد سنة ٣٢٧ هـ

---

(٦٧) يبدو أن محمد بن رائق لم يكن أول من تلقب بأمير الإمراء فقد ذكر مسكويه : جـ ٥ ص ١٨٨ أنه لما ظهرت الوحشة بين الخليفة المقتدر ومؤنس الخادم قلد هرون بن غريب أمرة الامراء سنة ٣١٦ هـ .

(٦٨) مسكويه : جـ ٥ ص ٣٥١ .

(٦٩) مسكويه : جـ ٥ ص ٣٥٢ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ١١٢ .

(٧٠) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٦ .

وآلت اليه أمرة الامراء واستولى بذلك على جميع شئون الدولة زهاء سنتين (٣٢٧ — ٣٢٩ هـ) وقد وصف الصولى حالة بغداد فى الوقت الذى تقلد فيه « بجكم » امرة الأمراء فقال : ان العامة عاثوا فى الارض فسادا ، وانقضوا على الحمامات العامة وأخذوا ثياب من فيها ، وكثرت المصادرات ، وتفاقم شر اللصوص ، فهاجموا البيوت بالأسلحة ، وشكا الناس بلا جدوى الى « بجكم » ما أحله بهم أصحابه من بلاء وانتشرت الفوضى والمنازعات وساءت حالة العراق ، بحيث لم تنته هذه المصائب الا بوفاة « بجكم »(٧١) .

أدى موت « بجكم » الى اضطراب عسكره وضعفهم ، والى تقوية البريديين ، بانضمام الديالمة الذين كانوا فى صفوف « بجكم » ، وتمكن أبو الحسين البريدى من دخول بغـداد فى جيش كثيف من الاتراك والديلم ، واستولى على دار الخلافة ، وصرف ابن ميمون عن الوزارة وأعمل السـلب والنهـب فى دار الخلافة(٧٣) ، غير أن البريديين لم يستمروا طويلا فى بغداد فقد عاد الخليفة المتقى (٣٢٩ — ٣٣٣ هـ / ٩٤٠ — ٩٤٤ م) بعد ثلاثة أشهر وعشرين يوما من الموصل الى حاضرة خلافته فى شوال سنة ٣٣٠ هـ (يونيه ٩٤٢ م) بصحبة ناصر الدولة بن حمدان أمير الأمراء الجديد وأخوه سيف الدولة بن حمدان(٧٤) ولم تتمتع بغداد فى ظل الحمدانيين (٣٣٠ — ٣٣١ هـ) بالأمن والاستقرار ، فقد كثر بها اللصوص ، وهاجموا دور الاغنياء ، فضلا عما فرضه ناصر الدولة من الضرائب ، وارتفاع الأسعار(٧٥) ، كما أن ناصر الدولة

---

(٧١) اخبار الراضى بالله والمتقى لله ص ١٣٣ — ١٣٥ .

(٧٢) مسكويه : جـ ٦ ص ٩ — ١١

(٧٣) الصولى : اخبار الراضى والمتقى ص ٢٠١ — ٢٠٢ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٥٨ . مطبة الحلبى ١٣٠٥ هـ .

(٧٤) مسكويه : جـ ٦ ص ٢٨ .
خرج الخليفة من بغداد الى الموصل بصحبة ابن رائق وهناك قتله ناصر الدولة ابن حمدان . ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٣٥ .

(٧٥) مسكويه : جـ ٦ ص ٣٨ .

استأثر بالسلطة دون الخليفة وأساء معاملته ، وضيق عليه فى نفقاته(٧٦) ، ولم يحتفظ ابن حمدان بمنصبه طويلا ، فرحل الى الموصل ، وأتاح بذلك الفرصة للخليفة المتقى للاستنجاد بتوزون التركى(٧٧) .

دخل توزون(٧٨) — أحد قواد الأتراك — بغداد فى رمضان سنة ٣٣١ هـ (مايو ٩٤٣ م) بعد أن مهد له الخليفة المتقى ذلك ، ولقبه أمير الأمراء خلفا لناصر الدولة(٧٩) وكانت سياسة توزون ترمى الى مصالحة البريديين فى واسط والتفرغ لمحاربة الحمدانيين ولكن الخليفة لم يقره على هذه السياسة(٨٠) .

على أن البريديين سرعان ما استولوا على واسط ، فطردهم توزون منها ، ثم استولى على تكريت(٨١) ، واتخذ ابن شيرزاد — الذى هرب من البريديين — كاتبا له ، ثم سار ابن شيرزاد الى بغداد ودخلها فى المحرم سنة ٣٣٢ هـ (٨٢) ، فعزم الخليفة على الخروج من حاضرة خلافته(٨٣) . يقول ابن الأثير فى سبب الخلاف بين الخليفة المتقى وتوزون أمير الأمراء أن جماعة من حاشية المتقى كتبوا الى ابن حمدان لينفذ اليه عسكرا يسير بصحبة المتقى اليه ، وقالوا للمتقى : قد رأيت ما فعل بك البريدى بالأمس ، أخذ منك خمسمائة ألف دينار ، وأخرجت على الأجناد مثلها ، وقد ضمنك البريدى من توزون بخمسمائة ألف دينار

---

(٧٦) الصولى : اخبار الراضى والمتقى ص ٢٣٥ — ٢٣٦

(٧٧) Muir : The caliphate, its rise, Decline, and fall p. 513 (London 1915).

(٧٨) وكان البريدى قد ولاه شرطة الجانب الشرقى من بغداد . مسكويه : جـ ٦ ص ٢٥ — ٢٧ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٣٤ .

(٧٩) مسكويه : جـ ٦ ص ٤١ .

(٨٠) الصولى : اخبار الراضى والمتقى ص ٢٤٧ .

(٨١) تكريت : مدينة على بعد ثلاثين ميلا من شمال سمراء ، على ضفة دجلة الغربية ، وكانت تعد آخر مدينة فى حد العراق . لسترنج : ص ٨١ .

(٨٢) الصولى : ص ٢٤٤ — ٢٤٥ .

(٨٣) نفس المصدر : ص ٢٤٧ .

أخرى زعم أنها فى يدك من تركة « بجكم » وابن شيرزاد واصل ليتسلمك ويخلعك ويسلمك الى البريدى ، فانزعج لذلك (المتقى) وعزم على الذهاب الى ابن حمدان(٨٤) يقول السيوطى : « فسار المتقى بأهله الى تكريت وخرج ناصر الدولة بجيش كبير من الأعراب والأكراد لقتال توزون فالتقيا بعكبرا(٨٥) ، فانهزم ابن حمدان والخليفة الى نصيبين(٨٦) .

ولما اتصل بتوزون خبر هروب الخليفة من بغداد وتغيره عليه وعمله على التخلص منه ، صالح البريدى ، ثم قصد بغداد ، وسار سيف الدولة الحمدانى الى تكريت حيث يقيم الخليفة ، ولحق به أخوه ناصر الدولة بن حمدان ، وعلى مقربة من تكريت وقعت الحرب بين الحمدانيين وتوزون التى انتهت بانتصاره عليهم ، ثم سار الحمدانيون بصحبة الخليفة الى الموصل(٨٧) .

كان من أثر انتصار توزون على الحمدانيين فى تكريت أن تشجع للمسير الى الموصل لاستخلاصها منهم ، وكتب الى الخليفة يستميله ، فلم يصغ اليه الخليفة لأنه لم يكن يثق به ، وسار الحمدانيون بصحبة المتقى الى نصيبين ، ثم سار الخليفة الى الرقه ، ولحق به سيف الدولة ، وأرسل المتقى الى توزون ، يذكر أنه استوحش منه لاتصاله بالبريدى ، وانهما صارا يدا واحدة ، فان آثر رضاه يصالح سيف الدولة وناصر الدولة ليعود الى بغداد ... فتم الصلح وعقد الضمان على ناصر الدولة لما بيده من البلاد ثلاث سنين على أن يدفع فى كل سنة ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف درهم(٨٨) .

---

(٨٤) الكامل : جـ ٨ ص ١٤٢

(٨٥) تاريخ الخلفاء ص ٢٦٢

(٨٦) عكبرا : بضم العين وتسكين الكاف وفتح الباء : بليدة من نواحى دجيل بينها وبين بغداد شمالا عشرة فراسخ .
ياقوت الحموى : معجم البلدان / جـ ٦ ص ٢٠٣

(٨٧) الصولى : أخبار الراضى والمتقى ص ٢٥٢ — ٢٥٥
، ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٤٤ .

(٨٨) ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٤٤ .

لم تكن أحداث العراق خافية عن أحمد بن بويه ، فسار بجيشه الى واسط واستولى عليها ، ولما علم بذلك توزون صالح ناصر الدولة ، وعاد مسرعا الى بغداد(٨٩) لمواجهة أحمد بن بويه ، الذى كان يعد العدة للزحف على بغـداد فى ذى القعدة سنة ٣٣٢ هـ (يونيـه / يوليه ٩٤٤ م) (٩٠) ، وعلى الرغم من أنه بلغ مشارف بغداد ، وكاد أن يستولى عليها بعد عدة معارك ، الا أنه اضطر الى الانسحاب الى الأهواز(٩١) .

ويبدو أن أحمد بن بويه انما قصد بغـداد بناء على دعوة من الخليفة المتقى الذى راسله حين كان فى واسـط(٩٢) ، وقد كشـف الصولى عن مكاتبات دارت بينهما ، فذكر أنه لما وصلت جيوش أحمد ابن بويه الى بغداد سنة ٣٣٢ هـ ، كانت رسائل المتقى اليه تتلى على الناس ، وفيها يحث الخليفـة المتقى الأمير البويهى على السـير الى بغـداد(٩٣) .

لم تلبث الأمور أن تطورت لصالح بنى بويه ، بعد أن خلت بغداد ممن يستطيعون الوقوف فى وجههم ، فقد قتل « بجكم » سنة ٣٢٩ هـ ، ولحق به ابن رائق فى السنة التالية ، وفى سنة ٣٣٢ هـ توفى أبو عبد الله البريدى(٩٤) ، وقد اختلفت الكلمة بعده على الرياسة بين أخيه أبى الحسين وولده أبى القاسم ، ثم انعقدت الرياسة لأخيه ، الا أنه لم يلبث أن خلعه الجنود ، ونصبوا مكانه ابن أخيه أبى القاسم ، فاستجار القرامطة ، الذين قدموا معه الى البصرة ، ولما لم يستطيعوا هزيمة أبى القاسم ، عقدوا بينه وبين عمه صلحا(٩٥) .

---

(٨٩) الذهبى : تاريخ الاسلام جـ ١٩ ص ٧٨ (مخطوط) .
(٩٠) الصولى : اخبار الراضى والمتقى ص ٢٦١ .
(٩١) الصولى : نفس المصدر ص ٢٦١ ، ص ٢٦٤ .
، ابن الاثير : جـ ٨ ص ١١٩ — ١٢٠ .
(٩٢) الصولى : اخبار الراضى والمتقى ص ٢٦٢ — ٢٦٣ .
(٩٣) نفس المصدر : ص ٢٥٨ — ٢٥٩
(٩٤) مسكويه : جـ ٦ ص ٥٨ .
(٩٥) ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٤٥ .

أما فيما يتعلق بالخليفة المتقى ، فانه لما أحس بضجر بنى حمدان من اقامته بالموصل أرسل الى توزون فى طلب الصلح ، كما كاتب ابن طغج الاخشيد (والى مصر) شاكيا حاله ، واستقدمه ، فأتى اليه والتقيا فى الرقه(٩٦) ، وعرض الاخشيد على الخليفة أن يأتى معه الى مصر ، لكن الخليفة مال الى مصالحة توزون ، بعد أن تعهد بحمايته ، وعاد المتقى الى بغداد ، ورجع الاخشيد الى مصر فى منتصف المحرم سنة ٣٣٣ هـ (سبتمبر ٩٤٤ م) (٩٧) غير أن توزون لم يلبث أن قبض على الخليفــة وسلمه وأحضر أبا القاســم عبد اللــه بن المكتفى ولقبه المستكفى بالله(٩٨) .

ظل توزون مستأثرا بالسلطة دون الخليفة العباسى الى أن توفى ببغداد فى المحرم سنة ٣٣٣ هـ ، وخلفه فى امرة الأمراء كاتبه أبو جعفر ابن شيرزاد(٩٩) ، الذى لم يستطع أن يدير الامور لفساد الأحوال فى بغداد ، فزاد فى أرزاق الجند زيادة كثيرة ضاقت بها موارده ، وأخذ فى المصادرات ، وفرض على الكتاب والعمال والتجار وسائر طبقات الناس مالا لأرزاق الجنــد ، كما أثقــل كاهل التجار بالضرائب ، حتى اضطروا الى الهرب من بغداد(١٠٠) .

شجعت الأحداث التى كانت تجرى فى بغداد أحمد بن بويه على معاودة الكرة لدخول بغداد ، فكتب « ينال كوشه »(١٠١) الذى كان

---

(٩٦) الرقه : تقع فوق مصب نهر البليخ المنحدر من الشــمال الى الفرات ، قال عنها المقدسى انها قصبة ديار مضر . احسن التقاسيم ص ١٤١ ، لسترنج : ص ١٣٢ — ١٣٣ .

(٩٧) مسكويه : جـ ٦ ص ٦٧ — ٦٨ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٤٨ — ١٤٩ .

(٩٨) ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٤٨ — ١٤٩ .

(٩٩) مسكويه : جـ ٦ ص ٨٢ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٦٠ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٨٩ .

(١٠٠) مسكويه : جـ ٦ ص ٨٣ — ٨٤ .

(١٠١) ينال كوشه : أحد الغلمان الاتراك ، وكان ابن شيرزاد قد عينه حاكما على واسط . مسكويه : جـ ٦ ص ٨٤ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٦٠ ، ابن خلدون : العبر جـ ٣ ص ٤٢٠ .

يتولى أعمال واسط — والقواد فى بغداد الى أحمد بن بويه يطلبون اليه المسير للاستيلاء على الأمور فى بغداد ، بعد أن ضاقوا بتنافس الامراء وتدهور الاوضاع السياسية والاقتصادية فى العراق ، فسار أحمد بن بويه من الأهواز الى بغداد ، فاضطرب الأتراك وعبروا دجلة الى الجانب الشرقى ، وساروا الى الموصل وبقى الديلم فى بغداد(١٠٢) .

نزل أحمد بن بويه بباب الشماسية — فى الجانب الشرقى من بغداد — يوم السبت الحادى عشر من جمادى الاولى سنة ٣٣٤ هـ (يناير ٩٤٦ م) (١٠٣) ، فبعث اليه الخليفة الامدادات والتحف(١٠٤) ، وأرسل أحد رجاله وهو أبو محمد الحسن بن محمد المهلبى ، فاجتمع بابن شيرازد وفاوضه ، ثم قصد دار الخلافة ، وقابل المستكفى بالله ، فأظهر المستكفى سرورا بقدوم أحمد بن بويه(١٠٥) .

قابل أحمد بن بويه الخليفة المستكفى فى اليوم التالى ، وأخذت عليه البيعة له ، واستحلفه بأغلظ الأيمان ، ثم لبس أحمد خلع الخليفة ، وعقد له لواء أمرة الأمراء ولقبه « معز الدولة » ولقب أخاه عليا « عماد الدولة » ولقب الحسن « ركن الدولة » وأمر أن تنقش ألقابهم وكناهم على الدنانير والدراهم(١٠٦) .

---

(١٠٢) الذهبى : تاريخ الاسلام جـ ١٩ ص ٩١ (مخطوط) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٦ ص ٣٤٠ .

(١٠٣) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك الجزء الاول القسم الاول ص ٢٧ تحقيق زيادة طبعة ١٩٥٦ ، العينى : عقد الجمان : جـ ١٩ ص ٢٧ (مخطوط) .

(١٠٤) الذهبى : جـ ١٩ ص ٩١ ، العينى : جـ ١٩ ص ٢٧

(١٠٥) مسكويه : جـ ٦ ص ٨٥ .

(١٠٦) مسكويه : جـ ٦ ص ٨٥ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٦١ ، الذهبى : تاريخ الاسلام جـ ١٩ ص ٩١ (مخطوط) ، العينى : عقد الجمان جـ ١٩ ص ٢٧ (مخطوط) .

الدولة الحمدانية فى الموصل

ظهر الحمدانيون فى منطقة الجزيرة سنة ٢٨١هـ/٨٩٤م حينا استولى حمدان بن حمدون[٨٣] على ماردين ، غير أن الخليفة المعتضد ما لبث أن أخرجه منها[٨٤] . ورغم ذلك واصل الحمدانيون جهودهم لتوسيع نفوذهم فى الجزيرة ، مما حمل الخلافة العباسية على الاستعانة بهم في حكم هذه المنطقة ، فعين المكتفى أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان حاكماً على الموصل ونواحيها سنة ٢٩٣ هـ كما استعان الخليفة بابنه الحسن بن عبد الله بن حمدان في القضاء على ثورات القرامطة فى منطقة الجزيرة وبلاد الشام ونجح فى ذلك[٨٥] .

لم يحاول الخليفة المقتدر (٢٩٥ — ٣٢٠ هـ / ٩٠٨ — ٩٣٢ م) صرف الحمدانيين عن ولاية اقليم الموصل بعد مقتل أبيهم(٨٦) ، ولما ولى المتقى لله الخلافة (٣٢٩ — ٣٣٣ هـ / ٩٤٠ — ٩٤٤ م) سطع نجم بنى حمدان فى أفق الدولة العباسية ، فقد خلع الخليفة على الحسن بن عبد الله الحمدانى ولقبه « ناصر الدولة »(٨٧) ، كما خلع على أخيه

---

(٨٣) لم يظهر اسم حمدان بن حمدون على مسرح السياسة للدولة العباسية الا سنة ٢٥٤ هـ / ٨٦٨ م حينما قام مساور بن عبد الحميد الشارى وهو من الخوارج بالاستيلاء على الموصل فتصدى له الحسن بن ايوب التغلبى يشد من أزره حمدان بن حمدون مع هارون الشارى ودخلا الموصل فاتحين غير أن حالة الموصل تقلق الخلافة العباسية ، ويزداد خطره فيخرج اليه الخليفة المعتضد سنة ٢٨١ هـ فيسترد منه الموصل ويحتل قلعة ماردين ، ويضيق عليه السبل حتى يسلم نفسه اليه فيوضع فى السجن .

ابن الاثير : ج ٧ ص ٦٦ ، ١٥١ ، الطبرى : حوادث سنة ٢٨١ هـ ، ٢٨٢ هـ .

(٨٤) الطبرى : الامم والملوك ج ١٣ ص ٢١٤١ ، بيروت ١٩٦٥ .

(٨٥) عريب بن سعد : صلة تاريخ الطبرى ص ٦ — ٨

(٨٦) قتل ابى الهيجاء بعد اشتراكه فى المؤامرة التى هدفت الى خلع المقتدر وتنصيب القاهر سنة ٣١٧ هـ . عريب بن سعد : نفس المصدر ص ٧٤ .

(٨٧) دخل البريديون بغداد سنة ٣٣٠ هـ وفر الخليفة الى الموصل مع امير الامراء محمد بن رائق ، وتمكن الحسن بن حمدان من اعادة الخليفة الى بغداد بعد فرار البريديين منها . ابن الاثير : ج ٨ ص ١٣٥ — ١٣٦ .

أبى الحسين ولقبه « سيف الدولة »(٨٨) .

ولى ناصر الدولة أمرة الامراء فى بغداد سنة ٣٣٠ هـ/٩٤١ م (٨٩) ، ولكنه لم يستطع أن يقر النظام بها ، فرحل عن بغداد الى الموصل فى السنة التالية(٩٠) ، وبذلك مهد السبيل لدخول توزون بغداد(٩١) بعد انتصاره على البريد بين فى واسط والبصرة(٩٢) .

ولما رحل ناصر الدولة الى الموصل ، اتفق مع توزون على أن تكون الأعمال فى مدينة الموصل الى أعالى الشام خاضعة له ، وأن تكون أعمال السن(٩٣) الى البصرة لتوزون وما يفتحه من وراء ذلك ، وألا يعرض أحد منهما لعمل الآخر(٩٤) ، لكنهما ما لبثا أن فوجئا بعد هذا الاتفاق بتقدم جيوش الديلم من الشرق ودخول بنى بويه بغداد(٩٥) .

لما استقرت الامور لمعز الدولة بن بويه فى بغداد ، رأى أن دولة الحمدانيين فى الموصل تشكل خطرا عليه ، ومن ثم قامت الحرب بين معز الدولة بن بويه (ومعه الخليفة المطيع لله)(٩٦) وناصر الدولة بن

---

(٨٨) ابن الاثير : نفس المصدر والصفحة ، المسعودى : مروج الذهب جـ ٢ ص ٣٧٦ .

(٨٩) يذكر ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٤٣ ان ناصر الدولة تمكن هو واخوه سيف الدولة من الانتصار على البريديين فى عدة مواقع .

(٩٠) أبو بكر الصولى : أخبار الراضى والمتقى ص ٢٤٠ ، ٢٤٢ . فقد قامت الوحشة بين الخليفة المتقى وناصر الدولة بسبب تضييق ناصر على الخليفة فى نفقاته وانتزاعه ضياعه ، وعزم ناصر الدولة على الرحيل الى الموصل ورفض طلب الخليفة بالانتظار ريثما يستعد للرحيل معه.

(٩١) الصولى : نفس المصدر والصفحات .

(٩٢) Muir : The caliphate. p. 583.
ويبرر ميورترك الحمدانيين بغداد بعدم استطاعتهم فرض نفوذهم على الاتراك فى بغداد التى أصبحت مرعى خصبا للفوضى ومصادرة الأهالى .

(٩٣) السن : بلدة على ميل تحت ملتقى الزاب الاسفل بدجلة . لسترنج : بلدان الخلافة ص ١٢٠ .

(٩٤) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ١ ص ١٠٤ (تحقيق د. سامى الدهان دمشق ١٩٥١ م) .

(٩٥) مسكويه : جـ ٦ ص ٨٥ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٦١

(٩٦) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٦ ص ٢٦٥

حمدان عند عكبرا(٩٧) فى سنة ٣٣٤ هـ ، وفوجىء معز الدولة بانصراف ابن شيرزاد عنه راجعا الى بغداد مع أبى العطف جبير بن عبد الله بن حمدان ابن أخى ناصر الدولة ، فتحرج موقف معز الدولة الذى لم ييأس وسار الى تكريت فنهبها(٩٨) ، ثم عبر مع قواته الى الجانب الغربى من دجلة وتقدموا الى بغداد وبازائهم على الشاطىء الشرقى ناصر الدولة بن حمدان وجنوده الاتراك(٩٩) .

استطاع معز الدولة أن يخدع ناصر الدولة وجيشـــه بانضمام جماعة من جنده مستأمنين الى ناصر الدولة ، لكنهم ما لبثوا أن انقلبوا على جيش ناصر الدولة وأوقعوا به الهزيمة(١٠٠) فعمد ناصر الدولة الى فرض الحصار على معز الدولة وجيشه لارغامه على الاستسلام ، فمنع عنه الميرة والعلف ، حتى ندرت الأقوات بالجانب الغربى واشتد الغلاء ، بينما نعم أهل الجانب الشرقى برخص الاسعار(١٠١) .

لجأ معز الدولة الى خديعة ناصر الدولة مرة ثانية عنـــدما قام بتقسيم جيشه للعبور الى الجانب الشرقى(١٠٢) ، فعهد الى وزيره أبى جعفر الصيمرى والى خاله أصفهدوست الديلمى بالعبور من موضع يقال له «الثمانين» وأظهر أنه يريد العبور من جهة « قطربل » — فى الشمال الغربى من بغداد — ولما علم بعبور أصحابه عاد الى مكانه الاول ، ونقل بقية جيشه الى الجانب الشرقى ، بعد أن أوقع الاضطراب والفوضى فى جيش ناصر الدولة وألجأه الى الفرار(١٠٣) الى عكبرا ، فلما استقر بها راسل معز الدولة يلتمس الصلح فى المحرم سنة ٣٣٥ هـ (سبتمبر ٩٤٦ م) ، ولما علم الاتراك بما فعله ناصر الدولة ثاروا عليه ،

---

(٩٧) مسكويه : جـ ٦ ص ٨٩ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٦٢
(٩٨) لأنها كانت لناصر الدولة . مسكويه : جـ ٦ ص ٨٩ — ٩٠
(٩٩) نفس المصدر جـ ٦ ص ٩٠
(١٠٠) نفس المصدر والصفحة .
(١٠١) مسكويه : جـ ٦ ص ٩١ — ٩٣ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٦٢
(١٠٢) مسكويه : جـ ٦ ص ٩٢ — ٩٣
(١٠٣) نفس المصدر ص ٩٣ — ٩٤ .

وحاولوا الفتك به ، فهرب منهم الى الموصل ، ثم استقر الصلح بينه وبين معز الدولة سنة ٣٣٥ هـ(١٠٤) على أن يكون لناصر الدولة من حد تكريت الى الشمال ، على ألا يحمل عن الموصل وديار ربيعة شيئا مما كان يحمله من المال ، وحلف معز الدولة بحضرة الخليفة والقضاة على ذلك والوفاء به(١٠٥) .

على أن معز الدولة ما لبث فى سنة ٣٣٧هـ أن سار قاصدا الموصل لحاربة الحمدانيين ، فلما علم بذلك ناصر الدولة رحل عن الموصل الى نصيبين(١٠٦) فملكها معز الدولة وأخذ أموال أهلها(١٠٧) ، وأراد معز الدولة أن يستولى على جميع بلاد ناصر الدولة لكنه شغل بمد أخيه ركن الدولة بالعساكر ، واضطر الى مصالحة ناصر الدولة ، واستقر الصلح بينهم على أن يؤدى ناصر الدولة عن الموصل وديار مضر والرحبة والشام فى كل سنة ثمانية آلاف ألف درهم ، ويقيم الخطبة فى بلاده لعماد الدولة ومعز الدولة وبختيار بن معز الدولة(١٠٨) . وضمانا لتنفيذ شروط الصلح أخذ معز الدولة معه الفضل والحسين ابنا ناصر الدولة رهينة ، وعاد الى بغداد فى ذى الحجة سنة ٣٣٧هـ (يونيه ٩٤٩م) (١٠٩) .

وفى سنة ٣٤٥هـ انتهز ناصر الدولة فرصة تمرد روزبهان الديلمى — أحد قواد معز الدولة فأرسل ابنه أبا المرجى جابر ومعه أحد اخوته الى بغداد ، فلما علم الخليفة المطيع بتقدم الحمدانيين خرج من بغداد ولحق بمعز الدولة فى واسط ، فأرسل معز الدولة الحاجب سبكتكين

---

(١٠٤) مسكويه : جـ ٦ ص ٩٤ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٦٣ .
(١٠٥) مسكويه : جـ ٦ ص ١٠٨ .
(١٠٦) نصيبين : من اعظم مدن الجزيرة ، تقوم فى أعالى نهر الهرماس لسترنج : بلدان الخلافة ص ١٢٤ .
(١٠٧) ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٧١ — ١٧٢ وكان ذلك فى رمضان سنة ٣٣٧ هـ (مارس ٩٤٩ م) .
(١٠٨) مسكويه : جـ ٦ ص ١١٥ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٧٢
(١٠٩) نفس المصادر السابقة .

من واسط الى بغداد لحفظها ومنع الحمدانيين من دخولها ، وبعد أن هزم معز الدولة روزبهان وأسره ، عاد الى بغداد وعهد الى سبكتكين بمطاردة أبى المرجى الذى رحل الى الموصل ، وفى العام التالى (٣٤٦هـ) سار معز الدولة الى الموصل ، فأرسل اليه ناصر الدولة يطلب الصلح على ألف ألف درهم فى السنة ، فرضى معز الدولة بذلك(١١٠) ، غير أن ناصر الدولة فسر رضاء معز الدولة بالصلح بعدم مقدرته على محاربته فامتنع عن أداء المال المطلوب منه(١١١) ، ورأى معز الدلة فى سنة ٣٤٧هـ أن يتجهز للسير الى الموصل ، فأرسل اليه ناصر الدولة يترضاه، فرد عليه معز الدولة بكتاب توعده فيه وهدده بالمسير الى بلاده(١١٢)، فكان من نتيجة ذلك أن اتفق ناصر الدولة مع معز الدولة على أن يعجل له بدفع ألفى ألف درهم ، ويتعهد بدفع مثلها كل سنة ، غير أن ناصر الدولة عاد الى العصيان ، واتبع أسلوبا جديدا فى محاربة ناصر الدولة ، بأن أخلى له مدينة الموصل من الأموال والمواد الغذائية ، ومنع دخول الطعام والعلف اليها ، ومنع من يخرج منها لطلب ذلك(١١٣) ، كذلك لجأ الى الخديعة ليجبر معز الدولة على الرحيل عن ممتلكاته ، فأمر بتسريح جيشه وصرفه ، وانسحب هو الى أخيه سيف الدولة بحلب ، بعد أن انضم جيشه الى معز الدولة ، فكان م ننتيجة ذلك أن الأمور لم تستقر لمعز الدولة ، بسبب مضايقة أبناء ناصر الدولة ، واغارات الأعراب ، فضلا عن حاجته الى المال لينفقه فى جيشه(١١٤) .

أراد معز الدولة الخروج من ضائقته المالية ، فأرسل الى كافور الاخشيدى فى مصر يطلب ارسال مال اليه ، فرد كافور رسوله

---

(١١٠) انظر ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٨٥ — ١٨٦ .
(١١١) انظر ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٨٧ .
(١١٢) مسكويه : جـ ٦ ص ١٦٩ .
(١١٣) نفس المصدر ص ١٧١ .
(١١٤) نفس المصدر ص ١٧٥ .

خائبا(١١٥) ، ووجد ناصر الدولة الفرصـــة مواتية للصلح وتوسط فى ذلك أخوه سيف الدولة الحمدانى ، وعرض على معز الدولة أن يقوم بضـــمان البلاد نيابة عن أخيه ، فتم الصـــلح فى محرم سنة ٣٤٨هـ (مارس ٩٥٩م) ، وعقد الضمان على سيف الدولة على الموصل وديار ربيعة بألفى ألف درهم وتسعمائة ألف درهم فى السنة(١١٦) .

استمر السلام بين ناصر الدولة بن حمدان ومعز الدولة بعد عقد هذا الصلح خمس سنوات ، فلما تأخر ناصر الدولة فى أداء ما عليه من الأموال حتى سنة ٣٥٣هـ أرسل الى معز الدولة يطلب تعديل شروط الصلح ، على أن يؤدى ما عليه عن سنتى ٣٥٣ ، ٣٥٤هـ ألفى ألف درهم يعجل منها مائتى ألف درهم والباقى يقسط على ثلاث سنوات فرضى معز الدولة بذلك ، وعرض ناصر الدولة أن يزيد فى مال الضمان عشرة آلاف دينار مقابل أن يشترك معه ابنه أبو تغلب فضـــل الله الغضنفر فى الضمان وأن يحلفهما معز الدولة على ذلك(١١٧) ، فأبى معز الدولة قبول هذا الشرط خشية أن يكون ذلك بمثابة اعتراف منه بشرعية اشتراك أبى تغلب مع أبيه فى الحكم ؛ وممهدا لولايته الحكم بعـــده(١١٨) .

---

(١١٥) كان كافور يرغب فى احراج مركز معز الدولة فأخر رسوله مدة وبث جواسيسه ليتعرف أخبار معز الدولة حتى اذا ما جاءته الاخبار بأنه تخلص من ورطته سارع الى امداده بالمال مجاملة له واستبقاء لصداقته ، أما اذا جاءته الاخبار باستمرار حالة الضيق ضن عليه بالمال اجهازا عليه . مسكويه : جـ ٦ ص ١٧٢ .

(١١٦) مسكويه : جـ ٦ ص ١٧٤ — ١٧٥ ، الذهبى : تاريخ الاسلام حوادث سنة ٣٤٧ هـ (مخطوط) ويعلل ابن الأثير اجابة معز الدولة ناصر الدولة الى الصلح بعد تمكنه من البلاد أن الاموال ضاقت عليه ، وتقاعد الناس فى حمل الخراج بحجة عدم تمكنهم من الوصول الى غلاتهم وطلبهم الحماية من الاعراب أصحاب ناصر الدولة ، فأنف معز الدولة من ذلك .
الكامل : جـ ٨ ص ١٨٨ — ١٨٩ .

(١١٧) مسكويه جـ ٦ ص ٢٠٤ .

(١١٨) عبد الحميد على عثمان عبيدو : الحمدانيون فى الموصل وحلب ص ٦٥ رسالة مخطوطة بجامعة القاهرة .

لم يكد معز الدولة يعلن رفض هذا الاقتراح حتى وصل اليه المبلغ الذى اتفق على تعجيله فى جمادى الآخرة سنة ٣٥٣ هـ (يونيه ٩٦٤ م) ويبدو أن ناصر الدولة لم يصل الى علمه وقت ارسال الأموال بفشل « الباهلى » رسوله فى مفاوضات زيادة الضمان مقابل اشتراك أبى تغلب معه فى الحكم ، وتأهب معز الدولة للمسير الى الموصل للقضاء على ناصر الدولة اذ أدرك من محاولاته أنه يرمى الى توسيع سلطانه ، وجعل الحكم وراثيا فى أبنائه ، غير أن ناصر الدولة رحل الى نصيبين ، ودخل معز الدولة الموصل فى شعبان سنة ٣٥٣ هـ (أغسطس ٩٦٤ م) ، ثم بارحها الى « بلد » ثم توجه الى الموصل خوفا من أن يكون ناصر الدولة قد عزم على الرجوع اليها(١١٩) .

كان أبو تغلب واخوته أبناء ناصر الدولة قد دخلوا الموصل فى غياب معز الدولة عنها ، ووقع بينهم وبين أصحابه قتال شديد ، لكنهم هزموا ولم يتمكنوا من الاستيلاء على هذه المدينة ، فانصرفوا عنها ، بعد أن أحرقوا السفن التى كانت لمعز الدولة وأصحابه فى دجلة ، كما أحرقوا السفن التى كانت لهم فى « بلد » ، وسر معز الدولة لهزيمة أبناء ناصر الدولة وأقام ببرقعيد(١٢٠) يتلمس أخبار ناصر الدولة ، ولما بلغه أنه نزل بجزيرة ابن عمر سار اليها ، وفى الطريق لحق به حمدان ابن ناصر الدولة مستأمنا اليه(١٢١) كما قدم عليه فى « بلد » أبو الهيجاء حرب بن أبى حمدان طالبا الأمان وساروا جميعا الى نصيبين ، وفيها جاء أبو جعفر العلوى النصيبينى برسالة من ناصر الدولة يلتمس فيها الصلح ، فلم يجبه الى طلبه وفى هذا الوقت كان أبو تغب قد وصل الى الموصل غير أنه اضطر الى تركها بعد أن أبلغه قدوم معز الدولة اليها وتصميمه على

---

(١١٩) مسكويه : جـ ٦ ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، عقد الجمان : حوادث سنة ٣٥٣ هـ ص ١٧١ .

(١٢٠) برقعيد : بلدة كبيرة على طريق نصيبين مما يلى باعيناثا ، ويضرب المثل بأهل برقعيد فى اللصوصية . لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٣٠ .

(١٢١) مسكويه : جـ ٦ ص ٢٠٥

عدم مغادرتها الا بعد اخضاعهم وتوقيع صلح يحقق رغباته ، فكان ذلك مما حمل أبا تغلب على أن يرسل اليه يلتمس منه الصلح ، واستقر الرأى بعد تبادل المراسلات بينهما على أن يتولى أبو تغلب الموصل وديار ربيعة والرحبة والبلاد التى كان والده يدير شئونها مقابل أدائه ستة آلاف ألف ومائتى ألف درهم فى السنة ابتداء من سنة ٣٥٤ هـ الى سنة ٣٥٧ هـ وأن يدفع أبو تغلب عن بقايا سنة ٣٥٣ هـ ستمائة ألف درهم معجلة وأن يطلق سراح الأسرى الذين وقعوا فى أيديهم ويرسلوهم الى الحديثة(١٢٢) عند وصول معز الدولة اليها(١٢٣) .

دب الخلاف بين أفراد البيت الحمدانى ، حينما رأى بعضهم مهاجمة البويهيين فى العراق بعد وفاة معز الدولة سنة ٣٥٦ هـ (٩٦٧ م)(١٢٤) ، وتولية ابنه عز الدولة بختيار بسبب ما بلغهم من سوء سياسته(١٢٥) ، لكن والدهم ناصر الدولة نصحهم بالتريث وقال لهم : « لا تعجلوا ، فان معز الدولة قد خلف لابنه شيئا من المال سيفرقه على جنده ولستم بمستظهرين عليه ، ولا متمكنين من دولته ، الا بعد أن تفنى حيله ، وتخلوا يده من المال ، فاذا كان ذلك فسيروا اليه ، وكاثروه بالمال ، وأفسدوا عليه قلوب الرجال ،فانكم تملكونه لا محالة »(١٢٦) ، غير أن هذا القول لم يلق قبولا من أبناء ناصر الدولة ، واختلفت كلمتهم ، وأدى هذا الخلاف بينهم الى القبض على ناصر الدولة وسجنه سنة ٣٥٦ هـ (١٢٧) .

---

(١٢٢) الحديثه : على فرسخ فوق ملتقى الزاب الاعلى وتسمى حديثة الموصل تمييزا لها عن حديثة الفرات . لسترنج : بلدان الخلافة ص ١١٩

(١٢٣) مسكويه : ج ٦ ص ٢٠٦ .

(١٢٤) توفى معز الدولة ٢٧ ربيع الأول سنة ٣٥٦ هـ (١٤ فبراير ٩٦٧ م) .

(١٢٥) ابن الاثير : ج ٨ ص ٢٠٨

(١٢٦) راجع تجارب الأمم ج ٦ ص ٢٣٨ ، ابن الأثير : ج ٨ ص ٢٠٨

(١٢٧) سجن ناصر الدولة فى قلعة أردمشت فى ٢٤ جمادى الاولى سنة ٣٥٦ هـ (٩ مايو ٩٦٧ م) ثم لم يلبث أن نقل الى قلعة كواشى حينما

عمد أبو تغلب الى مداراة عز الدولة بختيار وتجديد عقد الضمان معه والتماس العهد والخلع ، ليستظهر بذلك على اخوته المخالفين ، فأرسل لذلك كاتبه أبا الحسن على بن عمرو بن ميمون الى بغداد لتجديد عقد الضمان مقابل ألف ألف ومائتى ألف درهم(١٢٨) أما حمدان بن ناصر الدولة ، فسار بعد وفاة عمه سيف الدولة من الرحبة الى الرقة ، واستولى عليها ، ثم خرج منها الى نصيبين وضمها الى حوزته ، ولما علم بالقبض على والده عظم ذلك عليه ، وغضب لما وقع من اخوته ، فجمع من أطاعه من أهله واخوته ، وطالب أبا تغلب واخوته بالافراج عن أبيهم ، واشتبك الاخوان فى قتال لم ترجح فيه كفة أحدهما على الآخر ، ثم اصطلحا ، وعاد كل منهما الى بلاده ، غير أن أبا تغلب أساء معاملة أخيه حمدان ،وصادر ضياعه ، ثم أرسل اليه أخاه أبا البركات لمحاربته ، فلما اقترب منه طلب معظم أصحاب حمدان الأمان ، مما اضطر حمدان الى الخروج من بلاده منهزما والمسير بأولاده ونساءه مستأمنا الى عز الدولة بختيار فى شهر رمضان سنة ٣٥٨ هـ (يوليه ٩٦٨ م) فأكرم وفادته وتوسط فى الصلح بينه وبين أخيه ، وأرسل النقيب أحمد الموسوى والد الشريف الرضى سفيرا فى الصلح بين ولدى ناصر الدولة ، حيث تم الصلح بين الأخوين وعاد حمدان الى الرحبه(١٢٩) ، ثم تجدد النزاع فى عنف وشدة بين أبى تغلب وحمدان واضطر حمدان الى السير الى بغداد لاجئا من جـــديد الى عز الدولة بختيـــار(١٣٠) .

= حاول ناصر الدولة الخروج من الاسر بعد ان وقع الكتاب الذى أرسله الى ابنه حمدان فى يد اخوته .
مسكويه : جـ ٦ ص ٢٥٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية / جـ ١١ ص ٢٦٧ .

(١٢٨) ابن الاثير : جـ ٨ ص ٢٠٨ .

(١٢٩) الرحبة : تقع بين الرقة وبغداد على قرب نهر يقال له سعيد كان يخرج من يمين الفرات جنوبى قرقيسياء .
لسترنج : بلدان الخلافة ص ١٣٧ .

(١٣٠) ابن الاثير : جـ ٨ ص ٢١٣ — ٢١٤ .

كان أبو تغلب ينقم على البويهيين لازدياد نفوذهم ، ويرجو ازالة سلطانهم فى العراق ، فلما قصد بختيار بلاد الموصل لمعاونة حمدان عليه ، انتهز فرصة ابتعاد بختيار عن بغداد وخلوها من جنده وقصدها وكاد أن يستولى عليها ، غير أن الحرب بينهما انتهت باقرار الصلح سنة ٣٦٣ هـ على أن يضمن أبو تغلب البلاد على ما كانت معه وأن يطلق لبختيار ثلاثة آلاف « كر » غلة عوضا عن مؤنة سفره ، وأن يرد على أخيه حمدان أملاكه واقطاعه(١٣١) ، ولما ولى عضد الدولة أمور العراق ، واستولى على الموصل وديار ربيعة وديار مضر سنة ٣٦٨ هـ ساءت العلاقة بينه وبين أبى تغلب(١٣٢) الذى عول على قصد دمشق ، بعد أن فقد بلاده فامتنعت عليه ، وتصدى له « دغفل بن مفرج الطائى » (أمير الرملة) والفضل بن صالح قائد جيش العزيز بالله الفاطمى بدمشق وأحلا به الهزيمة فى صفر سنة ٣٦٩ هـ (أغسطس ٩٧٩ م)(١٣٣).

على أن الحمدانيين ما لبثوا أن استعادوا الموصل وما يليها من البلاد فى سنة ٣٧٩ هـ على يد أبى طاهر ابراهيم بن ناصر الدولة وأخيه أبى عبد الله الحسين(١٣٤) ، لكنهم لم يبقوا فيها أكثر من سنة ، فقد طمع الأكراد فى ازالة دولتهم ، وعلى الرغم من قتل « باذ الكردى » أحد زعمائهم فان ابن أخته أبا على بن مروان تمكن من الانتصار على أبى عبد الله الحسين أخى أبى تغلب بن ناصر الدولة(١٣٥) ، وفى سنة ٣٨٠ هـ (٩٩٠ م) قتل أبو الدرداء محمد بن المسيب أمير بنى عقيل(١٣٦) ،

---

(١٣١) نفس المصدر : ص ٢٢٦ — ٢٢٨ .

(١٣٢) فقد رفض عضد الدولة اجابة طلبه فى ضمان بلاده .
ابن العميد : تاريخ المسلمين ص ٢٣٦ — ٢٣٧ ، ابن الاثير : جـ ٨ ص ٢٥٠ — ٢٥٣ .

(١٣٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ ١ ص ١٤١ .

(١٣٤) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص ١٧٤ — ١٧٥ .

(١٣٥) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى جـ ٣ ص ٢٠٩

(١٣٦) كان بنو عقيل من رعايا الحمدانيين ، يؤدون اليهم الاتاوة ويخرجون معهم فى الحروب ولكن سرعان ما تطلعوا الى السيطرة على الموصل ، بعد أن تطرق الضعف الى دولة بنى حمدان خاشع المعاضيدى : دولة بنى عقيل فى الموصل ص ٥٠ — ٥١ .

أبا طاهر بن ناصر الدولة واستولى على الموصل ، فأقره بهاء الدولة البويهى عليها . وبذلك زال سلطان الحمدانيين نهائيا من الموصل وحلت محلها دولة العقيليين(١٣٧) التى ظلت قائمة حتى سنة ٤٨٩ هـ .

---

(١٣٧) ابو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص ١٧٨ — ١٧٩ ، استولى ابو الدرداء من الحمدانيين سنة ٣٧٩ هـ على مدينتى نصيبين وبلد وضم اليهما الموصل سنة ٣٨٠ هـ ولكنه طرد منها على يد بنى بويه سنة ٣٨١ هـ الى أن استولى أخوه المقلد بن المسيب على الموصل سنة ٣٨٦ هـ وأقره بهاء الدولة على هذه البلاد وما يليها .
Lane poole : Muhammadan Dynasties pp. 116-117.

الدولة السامانية

ينتسب السامانيون الى أسرة فارسية عريقة فى المجد يرجع أصلها الى بهرام جوبين[١] الذى يعتبر من أنجب أبناء فارس[٢] .

اتصل سامان[٣] جد هذه الأسرة بالدولة الاسلامية فى عهد هشام بن عبد الملك ، فوفد على « أسد بن عبد الله القسرى »[٤] والى خراسان ، واعتنق الاسلام على يديه وسمى ابنه أسدا تبركا به[٥] .

ظهر أولاد أسد بن سامان فى عهد الخليفة المأمون الذى عرف

(١) ذكر ياقوت الحموى أن السامانيين ينسبون الى بهرام جور . معجم البلدان جـ ٥ ، ص ١٢ وذهب ابن الأثير : الكامل جـ ٧ ، ص ٩٩ ، والسمعانى : الانساب ورقة رقم ٢٨٦ (مخطوط) والكرديزى : زين الأخبار ص ١٤٥ — ١٤٦ والبيرونى : الآثار الباقية ، ص ٣٩ الى أن السامانيين ينسبون الى بهرام جوبين .

(٢) كريستنسن : ايران فى عهد الساسانيين ، ص ٤٢٧ — ٤٢٩ ، ترجمة : يحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٥٧ .

(٣) سمى : « سامان » نسبة الى قرية بناها هذا الجد بنواحى بلخ وسماها سامان وان كانت دائرة المعارف الاسلامية تردد أن الاسم مركب من « سامان خداه » بمعنى حاكم سامان النرشخى : تاريخ بخارى ص ٨٦ — ٨٧ ، لين بول : طبقات سلاطين الاسلام ، ص ١٢٨ ، ترجمه للفارسية عباس اقبال وترجمه عن الفارسية مكى طاهر ، مطبعة البصرى ، بغداد ١٩٦٨ ، دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ١١ ، ص ٧٦ .

(٤) وكان يلقب « ناصر المظلومين » .

أرمينيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٩٣ ، ترجمه احمد محمود الساداتى .

(٥) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص ٨٦ — ٨٧ ، ترجمه امين عبد المجيد ونصر الله الطرازى .

فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٩٣ ، لين بول : طبقات سلاطين الاسلام ، ص ١٢٨ .

منزلتهم[٦] ، فولى نوح بن أسـد[٧] سمرقند[٨] فى سنة ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م وأحمد بن أسـد فرغانه[٩] ، ويحيى بن أسد الشـاش[١٠] طشقند) وأشروسنة[١١] ، والياس على هراة[١٢] ، ولما ولى طاهر ابن الحسين بلاد خراسان أقرهم فى هذه الأعمال[١٣] .

أقر العباسيون أبناء أسد بن سامان على ولاياتهم ، فظل نوح

---

(٦) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٨٢ .

(٧) كان نوح عاملا على بخارى من قبل المأمون ، وهو الذى اهدى اليه طولون ابو احمد بن طولون فاهداه الى المأمون .

ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٣ ، ص ٣١١ — ٣١٢ .

(٨) سمرقند : وتقع على بعد مائة وخمسين ميلا شرقى بخارى .

ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ١٣٤ ، لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٥٠٦ .

(٩) فرغانة : كان يعرف الى وقت قريب بخانية خوقند ، وكانت قصبته مدينة « اخسيكث » التى سماها العرب فرغانة ، وتقوم على ضفة نهر سيحون الشمالية وبين فرغانة وسمرقند مائة وخمسة وعشرين ميلا ، ويقول ياقوت : « فرغانة قرية من قرى فارس » .

معجم البلدان جـ ٦ ، ص ٣٦٤ ، لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٥٢١ .

(١٠) الشاش : غرب فرغانة على ضفة نهر سيحون اليمنى ، ذكرت باسماء كثيرة منها الشاش وينطقها الفرس (جاج) وتاشكنت المحرف من الشاش الى تاش وتاشقند وتاشكنت ومعناها « مدينة الحجر » مع أن الحجر لا يكاد يوجد بتلك المنطقة .

لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٥٢٣ — ٥٢٤ ، بارتولد : تاريخ الترك فى آسيا ، ص ٨٣ .

(١١) أشروسنة : وتكتب اسروسنة ، وسروسنة ، وستروشنة ، وتقع شرق سمرقند ، وكانت قصبتها « بنجكث » : لسترنج ، ص ٥١٧ — ٥١٨ .

(١٢) وكان ذلك مكافاة لهم على جهودهم فى مساندة الخلافة العباسية فى القضاء على ثورة رافع بن الليث الذى خرج على أبيه هارون الرشيد الذى مات قبل أن يقضى عليه ، وبعد أن فشل قائد المأمون خزيمة بن الخازم فى القضاء عليه أيضا .

فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٩٠ — ٩١ .

(١٣) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص ٧٤ ، الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٦ — ١٧ ، ابن الأثير : جـ ٧ ، ص ٩٩ .

ابن أسد حاكم سمرقند فى ولايته الى أن توفى سنة ٢٢٨ هـ/٨٤٢ م[١٤] حيث خلفه أخوه أحمد[١٥] أما يحيى بن أسد فظل يحكم الشاش وأشروسنه حتى سنة ٢٥١ هـ / ٨٦٥ م ، كما ظل الياس بن أسد يلى هراة الى وفاته سنة ٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م[١٦] .

علا شأن أحمد بن أسد من بين اخوته وصار يلى حكم فرغانة وقسما من الصفد وسمرقند[١٧] وكان لأحمد بن أسد سبعة أولاد ؛ اشتهر منهم نصر بن أحمد واسماعيل بن أحمد ، فلما توفى أحمد سنة ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م خلفه ابنه نصر[١٨] ثم أصبح واليا على بلاد ما وراء النهر من قبل الخليفة المعتمد سنة ٢٦١ هـ / ٨٧٤ م[١٩] ، ولم يلبث أن ولى أخاه اسماعيل بن أحمد[٢٠] على بخارى[٢١] .

أقام اسماعيل بن أحمد فترة من الزمن فى بخارى ، ثم سار الى سمرقند بدون اذن من أخيه ، واعتبر نصر هذا التصرف اهانة له ، فساءت العلاقات بينهما[٢٢] .

---

(١٤) السمعانى : الأنساب، ورقة ٢٨٦ (مخطوط) .
(١٥) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٩٤ .
(١٦) ، (١٧) السمعانى : الأنساب ، ورقة ٢٨٦ (مخطوط) .
(١٨) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٩٤ .
(١٩) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٧ ، ص ٩٩ .
يذكر فامبرى : أنه قد تم لبلاد ما وراء النهر ولتركستان وحدتها بالمرسوم الذى أصدره الخليفة المعتمد بتولية نصر امارة بلاد ما وراء النهر ، وجعل له كل البلاد الممتدة من شواطىء جيحون حتى أقصى بلاد المشرق .
تاريخ بخارى ، ص ٩٥ .
(٢٠) ابن الأثير : جـ ٧ ، ص ٩٩ .
(٢١) غزا حسين بن طاهر أميرخوار زم بخارى سنة ٢٥٩ هـ فأعمل السلب والنهب ، فاستنجد أهلها بنصر السامانى ، فسير اليهم أخاه اسماعيل الذى دخل بخارى وخطب فيها باسم نصر فى غرة رمضان سنة ٢٦٠ هـ (يونية ٨٧٣ م) .
النرشخى : تاريخ بخارى ، ص١٠٧ — ١٠٩ .
فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٩٤ — ٩٥ .
(٢٢) يذكر النرشخى أن القطيعة استمرت بين الأخوين حتى شفع له ابن عمه محمد بن نوح وعبد الجبار بن حمزة ، تاريخ بخارى ، ص ١١٠ .

عمل اسماعيل بعد قدومه الى بخارى على تحسين علاقته مع رافع ابن هرثمة[٢٣] ، حتى أنه لما طلب من رافع أن ينزل له عن خوارزم أجابه الى ما أراد ، واتخذ الوشاة من سياسة اسماعيل فى التقرب من رافع بمثابة تحالف ضد نصر بن أحمد فأخبراه بأن هدف اسماعيل من صداقته لرافع هى اخراجه من بلاد ما وراء النهر[٢٤] ، ورأى نصر من ناحيته أن يختلق سببا لاثارة أخيه اسماعيل ، فاتهمه بالتقصير فى دفع الخراج اليه ، واتخذ من ذلك مبررا لمهاجمته بجيشه ، مما أضطر اسماعيل الى الفرار الى بيكند[٢٥] ، عبر فاراب[٢٦] ، حيث أوفد رسولا الى حليفه رافع بن هرثمة ، الذى سار بدوره فعبر جيحون متوجها صوب بخارى ، غير أن رافع خشى أن يعود الوئام بن نصر واسماعيل فيتفقا عليه ، ومن ثم عمد الى التوسط بينهما[٢٧] ، فتصالحا ، وكانت شروط الصلح تقضى بأن يكون أمير بخارى اسحاق ابن أحمد ، ويكون اسماعيل عاملا على الخراج ، وأن يدفع كل سنة خمسمائة ألف درهم .. ثم عاد نصر بن أحمد الى سمرقند فى سنة ٢٧٣ هـ / ٨٨٥ م[٢٨] .

على أن الحرب بين الأخين ما لبثت أن تجددت ، ولما يمض

---

(٢٣) وكان ثائرا اقطاعيا فصار عاملا للخليفة على خراسان .
فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٩٦ .

(٢٤) دائرة المعارف الاسلامية ، ج ١١ ، ص ٧٨ .
، فامبرى : تاريخ بخارى ، هامش ص ٩٥ .

(٢٥) بيكند : بلدة بين بخارى وجيحون على مرحلة من بخارى ، وكانت منيعة ، فقد بلغ عدد الرباطات (جمع رباط) بها نحو الف رباط .
ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٣٩ — ٣٤٠ .

(٢٦) فاراب : ولاية وراء نهر سيحون فى تخوم بلاد الترك ، ويذكر لسترنج انها على ضفة سيحون الشرقية ، وينسب الها ابو نصر الفارابى المتوفى سنة ٣٣٩ هـ بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٥٢٨ ، ياقوت : ج ٦ ، ص ٣٢٢ .

(٢٧) ، (٢٨) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص ١١٣ — ١١٤ ، فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٩٦ — ٩٧ ، ابن الاثير : الكامل ج ٧ ، ص ١٠٠ .

على الصلح خمسة عشر شهرا ، فبادر نصـر بالعدوان فى سـنة ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م بحجة أن اسماعيل لم يرسل شيئا من الأموال التى اتفق عليها ، غير أن اسماعيل احتاط بامدادات من خوارزم[٢٩] ، وانجلت المعركة بانهزام اسحاق بن أحمد والى بخارى من قبل نصر بن أحمد ، وسار الى فاراب[٣٠] .

عاد نصر بن أحمد مرة ثانية لقتال اسماعيل ، لكن اسـماعيل تمكن من احراز النصر على جيش فرغانة بقيادة أبى الأشعث فى النصف الثانى من عام ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م ، وكاد نصـر أن يلقى حتفه على يد جماعة من الخوارزميين[٣١] ، ولمـا حمل الى اسماعيل قال له : أيها الأمير انها أرادة الله التى شاءت أن أراك اليـوم وأنت فى الأسر » فأجابه نصر بقوله : « بل هى ارادتك أنت اذ خرجت على سـيدك وأذنبت بذلك فى حق الله عز وجل » هنالك أقر اسماعيل بجرمه وسأله أن يصفح عنه وعرض عليه أن يسيره من فوره الى مقر ولايته ، واستقر الرأى بينهما على مسير نصر الى سمرقند[٣٢] ، وظل اسماعيل نائبا عنه فى بخارى[٣٣] .

بسط اسماعيل بن أحمد سلطانه على خوارزم وبلاد ما وراء النهر عام ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ — ٨٩٤ م عقب وفاة أخيه ، وظل مقيما فى بخارى[٣٤] وأقره الخليفة المعتضـد فى امارته فى المحرم سـنة

---

(٢٩) فامبرى : ص ٩٧ .
(٣٠) النرشخى : ص ١١٤ — ١١٥ .
(٣١) فامبرى : ص ٩٧ .
(٣٢) وذلك قبل ان تصل انباء الحادث الى سمرقند ، فلا تتعرض هيبته فيما وراء النهر الى شىء من المهانة .
النرشخى : تاريخ بخارى ، ص ١١٥ ، ١١٦ ، فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٩٨ .
(٣٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٧ ، ص ٩٩ ، ١٠٠ .
(٣٤) بعد أن عهد بحكومة سمرقند الى احد ابناء نصر .
فامبرى : ص ٩٨ .

٢٨٠ هـ[٣٥] .

اتسعت رقعة الدولة السامانية فى عهد اسماعيل بن أحمد حتى غدت بخارى حاضرة كل ولايات آسيا الوسطى ، ذلك أن سلطانه امتد شمالا حتى مشارف صحراء قراقورم وشرقا حتى وديان تيان شان ، وجنوبا حتى الخليج الفارسى وحدود الهند الشمالية وغربا الى ما وراء العراق العجمى[٣٦] ، وأصبح عمال اسماعيل هم أصحاب الأمر والنهى فى مرو ونيسابور والرى وآمل وقزوين وأصفهان وشيراز ، غير أن الحروب التى خاض غمارها لتثبيت ذلك الملك الواسع ، أنهكت قواه فتوفى سنة ٢٩٥ هـ وهو فى الحادية والستين من عمره بعد أن حكم أربعة وثلاثين سنة[٣٧] .

لم يظهر بعد اسماعيل بن أحمد أمير قدير من السامانيين ، ولكن حسن ادارتها واستقرار حكمهم فى بلاد ما وراء النهر ، مكنهم من المحافظة على ملكهم مدة مائة سنة ، فقد أقر الخليفة المكتفى أحمد بن اسماعيل على ولاية أبيه ، وخلع عليه فى ذى القعدة سنة ٢٩٥ هـ[٣٨] وبدأ عمله بعد توليه زمام الحكم بالقبض على عمه اسحاق بن أحمد — أمير سمرقند ، وحبسه فى بخارى ، اذ كان يتوقع تآمره عليه[٣٩] ، ثم سار الى طبرستان ، وكانت قد ساءت علاقته مع واليها « بارس الكبير »[٤٠] ، الذى جمع أموالا كثيرة من خراج الرى وطبرستان وجرجان واستولى عليها ، بعد وفاة اسماعيل ، فلما خلفه ابنه أحمد عمل على استرداد هذه الأموال من « بارس » ، فلما سار اليه كتب « بارس » الى الخليفة المكتفى يستأذنه فى المسير اليه فأذن له فاتجه « بارس » الى بغداد فى أربعة آلاف فارس[٤١] .

---

(٣٥) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص ١١٦ — ١١٧ .
، فامبرى : ص ٩٨ .
(٣٦) فامبرى : ص ١٠٤ .
(٣٧) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١٠٤ ، ١١٠ .
(٣٨) الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٤٨ .
(٣٩) الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٤٨ .
(٤٠) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١١٢ .
(٤١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٣ .

لم يغضب الأمير السـامانى أحمد بن اسماعيل لهرب عامله « بارس » بقدر ما غضب لخروج أمواله من يده[٤٢] ، وعين أبا العباس ابن عبد الله واليا على خراسان ، وكان يتميز بكفايته الادارية حتى أن النـاصر الأطـروش[٤٣] العـلوى لم يسـتطع فى أيامـه منـاوئة السـامانيين[٤٤] .

أولى أحمد بن اسماعيل طبرستان عناية خاصة ، فولى عليها محمد ابن نوح ، فأحسن السيرة فيها وأكرم من بها من العلويين ، وراسـل زعماء الديلم وهادنهم واستمالهم ثم ما لبث أن عزله الأمير السامانى ، وولى طبرستان « سـلاما » الذى لم يحسن سياسة أهلها ، فثار عليه الديلم ، ومع أنه قاتلهم وهزمهم الا أن أحمد بن اسماعيل عزله وأعاد « محمد بن نوح » اليها فدانت له بالطاعة[٤٥] .

ولى طبرستان بعد وفاة محمد بن نوح ، أبو العباس محمد بن ابراهيم سنة ٢٩٨ هـ فلم يحسن سياسة أهلها ، مما أغضب الديلم لتنكره لرؤسائهم ، فأنتهز الحسن بن على الأطروش الفرصة وأثار الديلم عليه ودعاهم الى الخروج معه فأطاعوه[٤٦] ، لذلك أنفذ أحمد ابن اسماعيل السامانى فى سنة ٢٩٨ هـ جيشا بقيادة « محمد بن ابراهيم »

---

(٤٢) بينما كان « بارس » فى طريقه الى بغداد توفى الخليفة المكتفى وخلفه المقتدر الذى طمع فى الأموال التى هرب بها « بارس » وتمكن من الاستيلاء عليها بعد ان تمكن من قتله .
فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١١٢ .

(٤٣) قدم الأطروش على طبرستان فى عهد الداعى الحسن بن زيد العـلوى .
المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٤ ، ص ٢٩٤ .
، دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٣٠٩ .

(٤٤) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١١٢ .

(٤٥) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٢٨ — ٢٩ .

(٤٦) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٢٩ .

الى طبرستان لكن الديلم بقيادة الأطروش أوقعوا به عند شالوس[٤٧] فى جمادى الآخرة سنة ٣٠١ هـ (ديسمبر ٩١٣ م)[٤٨] وقتل من أصحاب « محمد بن ابراهيم » نحو أربعة آلاف رجـل ، وحاصر الأطروش الباقين ، ثم أمنهم واستولى على طبرستان ، وخرج محمد بن ابراهيم الى الرى سنة ٣٠١ هـ[٤٩] .

لما توفى أحمد بن اسماعيل خلفه ابنه أبو الحسن نصر (الذى لقب فيما بعد بالسعيد) وكان فى الثامنة من عمره[٥٠] ، وقد استصغر الناس الأمير الجديد واستضعفوه واعتقدوا أن أمره لا ينتظم مع وجود عم أبيه أسحق بن أحمد بن أسد — صاحب سمرقند — الذى استمال أهالى بلاد ما وراء النهر — عدا بخارى — اليـه ، وأرسل هو وبعض أمراء البيت السامانى الى الخليفة العباسى المقتدر يسأله كل منهم امرة ناحية من نواحى خراسان ، لكن الخليفة أقر نصـرا على بلاد أبيه ، وأقر اللقب الذى تلقب به وهو السعيد[٥١] .

واجه الأمير السعيد فى بداية حكمه خطر عمه اسحق الذى كان ينافسه فى حكم بلاد الدولة السامانية[٥٢] ، فاتجه بعد أن مكن لنفسه فى سمرقند الى بخارى أملا فى الاستيلاء عليها ، وتولى ابنه الياس

---

(٤٧) شالوس : مدينة بجبال طبرستان بينها وبين الرى ثمانية فراسخ وبين شالوس وآمل عشرون فرسخا .
ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢١٦ .
(٤٨) ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ٢٩ .
، دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٣١٠ .
(٤٩) ابن الأثير : ج ٨ ، ص ٢٩ .
(٥٠) ابن الأثير : ج ٨ ، ص ٢٧ .
(٥١) قام بضبط بلاده ابو عبد الله محمد بن احمد الجيهانى ، فاحسن سياسة الدولة وادارة شئونها .
الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٥٠ ، ابن الأثير : ج ٨ ، ص ٢٧ .
، النويرى : نهاية الأرب ، ج٢٣ ، ص ١٧٥ (مخطوط) .
(٥٢) نامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١١٣ .
، الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٥٠ .

قيادة الجيش ، ورأى السعيد أن الأمر يتطلب عملا سريعا ، فبعث قائد جيوشه « حمويه بن على » لمحاربة اسحق الذى انهزم فى أول الأمر ، وتمكن جيش السعيد من دخول سمرقند والتغلب على جيش اسحق الذى انتهت حياته فى بخارى[٥٣] . وهدأت الأحوال فى خرسان وما وراء النهر بعد وفاته ، وأقيمت الخطبة باسم السعيد فى فارس وكرمان وطبرستان وجرجان[٥٤] .

على أن الأمور لم تستقر لنصر الثانى ، فقد ثار عليه قائده أحمد بن سهل[٥٥] فى نيسابور واستولى عليها وأسقط خطبة نصر[٥٦]، وسار من نيسابور الى جرجان ، واستولى عليها ، ثم عاد الى خراسان وقصد مرو وضمها الى حوزته وبنى عليها سورا وتحصن بها ، فأرسل اليه السعيد نصر الجيوش مع حمويه بن على من بخارى فوافى مرو الروز[٥٧] ، وأقام بنواحيها وحاصرها[٥٨] .

تحصن ابن سهل بمرو ، ولم يفلح « حمويه » فى اخراجه من حصنه[٥٩] ، فأرسل اليه بعض قواده لاستمالته ، فمال اليهم وخرج

---

(٥٣) زين الأخبار ، ص ١٥١ .
، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٢٨ .
(٥٤) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص ٩٢ .
(٥٥) هو احمد بن سهل بن هاشم بن جبله ، التحق بخدمة عمرو بن الليث الصفار فى أول الأمر الى ان صار واليه على مرو ، ثم غضب عليه عمرو واعتقله بسجستان ولكنه تمكن من الهرب الى مرو ، وبعد أن الحق اسماعيل السامانى الهزيمة بعمرو بن الليث ، التحق بخدمة اسماعيل بن احمد ودخل فى طاعته فاكرمه وظل كذلك حتى عهد السعيد نصر بن أحمد .
الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٥١ — ١٥٢ .
، ابن الأثير : جـ ٨ ، ص ٤٠ — ٤١ .
(٥٦) النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٣ ، ص ١٧٦ (مخطوط) .
(٥٧) الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٥٢ .
، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٤١ .
(٥٨) نهاية الأرب جـ ٢٣ ، ص ٧٦ ١، زين الأخبار ، ص ١٥٢ ، الكامل ، جـ ٨ ، ص ٤١ .
(٥٩) نهاية الأرب جـ ٢٣ ، ص ١٧٦ .
، الكامل ، جـ ٨ ، ص ٤١ .

معهم من مرو الى حمويه فى رجب سنة ٣٠٧ هـ (نوفمبر / ديسمبر ٩١٩ م) ، ثم دارت بين الفريقين عـدة معارك انتهت بهزيمتـه وأسره[٦٠] .

كان دعاة الاسماعيلية فى فارس وشرق الدولة الاسلامية يبذلون جهودا كبيرة لجذب كبار الأمراء الى زعيمهم عبيد الله المهدى ، ومن بين هؤلاء الدعاة أبو عبد الله محمد ابن أحمد النسفى وكان عالمـا أديبا اشتهر بحرية الرأى ، استطاع أن يضم الى الاسماعيلية كثيرا من أهالى خراسان ، ولم يكتف بما أحرزه من نجاح فى هذا الاقليم ، بل عبر نهر جيحون واتجه الى بخارى حيث لقى معاونة من كبـار رجال الدولة السامانية ، وبفضل هؤلاء استطاع النسفى الوصـول الى نصر الثانى بن أحمد السـامانى الذى رحب بمبادئه ودعاه لمقابلته ، وكان السعيد نصر الثانى من أكبر معارض المذهب الاسماعيلى فى بادىء الأمر ، فقبض على أستاذ النسفى الحسين بن على المروزى وسجنه وظل مسجونا حتى توفى[٦١] ، غير أن النسفى استطاع بدهائه وحسن سياسته أن يستميل السعيد نصر الثانى الى جانب الخليفـة الفاطمى عبيد الله المهدى ليبرهن له عـلى اخلاص نصر للدعـوة الاسماعيلية وفى ذلك يقول ابن النديم[٦٢] : « لمـا تمكن الحسين بن على المروزى من بلاد خراسان حبسه نصر بن أحمد ، فمات فى حبسه ،

---

(٦٠) نهاية الارب ، جـ ٢٣ ، ص ١٧٦ .
، زين الأخبار ، ص ١٥٢ .
، الكامل ، جـ ٨ ، ص ٤١ .
(٦١) حسن ابراهيم حسن طه احمد شف : عبيد الله المهـدى ، ص ٢٤٨ — ٢٤٩ .
، جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٨٣ .
(٦٢) الفهرست ، ص ٢٦٦ ، جمال سرر : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٨٣ .
ازداد اعزاز نصر بن احمد للنسفى بعد ان استجاب لدعوته ولم يعد يطيق فراقه . لحظة نظام الملك الطوسى : سياسة نامه ، ص ٢٦٦ ، ترجمة السيد محمد العزاوى .

فخلفه النسفى ، واستغوى نصر بن أحمد وأدخله فى الدعوة وأغرمه دية المروزى مائة وتسعة عشر دينار فى كل دينار ألف دينار ، وزعم أنه ينفذها الى صاحب المغرب القيم بالأمر » وكان ذلك سنة ٣٣٠هـ / ٩٤١ م .

وليس أدل على ميل السعيد نصر الثانى بن أحمد السامانى الى الدعوة الاسماعيلية من ذلك الكتاب الذى أرسله الى عبيد الله المهدى يعترف فيه بسلطته الروحية ويعد بامداده بالرجال ، وقد قال فى كتابه : « أنا فى خمسين ألف مملوك يطيعوننى وليس على المهدى بهم كلفة ولا مئونة ، فان أمرنى بالمسير سرت اليه ووقفت بسيفى ومنطقتى بين يديه وأمتثلت لأمره »[٦٣] .

ازداد نفوذ النسفى فى عهد السعيد نصر الثانى حتى أصبح صاحب الأمر والنهى فى دولته فاستغل هذا المركز لمضاعفة جهوده فى نشر الدعوة الاسماعيلية مما أثار عليه حفيظة كبار رجال الدولة السامانية من السنيين ، وخاصة بعض القواد والعلماء الذين أخذوا يكيدون له ولأنصار المذهب الاسماعيلى[٦٤] .

لما وقف الأمير نصر الثانى على الخطر المحدق به ، نزل عن الامارة سنة ٣٣١ هـ لابنه نوح[٦٥] الذى وجه اهتمامه الى القضاء على الدعوة الاسماعيلية وأنصارها فى بلاده فدعا الفقهاء لمناظرة النسفى ، فلما تغلبوا عليه بحججهم أمر بقتله وقتل كثيرين من القواد الذين دخلوا فى المذهب الاسماعيلى(٦٦) .

---

(٦٣) حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص ٤١٧ .

(٦٤) نظام الملك : سياسة نامة ، ص ٢٦٦ — ٢٧١ .

(٦٥) سياسة نامة ، ص ٢٦٦ — ٢٧١ .
ذكر ابن الأثير ، جـ ٨ ، ص ١٤٢ أن نصر بن احمد استمر فى الحكم الى أن مات سنة ٣٣١ هـ دون أن يشير الى حادثة التنازل عن الامارة ، كذلك أورد النرشخى : تاريخ بخارى ، ص ١٤٢ أن نصرا مات مقتولا فى عام ٣٣٠ هـ دون بيان سبب قتله .

(٦٦) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، ص ٨٤ .
، البغدادى : الفرق بين الفرق ، ص ٢٧٥ — ٢٧٧ .

توفى السعيد نصر بن أحمد سنة ٣٣١ هـ (٩٤٣ م) بعد أن امتد حكمه زهاء ثلاثين عاما قضاها فى كفاح متواصل لتأمين الدولة فى الداخل والخارج ، ساعده فى ذلك المخلصون من قادته ووزرائه من أمثال حمويه بن على ومحمد بن المظفر بن محتاج وابنه أحمد والبلعمى والجيهانى ومحمد بن حاتم المصعبى وأبو الفضل محمد بن محمد الذى اشتهر بلقب حاكم الشهيد(٦٧) ويصف ابن الأثير(٦٨) نصر بن أحمد بأنه كان على جانب عظيم من حسن الخلق وكان حليما عاقلا .

ولى نوح بن نصر السامانى بلاد خراسان وما وراء النهر فى شهر شعبان سنة ٣٣١ هـ (أبريل ٩٤٣ م)(٦٩) وكان نصر قد جعل ولاية العهد من بعده لابنه الأصغر ، لكن خلفه فى الحكم أخوه الأكبر نوح الذى لقب بالامير الحميد(٧٠) . وقد استهل امارته بالعفو عن بعض الأمراء الذين كان يحقد عليهم فى حياة أبيه ليتألف القلوب من حوله(٧١) ، غير أن هؤلاء الأمراء ما لبثوا أن استغلوا ضعف الدولة السامانية ، وطمعوا فيها ، واستقل كل منهم بناحية ، فواجه الأمير نوح بن نصر من جراء ذلك مصاعب كثيرة ، فسار الى نيسابور فى رجب سنة ٣٣٣ هـ وقبض على أميرها أبو على الأصفهانى وهزم المتمردين وبدد شملهم وأسند حكم نيسابور لابراهيم بن سيمجور الدواتى(٧٢) ، كما أن أبا اسحق أحمد سار الى بخارى وأظهر العصيان ، فعاد الأمير نوح الى بخارى واشتبك مع أبى اسحق أحمد ، فانهزم نوح بن نصر ، ودخل أبو اسحق بخارى ظافرا منتصرا سنة ٣٣٥ هـ وبايعه جميع أهلها وأقيمت الخطبة باسمه على منابر

---

(٦٧) الكرديزى : زين الاخبار ، ص ١٥٤ .
(٦٨) الكامل : جـ ٨ ، ص ١٤٢ .
(٦٩) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص ١٢٩ .
، الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٥٤ .
، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٤٢ .
(٧٠) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١١٥ .
(٧١) فامبرى : ص ١١٥ .
(٧٢) الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٥٥ .

بخارى ، على أنه لم ينعم بالحكم طويلا اذ خرج عليه جنده ، وأعلنوا ولاءهم للأمير نوح بن نصر ، وبذلك خمدت هذه الفتنة[٧٣] .

ومن الصعوبات التى واجهت الأمير الحميد نوح ، خروج القائد السامانى أبو على بن محتاج الذى تمكن من صد ركن الدولة الحسن ابن بويه عن الرى[٧٤] ، وخلت له هذه المدينة ، ورأى على بن بويه أن يستغل الخلاف بين الامير نوح وابن محتاج لصالحه فأرسل الى الأمير نوح يعرفه عدم أهمية الرى بالنسبة له وسأله أن يضمنه أعمالها عشر سنين بمثل ما تقرر عليه بينه وبين ابن محتاج زيادة مائة ألف دينار فى كل سنة ، على أن يقرضه مال سنة ، وتعهد على بن بويه بأن يعاون الأمير نوح ضد ابن محتاج حتى يظفر به[٧٥] ، فأنفذ نوح بن منصور رسوله على بن موسى المعروف بالرزاز الى عماد الدولة على بن بويه ، وذلك بعد أن قبض على أخوة أبى على بن محتاج وأهله وقتل بعضهم[٧٦] ، وبعث عماد الدولة الى ابن محتاج يؤكد له أنه لا زال على عهده معه وحذره من غدر نوح ، فكان ذلك مما حمل ابن محتاج على أن يرسل الى ابراهيم بن أحمد السامانى (عم نوح) وكان مقيمـا عند الحمدانيين بالموصل ــ يعرفه بأنه عقد له الرياسة عليهم وأن تكون له خراسان مقابل أن يمضى معه لحرب نوح[٧٧] وكان ذلك فى أواخر أيام الخليفة المستكفى[٧٨] .

توجه ابراهيم بن أحمد السامانى الى همذان سنة ٣٣٤ هـ والتقى بأبى على بن محتاج الذى سار معه الى خراسان[٧٩] التى ما لبثت

---

(٧٣) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص ١٢٩ .
، الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٥٥ .
(٧٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٥٨ — ١٥٩ .
(٧٥) مسكوية : تجارب الأمم ، جـ ٦ ، ص ١٠٠ .
(٧٦) تجارب الأمم ، جـ٦ ، ص ١٠١ .
(٧٧) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٦٤ .
(٧٨) مسكوية : تجارب الأمم ، جـ ٦ ، ص ١٠١ .
(٧٩) ابن الأثير : جـ ٨ ، ص ١٦٤ .
، مسكوية : جـ ٦ ، ص ١٠٢ .

أن ثارت على نوح بن نصر[٨٠] ، ولما تجلى عداء أبى على بن محتاج لنوح بن نصر أرسل عماد الدولة على بن بوية رسولا من قبله الى نوح ، يخبره بأنه سيعهد الى ركن الدولة بمعاونته فى محاربة ابن محتاج وحليفه ابراهيم بن أحمد السامانى ، وقد استمرت الحرب بين نوح وابن محتاج فترة طويلة[٨١] ، حيث تمكن ابن محتاج من الاستيلاء على نيسابور ومرو وبخارى سنة ٣٣٥ هـ ، وخطب فيها لابراهيم بن أحمد السامانى ، غير أن ابراهيم السامانى سرعان ما آثر خلع نفسه واتفق مع نوح بن نصر على أن يتقلد امرة جيشه[٨٢] .

لما توفى الأمير الحميد نوح بن نصر فى ربيع الآخر ٣٤٣ هـ (أغسطس ٩٥٤ م)[٨٣] خلفه ابنه عبد الملك المقلب بالرشيد[٨٤] ، فأسند الى « بكر بن مالك » امرة الجيوش[٨٥] فى خراسان ، وسيره لاخراج أبى على بن محتاج منها ، وخدمت الظروف « بكر بن مالك » فقد تفرق رجال ابن محتاج عنه ، وعادوا الى طاعة الأمير السامانى عبد الملك ، وظل أبو على فى مائتى رجل من أصحابه سوى من انضم اليه من الديلم ، وأضطر الى المسير الى ركن الدولة بالرى مستجيرا به[٨٦] .

ظل أبو على بن محتاج مقيما عند ركن الدولة ، الذي توسط لدى الخليفة العباسى المطيع لاقرار سلطة أبى على فى خراسان ،

---

(٨٠) مسكوية : جـ ٦، ص ١٠٢ .
(٨١) ابن الأثير : جـ ٨ ، ص ١٦٥ .
(٨٢) ابن الأثير : جـ ٨ ، ص ١٦٥ .
(٨٣) مسكوية : تجارب الأمم ، جـ ٦ ، ص ١٥٤ — ١٥٧ .
، الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٥٤ — ١٥٩ .
(٨٤) وكان اذ ذاك فى العاشرة من عمره .
نامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١١٦ — ١١٧ .
(٨٥) هو ابو سعيد بكر بن مالك الفرغانى .
الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٥٩ .
(٨٦) يذكر مسكوية أن ركن الدولة استقبل ابى على واحسن وفادته .
تجارب الأمم ، جـ ٦ ، ص ١٥٧ .

وعاونه فى ذلك معز الدولة البويهى ، فأرسل الخليفة العباسى تقليد ولاية خراسان لأبى على سنة ٣٤٣ هـ (٩٥٤ م)[٨٧] .

حاول الأمير الرشيد عبد الملك بن نوح أن يحتفظ بنفـــوذ السامانيين فى غربى الدولة . غير أن « أشعث بن محمد » وكان من خيرة قواده ، لم ينجح الا فى مصالحة الديلم وركن الدولة على شروط معقولة دون أن يحملهم على الولاء للأمير السامانى الذى لم يلبث أن توفى فى شوال ٣٥٠ هـ (نوفمبر ٩٦١ م)[٨٨] ، فآلت السلطة من بعده لأخيه أبى صالح منصور بن نوح الملقب بالأمير السديد[٨٩] ، فبدأت الفتنة فى خراسان وتطرق الضعف الى الدولة السامانية[٩٠] .

ومن العوامل التى ساعدت على انحلال الدولة السامانية خروج بعض ولاتها عليها من أمثال البتكين الذى نشـــأ مملوكا فى بـــلاط السامانيين ، ثم أخذ يترقى حتى بلغ منصب الوزارة بعد أن ولى نيسابور ، وبدلا من أن يساند الدولة السامانية ويحفظ كيانها ، عمد الى مهاجمة أميره منصور بن نوح فى جيش كبير ، غير أنه تعذر عليه عبـــور نهر جيحون فى بداية الأمر مما أضطره الى العودة الى غزنه[٩١] ، الا أن التوفيق حالفه فى محاولته الثانية حتى أضطر الأمير منصور أن يصالحه على أن تصير له نيسابور على خـــراج سنوى قدرهخمسون ألف دينار[٩٢] .

---

(٨٧) مسكوية : جـ ٦ ، ص ١٥٤ — ١٥٧ ، الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٥٩ .
لم يلبث ابو على بن محتاج أن توفى فى آخر رجب سنة ٣٤٤ هـ . زين الأخبار ، ص ١٦٠ .
(٨٨)وكان ذلك اثر سقوطه من فوق جواده .
الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٦١ ، فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١١٧ .
(٨٩) السديد : أى العادل . فامبرى : ص ١١٧ .
(٩٠) مسكوية : تجارب الأمم ، جـ ٦ ، ص ١٨٩ .
(٩١) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص ١٣٧ ، فامبرى : ص ١١٧ .
(٩٢) فامبرى : ص ١١٧ .

وفى عهد الأمير منصور شق أهل سجستان عصا الطاعة على أميرهم خلف ابن أحمد وولوا مكانه رجلا من أصحابه يدعى طاهر بن الحسين[٩٣] ، فاستنجد خلف بالأمير منصور الذى أمده بجيش استرد به هذه البلاد لكنه لم يلبث أن طرد منها ، ثم استردها ثانية بمعونة السامانيين ، الا أن الأمير خلف لم يلبث أن ساءت علاقته بالسامانيين ، فقامت الحروب بين الفريقين ، واستمرت سبع سنوات انتهت بالصلح واعادة الخطبة لمنصور بن نوح ، الأمر الذى يوضح مدى الضعف الذى تطرق الى البيت السامانى[٩٤] .

كذلك قامت الحرب فى جهات الرى بين منصور بن نوح وركن الدولة الحسن بن بويه[٩٥] ، ذلك أن أبا على « محمد » بن الياس أطمع منصور بن نوح[٩٦] فى بلاد الديلم وزعم له أن قواد جيوش ركن الدولة لا يطيعونه ، فطلب الأمير منصور من وشمكير بن زيار والحسن ابن الفيرزان المسير لمحاربة ركن الدولة وأمدهما بالجيوش ، وانتهت الحرب بين الفريقين سنة ٣٦١ هـ بالصلح[٩٧] ، الذى تضمن أن يرسل ركن الدولة وابنه عضد الدولة الى الأمير منصور السامانى مائة وخمسين ألف دينار كل سنة[٩٨] .

---

(٩٣) ذلك ان خلف بن احمد ذهب الى الحج سنة ٣٥٣ هـ واستخلف على أعماله طاهر بن الحسين وكان من اصحابه ، فطمع طاهر فى الملك وعصى خلف لما عاد من الحج ، فسار خلف الى بخارى واستنصر بالأمير منصور بن نوح .
ابن الأثير : جـ ٨ ، ص ٢٠١ .

(٩٤) ابن الأثير : جـ ٨ ، ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٩٥) ابن الأثير : جـ ٨ ، ص ٢٠٧ .

(٩٦) كان ابن الياس عامل البويهيين فى كرمان فلما خرج عليهم قصده عضد الدولة فهرب الى خراسان ، ولقى الأمير منصور فشجعه على المسير الى بلاد الديلم .
مسويكة : تجارب الأمم ، جـ ٦ ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

(٩٧) مسكوية : تجارب الأمم ، جـ ٦ ، ص ٢٣٣ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، النرشخى : تاريخ بخارى ، ص ١٣٤ .

(٩٨) ابن الأثير ، جـ ٨ ، ص ٢٢٥ .

لمـا توفى منصور بن نوح فى منتصف شهر شوال[٩٩] سـنة ٣٦٦ هـ[١٠٠] (يونية ٩٧٧ م) واجه ابنه نوح الثانى[١٠١] بن منصور الملقب بالسعيد أبى القاسم عدة صعاب بسبب ضعف نفوذ السامانيين ، فقام بأمر الدولة السامانية فى مستهل امارته وزيره أبو الحسـين العتبى ، واستبد محمد بن سيمجور قائد الجيش فى خراسان من قبل السامانيين بالأمر فى هذه البلاد واتخذ من صغر سن الأمير الجديد فرصة لتحقيق مطامعه ، فعزله الوزير أبو الحسين العتبى وولى أبا العباس تاش[١٠٢] امرة الجيش وأصبح نائبا لأبى القاسم عـلى خراسان عام ٣٧١ هـ[١٠٣] كما قامت فى هذه السنة أيضا الحرب بين الأمير نوح بن منصور وبين عضد الدولة بن بويه ، الذى استولى على جرجان وطبرستان سنة ٣٧٢ هـ[١٠٤] .

على أن الوزير الجديد « عبد الله بن عزيز » الذى كان يضمر العداوة والبغضاء للوزير العتبى ، عمل على عزل أبى العباس تاش عن خراسان واعادة أبى الحسن بن سيمجور اليها ، فامتنع أبو العباس عن تنفيذ أوامر الوزير الجديد ، ولجأ الى فخر الدولة بن

---

(٩٩) يذكر النرشخى : تاريخ بخارى ، ص ١٣٣ أن وفاته يوم الأحد السادس عشر من شهر المحرم سنة ٣٦٥ هـ بينما يذكر الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٦٤ أنه مات فى شوال سنة ٣٦٥ هـ ولقبه الأمـير السـديد .

(١٠٠) النرشخى : ص ١٣٣ .
، ابن الأثير : جـ ٨ ، ص ٢٤٣ .

(١٠١) هو أبو القاسم نوح وكان عمره حين ولى الأمر ثلاث عشرة سنة ولقبه بالمنصور .
ابن الأثير : جـ ٨ ، ص ٢٤٣ .

(١٠٢) الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٦٦ .
، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٤ ، وهو الملقب بحسام الدولة .
فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١١٨ .

(١٠٣) ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٤ .

(١٠٤) ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٤ ، ٥ .
، الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٦٧ .

بويه بجرجان[١٠٥] ، فأمده بجيش حارب به ابن سيمجور واستولى على نيسـابور[١٠٦] .

تعرضت الدولة السامانية فى عهد نوح بن منصور للزوال ، ففى سنة ٣٨٣ هـ ثار عليه أبو الحسن بن سيمجور ، وفائق الخاصة ، غلام نوح بن نصر — وهما من أكبر قواد السامانيين واتصلا بشـهاب الدولة هرون بن سـليمان ايلك المعروف ببغراخان[١٠٧] وأطمعاه فى الاستيلاء على بلاد ما وراء النهر[١٠٨] ، وتمكن ايلك من الانتصار على جيوش نوح فى هذه السنة والاستيلاء على بخارى ، غير أن نوحا لم يلبث أن استرد حاضرة امارته[١٠٩] .

أدت ثورة الأمراء على نوح بن منصور الى استعانته بسبكتكين صاحب غزنة ، حيث انتصرت جيوشهما بالقرب من هراة على هؤلاء الأمراء الذين استعانوا ببنى بويه وفروا الى جرجان ، وتمكن نوح من استعادة نيسابور واستعمل عليها وعلى جيوش خراسان محمود بن سبكتكين[١١٠] ، فأحسنا السيرة ، وعاد نوح الى بخارى وسبكتكين الى هراة وأقام محمود بنسابور[١١١] .

توفى الأمير نوح بن منصور[١١٢] ، بعد أن استمر فى الحـكم

---

(١٠٥) فامبـرى : ص ١١٨ .
(١٠٦) فامبرى : ص ١١٨ .
(١٠٧) كانت بلاده تمتد من حدود الدولة السامانية شرقا حتى حدود الصـين .
ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٣٦ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ، جـ ٣ ، ص ١٦٠ .
(١٠٨) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١٢٢ .
(١٠٩) ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٣٦ ، ٣٧ ، فامبرى ، ص ١٢٢ .
(١١٠) ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٣٨ .
(١١١) الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٧٠ .
، ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٣٨ .
(١١٢) ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٣٩ .

أكثر من واحد وعشرين عاما[١١٣] ، وكان عهده مليئا بالثورات بسبب صغر سنه ، وتدخل النساء والوزراء فى حكم بلاده ، وتطلع بنى بوية والأتراك الى امتلاك بلاده ، فضلا عن قيام المنافسة بين أفراد البيت الساماني نفسه ، وقد أشار ابن الأثير الى ذلك فى قوله « توفى الأمير الرضا نوح بن منصور السامانى ، وأختل بموته آل سامان ، وضعف أمرهم ضعفا ظاهرا وطمع فيهم أصحاب الأطراف فزال ملكهم بعد مدة يسيرة »[١١٤] .

خلف أبو الحارث منصور أباه نوح فى رجب ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م[١١٥] وأعاد فائق الخاصة الى خدمة السامانيين[١١٦] ، وولاه الامارة[١١٧] ، وعين حاجبه الكبير بكتوزون[١١٨] واليا وقائدا لجيوش خراسان[١١٩] بدلا من محمود بن سبكتكين ، الذى كان مشغولا بقتال أخيه اسماعيل[١٢٠] ، وكان بين فائق وبكتوزون عداء ، فأغرى فائق أبا القاسم بن سيمجور ببكتوزون ومناه بولاية جيوش خراسان اذا

---

(١١٣) حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ، ص ١٤٧ ملحق بتاريخ بخارى ، ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٤٨ .

(١١٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٤٨ .

(١١٥)تاريخ البيهقى ، ص ٧٠٧ .

(١١٦) استمال شمس الدولة ايلك خان ملك الخانيين فائق الخاصة اليه فى سبيل تحقيق أطماعه فى أملاك السامانيين ، وارسله فى ثلاثة آلاف رجل الى بخارى فبادر أبو الحارث منصور الى عبور نهر جيحون تاركا عاصمته ، غير أنه بعد أن دخل فائق بخارى ما لبث أن أظهر الولاء للامير أبى الحارث منصور السامانى وطالبه بالرجوع فعاد العتبى : تاريخ اليمينى ، جـ ١ ، ص ٢٦٩ ، ٢٨٠ .

، الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٧١ ، ١٧٢ .

(١١٧) حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ، ص ١٤٧ ، ملحق بتاريخ بخارى .

، الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٧٢ .

(١١٨) بكتوزون : لفظ أويغورى معناه الأمين العادل .

فامبرى : تاريخ بخارى ، هامش ص ١٢٣ .

(١١٩) تاريخ البيهقى ، ص ٧٠٧ .

(١٢٠) ابن الأثير ، جـ ٩ ، ص ٤٨ .

هو طرده منها فحاربه وانتصر عليه وصفت له خراسان[١٢١] .

أخذ محمود بن سبكتكين يرسل الهدايا الى أبى الحارث منصور طمعا فى توليته خراسان ، ثم أضطر الى استخدام القوة ، فسار بجيشه الى نيسابور ، وأضطر بكتوزون الى الانسحاب مستنجدا بالأمير السامانى أبى الحارث ، الذى أجابه ، وكان فى مقدور محمود أن يقضى عليهما الا أنه فضل أن يتبع سياسة أبيه فى اظهار الولاء للدولة السامانية فترك لهما نيسابور[١٢٢] .

ومع ما قام به الأمير منصور بن نوح تجاه بكتوزون[١٢٣] وفائق الخاصة الا أنهما قبضا عليه وسملا عينيه[١٢٤] ، ولم يمض عليه فى الامارة غير سنة وسبعة أشهر ، ووليا أخاه الصغير عبد الملك بن نوح فى صفر ٣٨٩ هـ فاتخذ محمود بن سبكتكين من اضطراب حبل الأمور فى الدولة السامانية وسيلة للاستيلاء على أملاكهم ، فبعث الى هذين المتآمرين يلومهما ويقبح فعلهما ، وأعد عدته وجهز الجيوش

---

(١٢١) ارسل محمود بن سبكتكين بعد ان فرغ من أمر اخيه يعرض على ابى الحارث خدماته وانه يقوم مقام أبيه فى نصرة الدولة السامانية ، فأقره الأمير السامانى على ما فى يده واعتذر له عن نيسابور التى وليها بكتوزون .

العتبى : ج ١ ، ص ٢٩١ ، ابن الأثير : ج ٩ ، ص ٥٢ .

(١٢٢) العتبى : ج ١ ص ٢٩٢ — ٢٩٥ ، حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ، ص ١٤٧ ، ابن الأثير ، ج ٩ ، ص ٥٢ .

(١٢٣) حيث اكرمه ولقبه بسنان الدولة .

حمد الله المستوفى : تاريخ كزبدة ، ص ١٤٧ ملحق بتاريخ بخارى .

(١٢٤) يذكر البيهقى فى تاريخه ، ص ٧٠٧ ، ٧٠٨ أن بكتوزون كان يرى أن هذا الأمير حدث (صغير) وان هواه مع السلطان محمود ، وأسر بذلك الى فائق واوضح له ان هذا الامير يستخف بهما وانه (أى بكتوزون) يخشى أن يسلمه واياه الى محمود ، كما سلم ابوه ابا على سيمجور الى سبكتكين واتفقا على عزله ، وذات يوم ركب ابو الحارث للصيد فى سرخس فدعاه بكتوزون الى خيمته وما أن دخل الأمير منصور حتى قيدوه ، ثم سملوا عينية ، ثم اجلسوا عبد الملك ابن نوح اخاه على العرش ، وجعلوا امور الملك فى يد « سديد ابن الليثة » .

للقائهما[١٢٥] ، والتقى الجيشان فى مرو فى جمادى الأولى سنة ٣٨٩ هـ (ابريل/مايو ٩٩٨ م) فحلت الهزيمة بالجيش السامانى ، وارتد فائق الخاصة بصحبة عبد الملك بن نوح الى بخارى[١٢٦] ، وقصد بكتوزون نيسابور[١٢٧] ، وقد استطاع محمود بن سبكتكين أن يستولى على نيسابور وبخارى ، ويوطد سلطته فى خراسان ويزيل نفوذ السامانيين عنها ويقيم فيها الخطبة للخليفة القادر بالله[١٢٨] .

حـــاول عبد الملك بن نوح الســـامانى وفائق وبكتوزون بعد اجتماعهم فى بخارى استعادة خراسان ، لكن وفاة فائق فى شعبان سنة ٣٨٩ هـ أوهن عزيمة السامانيين ولم يبق لهم سوى بخارى فيما وراء النهر[١٢٩] .

سرعان ما سقط عبد الملك بن نوح فريسة لغدر ايليك خان[١٣٠] ، الذى أدعى حمايته له ، فقدم من كاشغر[١٣١] الى بخارى لمساعدته ضد أعدائه ، غير أنه ما لبث أن كشف عن غرضه الحقيقى حين قبض على قواد السامانيين ، ثم دخل بخارى نفسها يوم الثلاثاء عاشر ذى

---

(١٢٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٥٤ .

(١٢٦) الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٧٣ .
، فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١٢٣ .

(١٢٧) العتبى : تاريخ اليمينى ، ج ١ ، ص ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٥ .

(١٢٨) هلال بن الصابىء : تحفة الامراء فى تاريخ الوزراء ، ص ٣٧٤ .
، حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ، ص ١٤٨ ، ملحق بتاريخ بخارى .

(١٢٩) البيهقى : ص ٧٠٩ .
، ابن الأثير : ج ٩ ، ص ٥٥ .

(١٣٠) ذكره الكرديزى : أبو الحسن ايلك بن نصر ، ويقول محقق زين الأخبار أن ابن الأثير ذكره ايلك خان ولقبه شمس الدولة أما اسمه الاصلى الذى ذكر على مسكوكاتهم : أبو الحسين نصر بن على الأمـــير الرابع المعظم لآل افراسياب الايلكخانيين .

(١٣١) كاشغر : يسافر اليها من سمرقند وهى فى وسط بلاد الترك واهلها مسلمون .
ياقوت : معجم البلدان ، ج ٧ ، ص ٢٠٧ .

القعدة سنة ٣٨٩ هـ (٢٤ أكتوبر ٩٩٩ م) وقبض على عبد الملك نفسه وزجه فى السجن[١٣٢] .

لم يكن لمحمود بن سبكتكين مطمع فى أملاك السامانيين فيما وراء النهر ، فقد اعتبر نهر جيحون حدا طبيعيا لامارته من جهة الشمال ، لذلك لم يجد بأسا فى ترك بخارى ليستولى عليها جاره ايليك خان معلنا سقوط الدولة السامانية[١٣٣] .

حاول الأمير السامانى المنتصر (أبو ابراهيم) أن ينقذ ما بقى للسامانيين من نفوذ ، بعد أن تمكن من الهرب من السجن حيث سار الى خوارزم[١٣٤] ، وتلقاه كثير من أتباع أسرته السابقين ومنهم شمس المعالى قابوس بن وشمكير ، ورغم أنه (أى المنتصر) نجح فى هزيمة قوات ايليك خان[١٣٥] ، غير أن ايليك خان كان من القوة بحيث لم تؤثر فيه ضربات المنتصر (أبو ابراهيم)[١٣٦] .

ظل الأمير المنتصر (أبو ابراهيم) ينتقل بين طبرستان وسجستان وخراسان وحوله قلة من أخصائه حتى نجح فى عام ٣٩١ هـ / ١٠٠١ م فى الاستيلاء على نيسابور[١٣٧] ، وسرعان ما أخرجه منها نصر بن سبكتكين[١٣٨] ثم وقع أسيرا فى شراك ايليك خان الذى أسره هو وأتباعه ، وما لبث أن هرب ولقى حتفه فى مضارب قبيلة بنى بهيج[١٣٩] . وبوفاة آخر الأمراء السامانيين فى ربيع الأول من عام

---

(١٣٢) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١٢٣ .
(١٣٣) ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٥٦ .
(١٣٤) العتبى : ج ١ ، ص ٣٢١ ، ابن الاثير : ج ٩ ، ص ٥٨ ، ٥٩ .
(١٣٥) ابن الاثير : ج ٩ ، ص ٦٠ .
(١٣٦) فامبرى : ص ١٢٣ ، ١٢٤ .
(١٣٧) العتبى : تاريخ اليمينى ، ج ١ ، ص ٣٢٤ .
(١٣٨) العتبى : ج ١ ، ص ٣٢٤ — ٣٢٨ ، تاريخ كزيدة ، ص ١٤٨ ملحق بتاريخ بخارى ، ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٥٩ .
(١٣٩) ابن الاثير : ج ٩ ، ص ٦٠ ، تاريخ كزيدة ، ص ١٤٩ ، ملحق بتاريخ بخارى ، فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١٢٤ .

٣٥٩ هـ (ديسمبر ١٠٠٥ م)[١٤٠] انقرضت أسرة كانت تسيطر على بلاد ما وراء النهر وفرغانة ، ثم ظلت ابتداء من عهد الأمير نصر — أى قرابة مائة وخمسة وأربعين عاما — تحكم كل آسيا الوسطى[١٤١] .

(ب) الســـامانيون وعلاقتهم بالخلافة العباسية :

كان الســـامانيون يعملون فى خدمة الدولة العباسية كولاة لبعض مدن ما وراء النهر ، وتم تعيين السامانيين فى هذه الولايات منذ عهد الخليفة المأمون الذى كافأهم بذلك على خدمتهم له[١٤٢] وانتقد بعض المؤرخين[١٤٣] سياسة المأمون فى تولية قواده امارة المدن والولايات ، وقالوا انها أدت الى قيام الامارات المستقلة ، غير أن السامانيين ظلوا منذ أوائل القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) على علاقة طيبة بالخلافة العباسية ، فعمل أحمد بن أسد السامانى على نشـــر نفوذ العباسيين فى منطقة ما وراء النهر ، فضم قسما كبيرا من بلاد الصغد وبلاد ما وراء النهر الى الدولة الاسلامية ، وظل مواليا للعباسيين حتى توفى ، وخلفه ابنه نصر الذى منحه الخليفة المعتمد تفويضا رسميا كاملا بحكم منطقة ما وراء النهر مكافأة له على مواصلة جهود أبيه ، وحينما ولى اسماعيل بن أحمد الامارة بعد أخيه لم تعترض الخلافة على توليته بل أقرته تحقيقا لرغبة السامانيين • وقد أدت هذه العلاقة الودية بين السامانيين والخلافة العباسية الى موافقة الخليفة المعتضد على تولية اسماعيل بن أحمد السامانى خراسان بعد أن تمكن من هزيمة عمرو بن الليث الصفار سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م[١٤٤] .

---

(١٤٠) العتبى : جـ ١ ص ٣٢٤ — ٣٢٧ ، ابن الاثير : جـ ٩ ، ص ٥٩ ، ٦٠ ، تاريخ كزيدة ، ص ١٤٩ ، ملحق بتاريخ بخارى .

(١٤١) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١٢٤ .

(142) Lan Poole : Muhammadan Dynasties. p. 131.

(143) Noldeke : Sketches from Eastern History, p. 86.

(١٤٤) وقع عمرو بن الليث فى اسر اسماعيل بن احمد السامانى فى يوم الاربعاء التاسع من جمادى الاخر سنة ٢٨٨ هـ (أول يونية ٩٠٠ م)

كما استجاب هذا الخليفة لرغبة اسماعيل السامانى فولاه كرمان وجرجان سنة ٢٩٠ هـ ولما جاء الخليفة المكتفى ولاه اقليم الجبال حتى حلوان[١٤٥] . وهكذا أصبحت معظم الأراضى الفارسية تحت حكم السامانيين برضاء من الخلافة العباسية .

استمر السامانيون على ولائهم للخلافة العباسية حتى فى الأوقات التى كانت الخلافة تحاول أن تحد من نفوذهم . ففى سنة ٢٩٣ هـ هرب « بارس الكبير » وكان من أكبر قواد السامانين ويلى أمر جرجان من قبلهم ، والتجأ هذا القائد الى بغداد بما معه من أموال هذا الاقليم ، فحماه الخليفة المكتفى ، ولم يحرك الأمير السامانى أبو نصر أحمد ابن اسماعيل ساكنا[١٤٦] ، ولم يغضب لهرب عامله بقدر ما أغضبه خروج هذه الأموال من يديه[١٤٧] .

كذلك تمكن السامانيون فى عهد اسماعيل بن أحمد السامانى من فتح بلاد طبرستان واستردادها من يد « محمد بن زيد » الذى كان ينازع السامانيين والعباسيين فى خراسان ، ولم يكتف السامانيين بطرد العلويين ، بل أدخلوا طبرستان تحت السلطة الشرعية لدولتهم وصارت الخطبة تقام فيها باسم الخليفة العباسى[١٤٨] .

=
وبالغ فى اكرامه حتى أنه رد اليه أمواله وجواهره ، غير أنه حينما أرسل اليه الخليفة العباسى المعتضد يطلب اليه ارسال أسيره الى بغداد ، لم يجد يدا من اطاعة أمر الخلفة العباسى ، حيث أرسل الى دار الخلافة وظل فى السجن حتى أمر الخليفة المكتفى بقتله فى جمادى الاولى من عام ٢٩٠ هـ (ابريل ٩٠٢ م) .

النرشخى : تاريخ بخارى ، ص ١٢١ ، ١٢٢ ،
فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

(١٤٥) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٣٢٧ .

(١٤٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٣ .

(١٤٧) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١١٢ .

(١٤٨) النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٣ ، ص ٣٨ وما بعدها (مخطوط) .
، ابن الأثير : جـ ٧ ، ص ١٨٨ .

وفى سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م حينما ثار أهالى سجستان على نصر الثانى ، عين الخليفة العباسى المقتدر حاكما من قبله على هذا الاقليم ، فقبض على عمال السامانيين فى المنطقة[١٤٩] . ولم يحاول نصر السامانى الاعتراض على هذا التصرف ، بسبب ولائه للخليفة[١٥٠] .

حرص السامانيون على ذكر اسم الخلفاء العباسيين فى الخطبة ونقش اسمهم على السكة فقد ضرب الدينار السامانى على نمط الدينار العباسى ، وذكر عليه أسماء الخلفاء العباسيين مع الحكام السامانيين ، وذلك فى مدن الشاش ونيسابور وسمرقند[١٥١] .

كذلك اهتم الامراء السامانيون بالحصول على عهود التولية ، ليؤكدوا بذلك شرعية حكمهم ، فكانت البراءة التى أصدرها الخليفة المعتمد سنة ٢٦١ هـ / ٨٧٤ م بتعيين الأمير نصر بن أحمد أميرا على بلادها وراء النهر[١٥٢] ايذانا بقيام الدولة السامانية .

لم يكن الخلفاء العباسيون يعارضون فيمن يتولى منهم زمام السلطة ، فأقر الخليفة المقتدر الأمير السامانى أبو الحسن نصر الذى لقب بالسعيد بعد وفاة أبيه أبو نصر أحمد بن اسماعيل سنة ٣٠١ هـ على البلاد التى كانت لأبيه ، رغم صغره ومعارضة عمه اسحق ابن أحمد[١٥٣] ، وساعد السامانيون الخلافة العباسية فى قمع حركات التمرد ضدها فى بلاد الفرس وما وراء النهر[١٥٤] ، على أن الخلافة

---

(١٤٩) ابن الاثير : جـ ٨ ، ص ٢٦ .
(١٥٠) عبد العزيز الدورى : دراسات فى العصور العباسية المتاخرة ص ١٢٢ .
(١٥١) ناصر الدين النقشبندى : الدينار الاسلامى لملوك الطوائف ، جـ ٢ ، المجلد الثالث ، ص ٢٩٦ ، مجلة سومر سنة ١٩٤٧ م .
ضربت اول عملة ذهبية باسم اسماعيل بن احمد سنة ٢٩٥ هـ/٩٠٧ م.
(١٥٢) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٩٥ .
(١٥٣) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٢٨ .
(١٥٤) من اهمها ثورة طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث الصفار فى سجستان سنة ٢٨٨ هـ وثورة السبكرى فى فارس سنة ٢٩٦ هـ وثورة ليلى ابن النعمان سنة ٣٠٩ هـ وثورة ما كان بن كاكى سنة ٣٣٠ هـ .
=

العباسية فى بعض الأحيان تحت ضغط بنى بويه أقرت بعض الثائرين على الدولة السامانية على ما وقع بأيديهم من بلاد ، وذلك حين خرج القائد السامانى أبو على بن محتاج على الأمير الحميد نوح بن منصور واستولى على اقليم خراسان واستطاع بمعـــونة ركن الدولة ومعز الدولة البويهى أن يحصل على تقليد من الخليفة العباسى المطيع بحكم هذا الاقليم سنة ٣٤٣ هـ / ٩٥٤ م[١٥٥] .

وكان للسامانيين دورهم فى حفظ الأمن وحراسة الطرق ، وتسهيل سبل المواصلات وحماية القوافل ويذكر ابن كثير[١٥٦] انهم أنشأوا نقطا للحراسة على الطرق كانت الواحدة منها تسع ألف فارس وأوقفوا عليها أموالا جزيلة .

على أن السامانيين رغم تعاونهم مع الخلافة العباسية ، لم يكونوا يرسلون الى الخلفاء أى خراج بصورة منتظمة[١٥٧] . وقد أعطى ذلك للسامانيين نوعا من الاستقلال مكنهم أن يوجهوا تلك الاموال الى تنظيم دولتهم[١٥٨] .

=
Siddiqi : Caliphate and Kingship. p. 104 (Islamic Culture. vol, 10, 1946).

(١٥٥) ابن الأثير : جـ ٨ ، ص ١٦٤ — ١٦٧ ، ١٧٥ .
، فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١١٦ .

(١٥٦) البداية والنهاية جـ ١١ ، ص ١٠٦ .
وأن الذى قام على ذلك اسماعيل بن احمد .

(157) Siddiqi : Caliphate and Kingship, vol, 10, p. 104.

(١٥٨) أهتم السامانيون بتنظيم دواوينهم واختيار موظفيهم وكتابهم ، وكانوا يميلون الى الأكثار من عدد الوظائف شأنهم شأن الفرس القدماء ، فقد كثر عدد الحجاب وعارض الجيوش وأضطر السامانيون نظرا لسعة أرجاء دولتهم الى انشاء ما يشبه منصب « نائب الملك » فكانوا يقيمون فى بخارى على حين أن صاحب جيشهم كان يقيم فى نيسابور والتى كانت على أيام الطاهريين قصبة خراسان ..
البيهقى ، ص ١١٠ ، ابن الاثير : جـ ٨ ، ص ١٥١ .
، ادم متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، جـ ١ ، ص ٣٠ — ٣١ .

الدولة الغزنوية

يرتبط ظهور الغزنويين بالضعف الذى انتاب الدولة السامانية فى نهاية عهدها فقد كان السامانيون يعتمدون اعتمادا كبيرا على العناصر التركية التى يجلبونها من بلاد التركستان المتاخمة لهم . وتطلعت هذه العناصر الى الاستقلال بالولايات الشرقية منذ أن استعان بهم السامانيون فى ادارة شئون دولتهم [١] .

كان البتكين [٢] مملوكا تركيا انخرط فى سلك الجيش السامانى [٣] ، وما زالت تتدرج به المناصب حتى أصبح كبير حجاب الأمير عبد الملك ابن نوح (٣٤٣ — ٣٥٠ هـ / ٩٥٤ — ٩٦١ م) [٤] ، ومن ثم ارتفع شأنه وازداد نفوذه فى الدولة السامانية حتى كان الوزير أبو على

---

(١) محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ، ص ٨٩ .

(٢) البتكين : كلمة مركبة من الب بمعنى البطل وتكين بمعنى المسمى أو الشبيه .
فامبرى : تاريخ بخارى ص ١١٧ ، وفى المعجم فى اللغة الفارسية لمحمد موسى هنداوى « الب » بمعنى بطل أو رجل قوى وتكين « شجاع » أو « قادر » .

(٣) كان غلاما لدى أحمد بن اسماعيل السامانى .
حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ، ص ١٤٠ ، ملحق بتاريخ بخارى للنرشخى .

(٤) البيهقى : تاريخ البيهقى ، ص ٩٨ ،
دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٥٠٤ ، مادة البتكين ،
Ali. M. A : A New History of Indo-Pakostan p. 7 (Dacca 1970).

البلعمى لا يصدر أمرا من غير علمه ولا مشورته[٥] ، ثم تولى الامارة على جيوش خراسان[٦] . وكان عمره وقتذاك خمسا وثلاثين سنة ، وقد عرف بوفائه ، كما تميز بحسن التدبير والرأى[٧] .

لما توفى عبد الملك بن نوح سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م رأى الأمراء ضرورة استشارة البتكين فى اختيار من يخلفه فى الامارة ، فأرسلوا يستأذنوه فى تولية الأمير السديد منصور ابن عبد الملك ، ولما كان منصور هذا شابا حدثا لذلك رفض البتكين توليته واختار عمه (أى عم منصور) ولكن الأمراء ولوا منصورا[٨] . وأدى ذلك الى توتر العلاقات بين الأمير الجديد والبتكين ، وباءت محاولات البتكين تحسين علاقته مع هذا الامير بالفشل[٩] .

وبعد مضى ست سنوات استدعى الأمير منصور البتكين الى بلاطه[١٠] ، فخشى البتكين غدر الأمير السامانى وترك امارة خراسان متجها مع أتباعه صوب غزنه[١١] ، فعين الأمير منصور أبا الحسين بن

---

(٥) ولى أبو على البلعمى الوزارة بفضل نفوذ البتكين .
دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٥٠٤ ، مادة البتكين
Ali. M. A : A New History of Indo-Pakestan, p. 7.

(٦) كان سبهسالار السامانيين ، البيهقى ، ص ٩٨ ، ٢١٨ .
وتذكر دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٥٠٤ مادة البتكين أن ذلك فى ذى الحجة ٣٤٩ هـ (يناير / فبراير ٩٦١ م) .

(٧) نظام الملك الطوسى : سياسة نامه ص ١٤١ — ١٤٢ .
يذكر بارتولد أن هدف الأمير السامانى من تعيينه أميرا على جيوش خراسان ابعاده عن العاصمة بخارى بعد أن تزايد نفوذه فيها . دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٥٠٤ .

(٨) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص ١٤٣ .

(٩) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١١٧ .

(١٠) حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ، ص ١٤٣ ، ملحق بتاريخ بخارى .

(١١) ابن الأثير : جـ ٨ ص ١٩٢ ، منتخب التواريخ ص ٨ ، تصنيف عبد القادر بن ملوك شاه بدوانى ، (كلكته ١٨٦٨ م) .

سيمجور مكانه فى خراسان[١٢] وأرسله فى عشرة آلاف مقاتل لمقاتلة البتكين الذى تمكن من ايقاع الهزيمة بهم على مقـــربة من بلخ ، ثم واصل مسيره الى غزنه فحاصرها واستولى عليها من حاكمها السامانى (أبو بكر لويك)[١٣] ولم يكتف بذلك بل غزا زابلستان ، وأقام بها امارة مستقلة عن السامانيين عاصمتها غزنه[١٤] .

اتجه الأمير منصور الى مصالحة البتكين[١٥] والاعتراف به حاكما لغزنه ، وولى ابنه أبا اسحق ابراهيم[١٦] قيادة الجيوش بخراسان ، فتفرغ البتكين لادارة أمور غزنه التى ظل يلى حكمها ستة عشر عاما[١٧] .

لم يلبث البتكين أن توفى سنة ٣٥٢ هـ / ٩٦٣ م وكان ابنه أبو اسحق

---

(١٢) دائرة المعارف الاسلامية جـ ٢ ص ٥٠٤ مادة البتكين .

(١٣) الملقب بالصاحب أو « بادشاه » ولعله أحد زعماء الكشــــان المتاخرين .

دائرة المعارف الاسلامية جـ ٢ ص ٣٩١ مادة افغانستان .

(١٤) حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ، ص ١٤٣ ، ملحق بتاريخ بخـــارى .

غزنة عاصمة زابلستان وهى ولاية واسعة فى طرف زابلستان ، والافصح فى اسمها « غزنين » وهو الاسم المعترف به عند العلماء وتعرب فيقال « جزنة » واليها ينسب الغزنويون وهذا النسب سماعى وكان القياس يقضى بأن يقال « غزنيون » وتقع غزنة حاليا الى الجنوب الشرقى من مدينة كابول عاصمة افغانستان على مسافة ١٢٠ (مائة وعشرين كيلو متر) تقريبا . ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٦ ، ص ٢٨٩ ، على مسعود الشابى : الأدب الفارسى فى العصر الغزنوى ، ص ١٠ ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة .

(١٥) مسكويه : تجارب الامم ، جـ ٦ ، ص ١٩١ ، ١٩٢ .

، حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ، ص ١٤٢ ، ملحق بتـــاريخ بخـــارى .

(١٦) زامباور : معجم الانساب والاسرات الحاكمة ، جـ ٢ ، ص ٤١٦ .

(١٧) وقد ذكر ابن حوقل ان ملك البتكين امتد الى غزنة وكابل . صورة الأرض ، ص ٤٣٤ ، ٤٥٠ .

فى بخارى حين بلغه اضطراب الأمور فى غزنه[١٨] ، فاستأذن أبو اسحاق الأمير منصور فى العودة الى هذه المدينة حيث تمكن من القضاء على ثورة أبى على آنوك[١٩] واستقر له حكم غزنه سنة ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م[٢٠] .

ولما توفى أبو اسحاق ابراهيم بن البتكين[٢١] فى ذى الحجة سنة ٣٥٥ هـ (ديسمبر ٩٦٦ م) خلفه « بلكاتكين »[٢٢] واجتمعت كلمة الأمراء على اختياره[٢٣] ، ثم أجمع القادة بعد وفاته على تولية « بيرى » أحد غلمان البتكين[٢٤] ، وقد تعرضت البلاد فى عهده لخطر داهم ، تمثل فى تحالف ابن حاكم غزنه السابق ابن آنوك مع بعض القوى المجاورة فى المنطقة[٢٥] وفاجأ غزنه فى جيش كبير ، فاضطرب أهلها ، ولكن

---

(١٨) ، (١٩) طبقات ناصرى (فارسى) للقاضى منهاج سراج الجوزجانى تصحيح وتعليق عبد الحى حبيبى ، ج ١ ، ص ٢٢٦ .

(٢٠) احمد دده المولوى : جامع الدول ، ج ١ (مخطوط بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية رقم ١٩٥) .
يقول بارتولد : ان ابا اسحاق لم يستطع الاحتفاظ بسلطانه الا بمعونة السامانيين وبهذا اصبحت غزنة امارة تابعة للسامانيين .
دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٥٠٤ مادة البتكين .

(٢١) أشار اليه ابن حوقل ولقبه صاحب خراسان .
صورة الأرض ، ص ١٤ .

(٢٢) نظام الملك : سياسة نامة ، هامش ، ص ١٥٣ .
كان لاسحاق مملوكان هما بلكاتكين ، وسبكتكين .
زامباور : معجم الأنساب والاسرات الحاكمة ، ج ٢ ، ص ٤١٦ .

(٢٣) حكم حتى سنة ٣٦٣ هـ / ٩٧٢ م حيث مات وهو يحاصر احدى قلاع الهند .
نظام الملك : سياسة نامة ، هامش ، ص ١٥٣ .
وذكرت دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٢٩١ ، مادة افغانستان .
انه ضرب السكة باسمه فى غزنة سنة ٣٥٩ هـ / ٩٦٩ م وهو الأمر الذى لم يفعله احد من أسلافه .

(٢٤) نظام الملك : سياسة نامه هامش ص ١٥٣ ، زامباور : معجم الانساب ، ج ٢ ، ص ٤١٦ .

(٢٥) مثل أمير كابل وجيبال ملك الهند .
المولوى : جامع الدول ج (مخطوط) .

سبكتكين تمكن من انقاذ الموقف وتصدى لهذا الجيش فاستقر رأى الجميع على توليته مكان « بيرى »[٣٦] .

يعتبر سبتكتين[٢٧] أحد موالى البتكين[٢٨] وزوج ابنته المؤسس الحقيقى للدولة الغزنوية[٢٩] ويذكر ابن الأثير[٣٠] : « أن أبا اسحق ابن البتكين لما توفى ولم يخلفه من أهله وأقاربه من يصلح للتقدم اجتمع عسكره ونظروا فيمن يلى أمرهم ، فاختلفوا ، ثم اتفقوا على سبكتكين ، لما عرفوه من التعقل والدين والمروءة وحب الخير ، فقدموه عليهم وولوه أمرهم ، وحلفوا له وأطاعوه فوليهم وأحسن السيرة فيهم وساس أمورهم سياسة حسنة » .

عمد سبكتكين بعد أن ولى امارة غزنه الى توسيع ملكه فاستولى على مدينة بست[٣١] ، كما اضطر حاكم قصدار [٣٢] الى أداء الجزية

---

(٢٦) العتبى : تاريخ اليمينى جـ ١ ص ٥٧ .

، الجوزجانى : طبقات ناصرى ، جـ ١ ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(٢٧) سبكتكين : هو سبكتكين بن جوقى الملقب بقرابجكم .

الجوزجانى : طبقات ناصرى ، جـ ١ ، ص ٢٢٦ . وقرابجكم كلمة تركية مركبة من كلمتين « قرا » بمعنى اسود ويجكم بمعنى زعيم او شجاع فتعنى الكلمة الزعيم الأسود .

(٢٨) اشتراه البتكين من تاجر رقيق فى نيسابور عندما كان البتكين سبهسالار (قائد جيش) السامانيين .

البيهقى : ص ٢١٧ ، المولوى : جامع الدول ، جـ ١ (مخطوط) .

(29) Lane Poole : Muhammadan Dynasties, p. 285.

(٣٠) الكامل فى التاريخ ، جـ ٨ ، ص ٢٤٧ .

، نظام الملك : سياسة نامه ص ١٥٣ ، تاريخ ابى الفدا جـ ٢ ، ص ١٢٣ .

(٣١) العتبى : تاريخ اليمينى ، جـ ١ ، ص ٦٤ — ٦٧ ، ابى الفدا : المختصر ، جـ ٢ ، ص ١٢٣ ، خواندمير : حبيب السير فى اخبار البشر ، المجلد الثانى ، ص ١٠٨ بومباى ١٨٥٧ م .

وبست : مدينة بين سجستان وغزنة وهراة من أعمال كابل (كرشك حاليا) ويقال لناحيتها كرم سير (لشدة حرارتها) ، والى بست ينسب الشاعر ذو اللسانين صاحب التجنيس ابو الفتح البستى ، وقد كان كاتبا لباى توز ، ثم تولى فيما بعد ديوان الرسائل فى عهد سبكتكين .

له واقامة الخطبة باسمه على المنابر[٣٣] • ومع أن سبكتكين يعتبر من الناحية العملية مستقلا عن السامانيين الا أنه اعترف لهم بالسيادة وفتح البلاد باسمهم[٣٤] حتى « اتسعت رقعة ولايته وعظم حجم جيشه ، وعمرت خزائنه ، وأشفقت النفوس من هيبته[٣٥] » ، ففى سنة ٣٨٤ هـ استعان نوح بن منصور السامانى (٣٦٦ — ٣٨٧ هـ / ٩٧٦ — ٩٩٧ م) بسبكتكين لمحاربة أبى على بن سيمجور وفائق الخاصة اللذين شقا عصا الطاعة فى خراسان ، وأسند نوح ولاية خراسان لسبكتكين ، ودارت الحرب بنواحى هراة بين نوح السامانى يعاونه سبكتكين وابنه محمود ، وبين أبى على بن سيمجور وفائق الخاصة يعاونهم فخر الدولة بن ركن الدولة البويهى[٣٦] ، وانتهت الحرب بانتصار سبكتكين وتمكن من الاستيلاء على نيسابور[٣٧] ، وحقق سبكتكين بهذا النصر مكاسب كبيرة اذ منحه نوح لقب « ناصر الدولة » وولى ابنه قيادة الجيوش فى خراسان ومنحه لقب « سيف الدولة »[٣٨] •

ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ١٧٠ ، العتبى : جـ ١ ، ص ٦٧ — ٦٨ •

(٣٢) قصدار : بالضم ثم السكن ودال بعدها الف وراء • ويقال لها قزدار • ناحية مشهورة قرب غزنة بينها وبين بست ثمانون فرسخا وبينها وبين الملتان نحو عشرون مرحلة وقصدار قصبة ناحية يقال لها طوران •
ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٧ ، ص ٩٥ ، العتبى : جـ ١ ، ص ٧٢ •

(٣٣) العتبى : جـ ١ ، ص ٧٤ •
خواندمير : حبيب السير ، المجلد الثانى ، ص ١٨ •

(34) Lane Poole : Muhammadan Dynasties, p. 286.

(٣٥) العتبى : تاريخ اليمينى ، جـ ١ ، ص ٦٣ •

(٣٦) العتبى : جـ١ ص ١٨٤ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٩ ص ٣٨ •

(٣٧) ميرخواند : روضة الصفا ص ١ •

(٣٨) العتبى : تاريخ اليمينى ، جـ ١ ، ص ١٨٧ — ١٩٣ • وقد ذكر ان هذه المعركة دارت فى منتصف رمضان سنة ٣٨٣ هـ بينما يذكر البيهقى ، ص ٢١٥ تاريخها فى منتصف رمضان ٣٨٤ هـ ووافقه ابن الأثير ، جـ ٩ ، ص ٣٩ ، ٤٠ وحمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ، ص ١٤٦ ، ملحق بتاريخ بخارى •

وبعد أن عاد الأمير نوح الى حاضرة دولته بخارى ، بقى سبكتكين فى هراة ، وأقام ابنه محمود فى نيسابور ، على أن أبا على وفائقا عاودا الاغارة على خراسان ، ففى سنة ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م اشتبك هذان القائدان مع محمود بن سبكتكين ، فانهزم وانسحب الى هراة[٣٩] ، على أن سبكتكين ما لبث أن أعد جيشا لطرد أبى على بن سيمجور من خراسان ، واستطاع أن يوقـــع بقواته الهزيمة ، ونجـــح فى اعادة هذا الاقليم لامرته[٤٠] .

توفى سبكتكين فى شعبان من عام ٣٨٧ هـ (أغسطس سبتمبر ٩٩٧ م) بعد أن حكم عشرين سنة[٤١] ، وضع فيها أساس الدولة الغزنوية بفضل ما أحرزه من فتوحات ، وقد وصفه العتبى بأنه « أبى النفس ، حمى الأنف ، جرىء القلب ، قوى البطش كريم الخيم (السجايا) وضىء التدبير كبير الهمة كثير الحكمة »[٤٢] ، وكان يعتبر نفسه كأحد الجنود ، فلا يسمو به تعاظم أو سلطة[٤٣] ، كما عرف بزهده وتعففه وترفعه عن الشهوات وتمسكه بالعدل[٤٤] ، وحسن الاعتقاد ، ذا مروءة تامه وحسن عهد ووفاء[٤٥] .

كان سبكتكين قد أوصى قبل وفاته لابنه اسماعيل[٤٦] بالملك من

---

(٣٩) واقام ابو على بن سيمجور فى نيسابور واقام الخطبة باســـمه (أى اسم أبى على) .
البيهقى : ص ٢٢١ .

(٤٠) حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ص ١٤٦ ملحق بتاريخ بخارى . بخـــارى .

(٤١) أبى الفدا : المختصر ، ج ٢ ، ص ١٤٠ .

(٤٢) تاريخ اليمينى ، ج ١ ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٤٣) العتبى : ج ١ ، ص ٦١ .

(٤٤) حتى انه عرف بالعادل . البيهقى ، ص ٤٨٠ ، ٤٨١ .

(٤٥) ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٤٨ .

(٤٦) كان اسماعيل اخو محمود من ابيه اذ أن أمه كانت ابنة البتكين اما محمود فقد انجبه أبوه من زوجته ابنة رئيس زاولستان ، ولهذا لقب محمود بالزاولى : نظام الملك سياسة نامه ص ١٥٤ .
، حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ، ص ٣٩١ (فارسى) .

بعده[٤٧] ، فلما توفى سبكتكين بايع الجند اسماعيل ، فوزع عليهم الأموال ، لكنهم مالبثوا أن استضعفوه لصغر سنه ، واشتطوا فى طلب الأموال ، حتى خلت خزائن أبيه ، ولما علم محمود بولاية أخيه اسماعيل ، وكان اذ ذاك بنيسابور أرسل اليه يطلب منه امارة غزنه ، ويأخذ بلخ بدلا منها[٤٨] ، ويذكره أن أباه انما عهد اليه بالملك لبعده (أى محمود) عنه ، وترددت الرسل بينهما فى ذلك ، ولما لم يستقر الأمر على حال يرضى الطرفين ، لم يجد محمود بدا من أن يقصد أخاه بغزنه ، فسار من نيسابور الى هراة ، وهناك اجتمع بعمه « بغراجق » فساعده على الوقوف ضد أخيه ، فتوجه الى « بست » وبها أخوه نصر فتبعه وأعانه وسار معه الى غزنه ، فلما بلغ الخبر اسماعيل ، وكان حينئذ فى بلخ سار الى غزنه وفى تلك الأثناء كان بعض الأمراء الموالين له وعدوه بمعاضدته والوقوف الى جانبه ، فالتقى هو واسماعيل بظاهر غزنه حيث اشتد القتال بينهما فانهزم اسماعيل واعتصم بقلعة غزنه[٤٩] ، فحاصره محمود وطلب منه النزول وأمنه ، فلما نزل أحسن اليه وأكرمه[٥٠] .

بينما كان محمود بن سبكتكين مشغولا بالصراع مع أخيه حدث تطور فى معسكر السامانيين اذ قرب ايلك خان فائق الخاصة[٥١] وجعله فى حمايته ، ثم أرسله فى جيش من ثلاثة آلاف رجل الى بخارى ،

---

(٤٧) إبن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٤٩ ، تاريخ ابى الفدا ، ج ٢ ، ص ١٤٠ .

(٤٨) العتبى : تاريخ اليمينى ، ج ١ ، ص ٢٧٤ .
، بداونى : منتخب التواريخ ص ٩ .

(٤٩) ابو الفدا : المختصر ، ج ٢ ص ١٤٠ .

(٥٠) انظر : منتخب التواريخ لبداونى ، ص ٩ .

(٥١) غلام نوح بن نصر السامانى ، وكان قد فر الى شهاب الدولة هارون بن سليمان ايلك هو وابو الحسن بن سيمجور القائد السامانى ثائرين على منصور بن نوح الأمير السامانى واطمعاه فى الاستيلاء على بخارى .
حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ، ج ٣ ، ص ١٦٠ .

فبادر أبو الحارث منصور بن نوح الى عبور النهر تاركا لهم بخارى ، فدخلها فائق الخاصة الذى ما لبث أن أظهر الولاء والطاعة للأمير أبى الحارث وطالبه بالرجوع الى حاضرته ، فعاد ليحكم تحت سيطرة ونفوذ فائق ، وعين أبو الحارث منصور حاجبه الكبير « بكتوزون » واليا وقائدا لجيوش خراسان[٥٢] ، فاستاء محمود الغزنوى من منصور بن نوح السامانى لانتزاعه نيسابور وأمرة خراسان منه ، فأرسل اليه يذكره بطاعته وولاءه ، ويطلب منه أن يعيده الى خراسان[٥٣] . ولما لم يجب طلبه عول على استخدام القوة واتجه بجيشه الى نيسابور وانسحب من أمامه بكتوزون ، وأرســل يستنجد بالأمير السامانى أبى الحارث فأجابه ودارت الحرب بين الطرفين ، وكان فى مقدور محمود أن يقضى عليهما ، غير أنه آثر التريث ، متبعا ســياسة أبيه فى اظهــار الولاء للسامانيين[٥٤] .

لم تلبث الفرصة أن سنحت للامير محمود الغزنوى لتحقيق أطماعه عندما تحالف فائق وبكتوزون ضد الأمير السامانى رغبة فى التخلص منه منه ، فقبضا عليه وسملا عينيه ووليا مكانه أخاه عبد الملك بن نوح سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٨ م[٥٥] فسار محمود بقواته الى « مرو »[٥٦] حيث

---

(٥٢) ولقبه بسنان الدولة .
العتبى : تاريخ اليمينى ، جـ ١ ، ص ٢٧١ .

(٥٣) العتبى : جـ ١ ، ص ٢٧١ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٤٨ .

(٥٤) العتبى : تاريخ اليمينى ، جـ ١ ، ص ٢٩٢ — ٢٩٥ ، تاريخ كزيدة ، ص ١٤٧ ، ملحق بتاريخ بخارى ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ص ٥٢ .

(٥٥) العتبى : جـ ١ ، ص ٢٩٦ — ٢٩٨ ، تاريخ ابى الفدا ، جـ ٢ ، ص ١٤١ ، فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١٢٣ .

(٥٦) مرو : مرو الشاهجان : اشهر مدن خراسان وقصبتها ، بينها وبين نيسابور سبعون فرسخا (١٧٥ ميلا) وبالقرب من مرو الشاهجان مرو الروذ على بعد خمسة ايام منها وهى على نهر عظيم فلهذا سميت به لأن روذ معناها فى الفارسية نهر فسميت به غير أن مرو الروذ صغيرة بالنسبة لمرو الشاهجان .
ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٨ ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

التقى بهم في جمادى الأولى سنة ٣٨٩ هـ (أبريل / مايو ٩٩٨ م) وأوقع بهم الهزيمة وفر الأمير عبد الملك بن نوح وفائق الى بخارى بينما تراجع بكتوزون وابن سيمجور — الذى كان قد انضم اليهما — الى قهستان[٥٧] .

حقق محمود الغزنوى باستيلائه على خراسان آماله وآمال أبيه في وراثة أهم ممتلكات السامانيين وولى عليها أخاه نصر بن سبكتكين الذى صار قائدا لجيوش خراسان ، وأعلن محمود الغزنوى نفسه سلطانا ، وأرسل اليه الخليفة القادر بالله العباسى الخلع والألقاب وأقره على ما في يديه[٥٨] .

على أن الامير السامانى عبد الملك بن نوح لم يركن الى الهزيمة التى ألحقها به محمود بن سبكتكين وانتزاع خراسان منه ، ففى سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٨ م دعا الأمراء المعادين للسلطان محمود في بخارى وعلى رأسهم فائق وبكتوزون لمواجهة خطره ، لكن خططهم للوقوف في وجهه باءت بالفشل[٥٩] .

لم يبق للسامانيين سوى بخارى فيما وراء النهر ، ولم يكن محمود يطمع في الاستيلاء على أملاكهم في هذا الاقليم ، فقد اعتبر نهر جيحون حدا طبيعيا مناسبا لدولته من جهة الشمال ، وبذلك أتاح الفرصة لايلك خان ليستولى على بخارى ، فقصد عاصمة السامانيين وأظهر لعبد الملك ابن نوح أنه لم يقدم الى بلده الا للوقوف الى جانبه ضد أعدائه فظن

---

(٥٧) العتبى : ج ٢ ، ص ٣١٠ .

(٥٨) العتبى : تاريخ اليمينى ، ج ١ ، ص ٣١٤ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٥٩) ذلك ان فائق الخاصة وهو من اقوى الأمراء المعادين للسلطان محمود توفى في شعبان ٣٨٩ هـ ، ففت ذلك في عضد هؤلاء الأمراء وأضعف من شأنهم .
ابن الأثير : ج ٩ ، ص ٥٥ .

عبد الملك صدق قوله ، فلما التقى به بكتوزون وغيره من الأمراء والقادة ألقى القبض عليهم ، ودخل إيلك خان بخارى معلنا سقوط الدولة السامانية فى العاشر من ذى القعدة سنة ٣٨٩ هـ (الاثنين ٢٤ أكتوبر سنة ٩٩٩ م)[٦٠] .

اتجه الغزنويون بعد سقوط الدولة السامانية الى توسيع رقعة دولتهم بمد نفوذهم الى الامارات المحيطة بهم ، فسار محمود لمحاربة خلف بن أحمد صاحب سجستان[٦١] ، الذى قام بعدة محاولات للاستقلال عن غزنه فى عهد سبكتكين ، ولما أيقن أنه لا يستطيع الوقوف فى وجهه طلب منه العفو والصفح ، فعفا عنه وأبقاه على ولايته[٦٢] ، غير أن خلف بن أحمد لم يبق على ولائه للغزنويين وأخذ يترقب الفرص للعودة الى العصيان[٦٣] . فلما توفى سبكتكين سنة ٣٨٩ هـ وخلفه ابنه محمود ، عاد خلف الى الانتقاض على الغزنويين ، فأرسل ابنه طاهر الى قهستان فملكها ، ثم سار منها الى بوشنج[٦٤] وهراة فانتزعها من واليها « بغراجق » — عم السلطان محمود[٦٥] — فقام بغراجق بطرد طاهر من ولايته ، واشتبك معه فى معركة انتهت بهزيمة طاهر ، على أن طاهر

---

(٦٠) العتبى : تاريخ اليمينى ، جـ ١ ، ص ٣٢٠ ، ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ٣٦٣ (بولاق سنة ١٢٨٤ هـ) ، ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٥٦ وذكر حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ، ص ١٤٨ ملحق بتاريخ بخارى أن استيلاء الخان على بخارى وسقوط الدولة السامانية كان فى الثانى والعشرين من ذى الحجة ٣٨٩ هـ .

(٦١) سجستان : تقع جنوبى هراة ، وبينها وبين هراة ثمانون فرسخا .
ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ٣٧ .

(٦٢) العتبى : جـ ١ ، ص ٣٥٤ ، ٣٥٦ .

(٦٣) ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٦٠ .

(٦٤) بوشنج : بلدة نزيهة فى واد مشجر نواحى هراة .
ياقوت : جـ ٢ ، ص ٢٠٤ .

(٦٥) العتبى : تاريخ اليمينى ، جـ ١ ، ص ٣٥٧ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٦٠ .

ابن خلف لم يركن الى الهزيمة ، بل انقض فجأة على بغراجق وقتله[٦٦] ، فغضب محمود لمقتل عمه وتوجه سـنة ٣٩٠ على رأس جيش كبير الى سجستان لقتال « خلف » وحاصره فى حصن « أصبهبذ » وأجبره على دفـع فـدية كبيرة[٦٧] وصار مواليا للـدولة الغزنوية وسـلطانها محمـود[٦٨] .

ما لبثت الامور أن تطورت فى سجستان لصالح محمود ، اذ ساءت العلاقة بين خلف وابنه طاهر ، وتمكن الابن من هزيمة أبيه وولى حـكم البلاد ، غير أن خلف تمكن من الاحتيال على ابنه وقتله[٦٩] ، وأعلن استقلال سجستان عن غزنه[٧٠] . فغضب الجند الموالون لطاهر ، وتمكنوا من الاستيلاء على السلطة وأعلنوا دخولهم فى طاعة محمود بن سبكتكين ، وأقاموا له الخطبة فى سنة ٣٩٣ هـ / ١٠٠٢ - ١٠٠٣ م[٧١] .

عول محمود بن سبكتكين على القضاء على خلف بن أحمد الذى فر الى قلعه[٧٢] « طاق[٧٣] » وما لبث أن دخل هذه القلعة واضطر خلف الى

---

(٦٦) العتبى : جـ ١ ، ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ٣٦٤ ، ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٦٠ .

(٦٧) مقدارها مائة الف دينار .

العتبى : جـ ١ ، ص ٣٥٩ ، ٣٦٠ .

(٦٨) ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٦٠ .

، خوند امير : حبيب السير فى اخبار البشر جـ ٢ ص ١١ .

(٦٩) العتبى : جـ ١ ، ص ٣٦٨ ، ٣٧٠ .

يروى خوند امير : حبيب السـير جـ ٢ ص ٢١ ان خلف ترك حكومة سجستان لابنه وانشغل بالعبادة ، غير انه ندم على ما فعل وغدر بابنه وقتله ، ولـما علم محمود بذلك قصده ليحاربه انتقاما لـما فعله .

(٧٠) ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٦٠ .

(٧١) العتبى : جـ ١ ، ص ٣٧٠ ، هلال بن الصـابى : تحفة الأمراء ، ص ٤١٤ ، ابن الأثير ، جـ ٩ ، ص ٦٣ .

(٧٢) قلعة طاق او حصن طاق : كان لهذا الحصن سبعة اسـوار يحيط بها خندق واسع عميق صعب العبور ، لا يعبر منه الا من طريق فى مضيق على جسر يطرح عند الحاجة ويرفع عند الاستغناء عنه .

العتبى : جـ ١ ، ص ٣٧١ .

(٧٣) طاق : من مدن سجستان بطرف خراسان بينها بين شـمال نج مسيرة يوم الكرديزى : زين الاخبار هامش ص ١٧٧ .

طلب الأمان ، فأجابه وسمح له أن يقيم حيث يشاء فاختار الجوزجان[٧٤] ثم بلغ محمود أنه يكاتب إيلك خان ويحرضه على غزوه فأبعده الى « كرديز » حيث توفى[٧٥] فى رجب سنة ٣٩٩ هـ (مارس ١٠٠٩ م)[٧٦] .

أسند محمود ولاية سجستان الى أحد أمرائه ويدعى « قنجى الحاجب » فثار عليه بعض أهل المدينة ، فسار اليهم محمود الغزنوى ، وتمكن من القضاء على ثورتهم فى ذى الحجة سنة ٣٩٩ هـ (يوليه / أغسطس ١٠٠٩ م) وصفت له سجستان فأقطعها أخاه نصرا بالاضافة الى نيسابور[٧٧] .

ولما فرغ محمود الغزنوى من أمر سجستان اتجه الى قصدار ، وكانت خاضعة لنفوذ الغزنويين منذ أيام سبكتكين ، غير أن أميرها منع ما كان يرسله للسلطان محمود ، محتميا بحليفه ايلك خان الذى كان يلى ما وراء النهر ، ولما كانت علاقة السلطان محمود طيبة بالخان ، فقد تغاضى عما قام به أمير قصدار ، الى أن تبدلت العلاقات وفسد الحال بينهما ، فلم يعد هناك ما يمنع محمود من المسير اليه ، وواتته الفرصة حينما انشغل الخان بصراعه مع أخيه « طغان خان » فاتجه الى قصدار فى جمادى الأولى سنة ٤٠٢ هـ (نوفمبر/ديسمبر ١٠١١ م) مظهرا أنه يقصد هراة ، ثم ما لبث أن غير وجهته فأحاط بقصدار ، فلم

---

(٧٤) تاريخ ابى الفدا : جـ ٩ ، ص ١٤٢ .

والجوزجان او جوزجانان : اسم كورة واسعة من كور بلخ بخراسان وهى بين مرو الروذ وبلخ ويقال لقصبتها « اليهودية » ومن مدنها الأنبار وفاراب وكلار .

ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ١٦٧ .

(٧٥) يذكر الكرديزى : ان موت خلف كان فى بلدة دهك فى زابلستان . زين الأخبار ص ٧٧ .

(٧٦) العتبى : جـ ١ ، ص ٣٦٨ — ٣٧٤ ويذكر حمد الله المستوفى : تاريخ كزيده (فارسى) ص ٣٩٢ ان خلف بن احمد عاود الخروج على السلطان ولجأ الى ايلك خان فقبض عليه محمود الغزنوى وارسله من سجستان الى قلعة جرجان فظل بها الى ان مات .

(٧٧) العتبى : جـ ١ ، ص ٣٨٦ — ٣٨٩ ، ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٦٥ .

يجد حاكمها الذى فوجىء بالجيوش الغزنوية بدا من طلب الأمان وعاد الى الطاعة(٧٨) .

واصل محمود الغزنوى جهوده لمد نفوذ دولته ، فاتجه الى بلاد غرشستان(٧٩) وكان يلى حكمها فى زمن الغزنويين الشار أبو نصر محمد ابن أسد ، الذى نزل عن الملك لابنه الشاه محمد(٨٠) ، ولما آلت خراسان الى محمود بن سبكتكين دخل فى طاعته حكام تلك البلاد ، وقام العتبى(٨١) المؤرخ بالسفارة بين السلطان وبين الشاه وابنه فقبلا اقامة الخطبة باسم السلطان محمود سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٨ — ٩٩٩ م وحافظا على طاعة محمود ، ورفضا الانضمام الى بقايا السامانية فى محاولتهم استعادة سلطانهم(٨٢) .

غير أنه عندما اعتزم السلطان محمود غزو الهند فى نفس العام (٣٨٩ هـ) وأرسل الى ولاة الأقاليم فى دولته يطلب منهم امداده بالقوة اللازمة — لم يستجب حاكم غرشستان — وأظهر التمرد(٨٣) والعصيان ، فتغاضى السلطان محمود عن عصيانه حتى عاد من غزوته فى الهند وعول

---

(٧٨) العتبى : ج ٢ ص ١٣٢ ، ١٣٣ ، ابن الاثير : ج ٩ ص ٨٤ .

(٧٩) غرشستان : معناها بلاد الغرش وتسمى ايضا غرستان و« غرج الشار » ومعنى الغرج « الجبال » والشار هو الملك ويسميها العوام « غرجستان » وهى ولاية تقع شمال غزنة ويحدها شمالا مرو الروذ وغربا هراة واشهر مدنها « بايكان » مقر الشار (الملك) وبسير وسورمين وهى ملاصقة لبلاد الغور .
ياقوت : معجم البلدان ، ج ٦ ، ص ٢٧٧ .

(٨٠) واشتغل بالعلوم ومجالسة العلماء .
العتبى : ج ٢ ، ص ١٣٣ .

(٨١) ابو نصر محمد بن عبد الجبار (ت ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ م) .

(٨٢) يروى العتبى ان الشاه محمد حضر الى بلاط السلطان الغزنوى ليقدم فروض الولاء والطاعة .
تاريخ اليمينى ، ج ٢ ، ص ١٣٣ — ١٣٨ .

(٨٣) العتبى : ج ٢ ، ص ١٤٠ ، ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٥٩ ، ابن الاثير : ج ٩ ، ص ٥٥ .

على استعادة نفوذه في غرشستان(٨٤) فأرسل اليها جيشا بقيادة أبى سعيد التونتاش وأرسلان جاذب والى طوس ، واستطاع الجيش الغزنوى دخول غرشستان غير أن حاكمها لم يستسلم للهزيمة ، ولجأ مع بعض قواته الى احدى القلاع وتحصن بها ، فحاصره الجيش الغزنوى حتى اضطر الى الاستسلام وقبض عليه حيث سيق الى غزنه(٨٥) ، وخضعت غرشستان من جديد للسلطان محمود(٨٦) .

رأى السلطان محمود أن يتابع سياسته في تدعيم سلطة دولته ، بغزو بلاد الغور(٨٧) ، فسار اليها على رأس قواته ، وخرج اليه حاكمها « ابن سورى » في عشرة آلاف مقاتل(٨٨) ، ودارت الحرب بين الفريقين ، وتمكن جند الغزنويين من دخول مدينة آهنكران(٨٩) . وكان ذلك في سنة ٤٠١ هـ / ١٠١٠ — ١٠١١ م(٩٠) .

استمرت اغارات السلطان محمود على بلاد الغور ، مستغلا في ذلك قدراته وامكانياته الحربية ، ففى سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م زحف على « خوابين » — وهى متصلة بأراضى بست ودراو — وتمكن من فتح

---

(٨٤) ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٥٥ .
(٨٥) العتبى : تاريخ اليمينى ، جـ ٢ ، ص ١٤٠ — ١٤٦ .
(٨٦) العتبى : جـ ٢ ، ص ١٤٠ — ١٤٦ ،
خوندمير : حبيب السير ، جـ ١ ص ٢٠ .
(٨٧) الغور : ولاية واسعة موحشة تغلب عليها الطبيعة الجبلية والمناخ البارد وكانت تقع بين هراة وغزنة ، ورغم احاطة ديار الاسلام بهذا الاقليم فقد ظلوا على الكفر الا قلة منهم اعتنقت الاسلام وقد وصف العتبى ملكهم بأنه زعيم الكفرة ، وكانت مدينة فيروزكوه عاصمتهم ، وكان ملوكهم يحملون اسم « سورى » .
الاصطخرى : المسالك والممالك ، ص ١٥٣ — ١٥٧ ، العتبى : جـ ٢ ، ص ١٢٣ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٦ ص ٢١٣ .
(٨٨) العتبى : جـ ٢ ص ١٢٢ ، ١٢٣ ، البيهقى : ص ١١٨ — ١٢٠ ، ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٨٢ .
(٨٩) العتبى : جـ ٢ ، ص ١٢٥ ، ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٨٢ .
(٩٠) العتبى : جـ ٢ ، ص ١٢٤ ،
ابن خلدن : العبر ، جـ ٤ ، ص ٣٦٩ .

الحصون الموجودة في هذه المنطقة(٩١) ، ولم يزل يواصل غزوه بلاد الغور حتى تمكن من الاستيلاء على « وى »(٩٢) قاعدة تلك البلاد(٩٣) .

ظلت بلاد الغور خاضعة للغزنويين في عهد السلطان محمود وابنه السلطان مسعود ، وجاء امراؤها بين راغب وكاره يقدمون فروض الطاعة للسلطان مسعود ، ولم يتفق في أي عهد أنهم خضعوا لملك مثله من قبل • على حد قول البيهقي(٩٤) .

ولم يكن الأفغان(٩٥) أقل خطرا من الغور ، فكانوا يسكنون الجبال القريبة من غزنه ، ويقطعون الطرق المؤدية لها ، فعول السلطان محمود على اخضاعهم فقصد في سنة ٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م بلادهم وسلك مضايقها ، وفتح مغالقها ، وغنم أموالهم فركنوا الى الهدوء والطاعة لغزنه(٩٦) .

كذلك اتجه السلطان محمود الغزنوى الى جرجان وطبرستان لاخضاعهما وكانتا تحت حكم آل زيار(٩٧) • وقد عمل السلطان

---

(٩١) البيهقي : ص ١١٨ .

(٩٢) « ... ى » ذات موقع استراتيجى هام بحيث يستطيع من يسيطر عليها أن يفرض سيطرته ونفوذه على المنطقة كلها . البيهقى ، ص ١٢١ .

(٩٣) البيهقى ، ص ١٢١ — ١٢٤ .

(٩٤) البيهقى ، ص ١١٨ .

(٩٥) كان العنصر الافغانى يقيم في بلاد سليمان القريبة من غزنة ، ويتسم الافغان بالأنوف الطويلة الضيقة والعيون السوداء ، ويبلغ طول قامتهم ما بين ٦٣٫٥ الى ٦٩ بوصة ، وهم من أصل ايرانى تركى ويتصفون بحدة الطباع .

محمود طه ابو العلا : دراسات في جغرافية العالم الاسلامى ، ص ١٠٩ ، على مظهر : افغانستان ، ص ٢١ — ٢٨ .

(٩٦) العتبى : تاريخ اليمينى ، ج ٢ ، ص ٣٠١ — ٣٠٢ .

ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٧٣ ، ابن الأثير : ج ٩ ، ص ١١٥ .

(٩٧) نسبة الى مؤسسها زيار بن وردان شاه حاكم جيلان والد مرداويج ، زامباور : معجم الانساب والاسرات الحاكمة ، ج ٢ ، ص ٣٢٠ ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج ١٠ ، ص ٤٧١ .

محمود على الاستفادة من الخـلافات التى نشبت داخـل الأسرة الزيارية • وكان دارا ابن الأمير شمس المعالى قابوس بن وشمكير الزيارى قد لجأ اليه ، وحدث أن تغير عليه السلطان محمود فأودعه السجن ، ثم أراد أن يفيد منه بعد الاضـطرابات التى حدثت فى جرجان فأطلقه وقرر ارساله فى جيش للاسـتيلاء على جرجان باسمه[٩٨] ، وخشى منوجهر الذى آل اليه الحكم فى جرجان وطبرستان وبلاد الجبل سـنة ٤٠٣ هـ[٩٩] مغبة الأمر فسارع بتقديم الطـاعة والولاء للسلطان محمود وتعهد بدفع اتاوة قدرها خمسون ألف دينار كل عام له ، وأقام له الخطبة على منابر بلاده[١٠٠] •

وجه سلاطين الغزنويين جهدهم للقضاء على حركات التمـرد والعصيان التى قامت ضدهم فى طبرستان وجرجان . فقد استغل دار ابن منوجهر — والى طبرستان وجرجان من قبل الغزنويين انشغال السلطان مسعود سنة ٤٢٦ هـ / ١٠٣٤ م ببعض الغزوات فى الهند ، والشغب الذى أحدثه الغز (السلاجقة) فى خراسان ، وامتنع عن ارسال الأموال المقررة على ولايته الى غزنة ، وراسل أمير أصفهان علاء الدولة ابن كاكويه[١٠١] ، فلما انتهى السلطان مسـعود من غزواته فى الهند وأخضع الغـز فى خرسان ، سـار الى جرجان واستعادها ، ثم اتجه الى آمل وطبرستان[١٠٢] ففارقها واليها وتحصن

---

(٩٨) العتبى : جـ ٢ ، ص ١٨٧ — ١٩٢ •

(٩٩) العتبى : جـ ٢ ، ص ١٧٩ ، ١٨٠ ، زامباور : معجم الانساب ، جـ ٢ ، ص ٣٢٠ •

(١٠٠) سعى منوجهر الى تقوية مركزه بطلب مصاهرة السـلطان فاجابه وزوجه احدى بناته .
العتبى : جـ ٢ ، ص ١٧٢ — ١٨١ .

(١٠١) هو علاء الدولة (عضد الدين) ابو جعفر محمد بن وشمنزار ابن كاكويه ، استولى على أصبهان سنة ٣٩٨ هـ وهمدان وسابور خواست سنة ٤١٤ هـ ، وتوفى سنة ٤٣٣ هـ . معجم الانساب والاسرات الحاكمة ، جـ ٢ ، ص ٣٢٨ .

(١٠٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٦٠ .

مع جنده بالجبال ، فسار اليهم السلطان مسعود واقتحمها عليهم وهزمهم ، فلما رأى « دارا » أنه لا قبل له بالسلطان مسعود طلب منه العفو والصفح فعفا عنه وأعاده الى ولايته[١٠٣] .

أما خوارزم التى تقع شمال غرب خراسان ، ويتولى حكمها أفراد يتسمون باسم مأمون[١٠٤] ، فقد تزوج آخر حكامها أبو العباس المأمون بن المأمون[١٠٥] من أخت السلطان محمود[١٠٦] ، وكان أبو العباس هذا يدين بالولاء للسلطان الغزنوى ، وبلغ من خضوعه له أنه أمر بكتمان أمر الخلعة والألقاب التى أرسلها اليه الخليفة القادر بالله ، خشية من غضب اسلطان لحصوله عليها بغير وساطته[١٠٧] .

ولم يلبث أبو العباس خوارزمشاه أن أثار شك السلطان محمود فى صدق ولائه له حين رفض ارسال رسول من قبله ليشهد عقد ميثاق الصلح بين السلطان وخانات التركستان[١٠٨] ، ورأى السلطان محمود أن يؤكد خضوع حكام خوارزم له ، فطالب أميرهم أبا العباس أن يقيم الخطبة باسمه ، لكن رجال خوارزمشاه عارضوا هذا الأمر

---

(١٠٣) البيهقى : ص ٤٩١ ، ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ١٦٥ .

(١٠٤) البيهقى : ص ٧٣١ .

(١٠٥) وهو من آل فريغون الذين كانوا يحكمون فى ولاية الجوزجان .
العتبى : جـ ٢ ، ص ١٠١ .

(١٠٦) العتبى : تاريخ اليمينى جـ ٢ ، ص ٢٥٢ ، البيهقى ، ص ٧٤٣ ، ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٩٨ ، وان كان البيهقى يذكر ، ص ٧٣٤ أنه تزوج من اخت الأمير سبكتكين السيدة « كالجى » .

(١٠٧) البيهقى ، ص ٧٣٤ ، ٧٣٥ يشيد ابو الريحان البيرنى بأخلاق ابى العباس فيقول : « وقد خدمته سبع سنين لم اسمع لفظا نابيا جرى على لسانه » .
البيهقى ، ص ٧٣٤ .

(١٠٨) البيهقى ، ص ٧٣٦ .

بشـــدة[١٠٩] . ورأى الأمير أبو العباس أن يقيم الخطبة للسلطان محمود فى جميع بلاده ما عدا مدينتى خوارزم والجرجانية التى يتمركز فيها المعارضون للسلطان محمود[١١٠] .

لـــم يلبث هــؤلاء المعارضـــون أن ثاروا على ابن العبـــاس خوارزمشاه بقيادة كبير الحجاب « البتكين البخارى »[١١١] وقصدوا دار الامارة وحاصروا خوارزمشاه وقتلوه فى منتصف شـــوال سنة ٤٠٧ هـ (مارس ١٠١٧ م)[١١٢] ، ثم جاءوا بابن أخيه[١٠٣] أبى الحرث محمد بن على بن المأمون — وكان فى السابعة عشر من عمره — وأجلسوه على العرش وأستولى البتكين البخارى على شئون الحكم مع وزيره « أحمد طغان » وأستبدوا بالسلطة أربعة أشهر كانت فيها البـــلاد مسرحا للفتن والمؤامرات[١١٤] .

ولـــا بلغ السلطان محمود ثورة هؤلاء المعارضين على خوارزمشاه وقتله أرسل الى خانات التركستان يخبرهم بعزمه على محاربتهم[١١٥] ، وأوقع الهزيمة بقائد جيشهم البتكين البخارى[١١٦] ، ثم دخل السلطان

---

(١٠٩) ، (١١٠) حاول خوارزم شاه ان يقوى مركزه بالتحالف مع خانات التركستان ضد السلطان محمود ، لكنهم رفضوا ان ينكثوا بعهدهم مع السلطان الغزنوى وعرضوا ان يتوسطوا فى الصلح بينهما .
البيهقى : ص ٧٣٦ — ٧٤٢ .

(١١١) يذكره حمد الله المستوفى باسم « اينالتكين » ، تاريخ كزيدة ، ص ٣٩٦ (فارسى) .

(١١٢) كان عمر هذا الأمير اثنين وثلاثين عاما .
البيهقى : ص ٧٤٢ .

(١١٣) يذكر العتبى : انه عقد لاحد أولاده امارة خوارزم .
تاريخ اليمينى ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ .

(١١٤) البيهقى : ص ٧٤٢ .

(١١٥) العتبى : ج ٢ ، ص ٢٥٤ — ٢٥٦ ، البيهقى ، ص ٧٤٢ .
رغم علم خانات التركستان أن السلطان محمود حين يستولى على خوارزم سيكون كالشوكة القوية فى قلبهم . البيهقى : ص ٧٤٤ .

(١١٦) البيهقى : ص ٧٤٤ — ٧٤٥ .
كذلك قبض السلطان محمود على خمارتاش الشرابى ، وشاذتكين ، وكانوا رؤوس الفتنة والمدبرين لها . البيهقى ، ص ٧٤٥ .

محمود خوارزم واستولى عليها[١١٧] .

اتجه الغزنويون بعد ذلك الى الاستيلاء على أملاك البويهيين التى تحيط بدولتهم من الغرب والجنوب الغربى ، وقد تهيأت الظروف أمام السلطان محمود نتيجة انقسام البويهيين الى عدة قوى تتصارع فيما بينها . فبدأ زحفه على أملاكهم سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م الرى وبلاد الجبـــل[١١٨] .

كان يلى حكم الرى مجد الدولة أبو طالب رستم بن على ، وكان فى الرابعة من عمره عندما آل اليه الملك بعد وفاة أبيه فخر الدولة سنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م . ولذا تولت والدته السلطة الفعلية فى البلاد ، وكانت الرى موضع تفكير السلطان محمود وكان يســـتشير وزيره أبا الحسن الميندى فى المسير اليها لكنه أثناه عن ذلك[١١٩] .

---

(١١٧) وضم اليها الجرجانية . حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ، ص ٣٩٦ (فارسى) .

يذكر ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ ص ٢٨٤ فى حوادث سنة ٤٠٧ هـ ان محمود [illegible] سبكتكين ملك خوارزم ونقل أهلها الى الهند .

(١١٨) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ، جـ ٣ ، ص ١٦٧ .

(١١٩) البيهقى : ص ٢٨٩ .

كان السلطان محمود يبعث برسله الى الرى مهددا بالغزو أو مطالبا بالجزية فى عهد أم مجد الدولة ، لكن مستشارها ابدر بن حسنويه الكردى كان يظهر لهؤلاء الرسل ما لديه من قوة عسكرية فكان يرتب طوائف الجند بطول الطريق بكامل أسلحتهم وهيئتهم حتى يبعث الرهبة فى نفس رسول السلطان وليخبروا السلطان بما شاهدوه . فكان ذلك طريقا للكف والموادعة ومما يروى انه حينما هددها السلطان بالقتال قالت للرسول : « ان السلطان لن يقدم على محاربة عجوز مثلى ، واذا اختار الحرب ، فلن اتردد عن الطعن والنزال ، فان انتصرت فسيذكر لى هذا النصر الى يوم الدين ، واما اذا فاز هو ، فسيتحدث المتحدثون انه لم يفز الا على امرأة عجوز ». ولهذا لم يقدم السلطان على قصد هذه المرأة طول حياتها .

ابو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص ٢٩٠ ، ٢٩١ .

، براون : تاريخ الأدب فى ايران من الفردوس الى الســـعدى ص ١٩٧ ، ١٩٨ .

ولما اضطربت الأحوال فى الرى بعد وفاة أم مجد الدولة سنة ٤١٩ هـ[١٣٠] وشغب الجند ضد الأمير مجد الدولة[١٣١] ، أضطر هذا الأمير الى مكاتبة محمود بن سبكتكين ، فأرسل اليه يطلب منه الدخول فى طاعته ، فوافق مجد الدولة على شروطه[١٣٢] ، فأرسل السلطان محمود جيشا[١٣٣] الى الرى فقبض على مجد الدولة وأرسله الى غزنة[١٣٤] ، وبذلك تيسر للسلطان محمود ضم الرى الى حوزته سنة ٤٢١ هـ[١٣٥] .

أصبحت ولاية كرمان فى متناول الغزنويين بعد استيلائهم على الرى ، ففى سنة ٤٢٢ هـ بلغ السلطان مسعود[١٣٦] اضطراب الأحوال فى هذه الولاية ، فأرسل قائده أحمد على نوشتكين[١٣٧] فتمكن من الاستيلاء على كرمان دون صعوبة تذكر وطرد منها جند البويهيين[١٣٨] .

ولما أرسل الأمير البويهى أبو كاليجار[١٣٩] الى السلطان مسعود

---

(١٣٠) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ١١ ، ص ٥٨ (مخطوط)

(١٣١) وكان يميل الى المذاهب المناوئة للمذهب السنى وكان مولعا بقراءة كتب الشيعة والمعتزلة ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٨ ، ص ٣٨ .

(١٣٢) وكانت هذه الشروط أن يدخل مجد الدولة فى طاعته مقابل أن يساعده ضد المتمردين عليه وأن يزوجه احدى بناته . مرآة الزمان ، جـ ١١ ، ص ٤٥٧ — ٤٥٩ (مخطوط) .

(١٣٣) وكان على راس هذا الجيش ثلاثة من مقدمى قواده هم ايكوتكين وعلى الحاجب وغازى الحاجب .
الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٩٣ « فارسى » .

(١٣٤) الكرديزى : ص ١٩٣ وأن كان سبط بن الجوزى يذكر أنه ارسل مع ابنه ابى دلف الى احدى قلاع خراسان . مرآة الزمان : جـ ١١ ، ص ٤٥٧ — ٤٥٩ (مخطوط) .

(١٣٥) وكان فتح الرى فى جمادى الاولى سنة ٤٢١ هـ ، الكرديزى : زين الاخبار ، ص ١٩٣ .

(١٣٦) عن طريق جواسيسه ، البيهقى : ص ٤٥٦ ، ٤٥٧ .

(١٣٧) على أن يكون واليا وقائدا وان يكون ابو الفرج الفارسى صاحب الجيش والأعمال والأموال . البيهقى : ص ٤٥٦ ، ٤٥٧ .

(١٣٨) البيهقى : ص ٤٥٧ .

(١٣٩) البيهقى : هامش ص ٤٥٦ .

يعتب عليه استيلائه على كرمان أجابه بأنه سار الى هذه الولاية للقضاء على المفسدين فيها ولاستنجاد أهلها به ، فضلا عن أن الخليفة العباسى أرسل اليه كتابا يطلب فيه الاستيلاء على هذه الولاية[١٣٠] .

لم يكن الاستيلاء على كرمان وغيرها من أملاك البويهيين فى شرق الدولة الاسلامية هو نهاية المطاف لآمال الغزنويين ، بل كانوا يطمحون فى القضاء على نفوذ البويهيين فى العراق ، يتضح ذلك من قـــول السلطان مسعود لقائده حسن سليمان[١٣١] فى الرى : « وأعلم علم اليقين أنا سنعمل الفكر فى شئون هذه النواحى عنـدما تسـتقيم لنا الأحوال ونصل الى قاعدة ملكنا ، وسنبعث قائدا كبيرا الى هنا مـع جيش عظيم بصحبته أحد الأكفاء والثقاة من أرباب القلم ليتخذه الجميع مثـالا حسـنا فى أعمالهـم حتى يدخـل باقى العراق فى طاعتنـا انشاء الله »[١٣٢] ، كما تجلت أطماع السلطان مسعود فى العراق حين وجه حاجبه « تاش فراش » الى خراسان والعراق فى شوال سنة ٤٢٢ هـ (سبتمبر/اكتوبر ١٠٣١ م) وقال له : « وأملى أن يفتح الله عليـك أبواب العراق جميعها »[١٣٣] ، غير أن ما تعرضت له الدولة الغزنوية من فتن وثورات ، فضلا عن ظهور خطر السلاجقة حال دون تحقيق هذه الأطمـاع .

---

(١٣٠) البيهقى : ص ٤٥٧ .
(١٣١) أحد أعيان أمراء جبال هراة وقد عينه السلطان شحـنه (قائدا) لاقليم الرى ، البيهقى : ص ٢٣ .
(١٣٢) البيهقى : ص ٢٣ .
وكان ذلك يوم الاربعاء لأربع عشر ليلة بقين من رجب سنة ٤٢١ هـ .
(١٣٣) البيهقى : ص ٣٠٩ .

ظهور السلاجقة وزوال سلطان الغزنويين

أثار ظهور السلاجقة(٢٤٠) مخاوف السلطان محمود الغزنوي (٢٤١) ، خاصة بعد تحالفهم مع الأمير على تكين(٢٤٢) ، الذى كثيرا ما أثار المتاعب للسلطان الغزنوى فيما يجاوره من البلاد وقطع الطريق على رسله المترددين الى ملوك الترك(٢٤٣) ولما عقد الصلح بين السلطان محمود بن سبكتكين وبين الأمير القره خانى قدرخان سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ — ١٠٢٥ م(٢٤٤) حذره « قدرخان » من السلاجقة وتعاظم قوتهم واحتمال قيامهم بالاستيلاء على بعض الولايات مستغلين غيابه فى بلاد الهند ، وأشار عليه بأن يستعين بهم ليأمن شرهم(٢٤٥) .

---

(٢٤٠) السلاجقة : نوع من قبائل الغز الأتراك ، وقد اخذت هذه القبائل تفارق موطنها الأصلى فى سهول التركستان على شكل موجات خلال القرنين الثالث والرابع الهجرى واستقروا فى اول أمرهم فى بلاد ما وراء النهر . وقد عرف السلاجقة بهذه التسمية نسبة الى زعيمهم سلجوق بن دقاق ، وكان لسلجوق أربعة أولاد هم : اسرائيل (بيغو ارسلان) وموسى بيغو ويونس وميكائيل وخلف ميكائيل اولاده بيغو وطغرلبك وجغرى بك داود .

الحسينى : اخبار الدولة السلجوقية ، ص ٢ ، ٣ ، ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٦٧ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ ، ابن الأثير : جـ ٣ ، ص ١٧٦ — ١٧٨ ، حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ، ص ٩١ ترجمة محمود محروس قشطة ، بارتولد : تاريخ الترك فى آسيا ، ص ١٠٠ — ١٠٧ ، دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ٥ ، ص ٣٤—٣٧ .

(٢٤١) تزايدت قوة السلاجقة خاصة بعد ان امتلكوا جيشا كامل العدة والعدد واشتبكوا فى معارك حربية ضد القره خانيين كان النصر فيها حليف السلاجقة .

ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ١٧٦ — ١٧٨ .

(٢٤٢) ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ١٧٦ .

(٢٤٣) ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ١٧٦ — ١٧٨ .

(٢٤٤) البيهقى : ص ٢٢ ، ابن الأثير : جـ ٩ ص ١٧٦ ، ١٧٧ .
، الكرديزى : زين الاخبار ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

(٢٤٥) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٤٧ .

استجاب السلطان محمود الغزنوى لهذا التحذير ، وأراد أن يتبين بنفسه مدى قوة السلاجقة ، فأرسل اليهم رسالة ، طلب فيها أن يختاروا أحدهم يفد الى مقره على شاطىء جيحون ليعقد معه العهود والمواثيق[٢٤٦] ، فقدم اليه اسرائيل على رأس جيش كبير ، فلما علم السلطان محمود بقدومه أنفذ اليه رسولا يقول له : « لسنا الآن فى حاجة الى الاستمداد بجيشك ، وانما جملة مقصودنا أن ننعم برؤيتك والاستظهار بك ، فاترك الجيش فى مكانه ، وتعال أنت مع خواصك وأعيان رجالك » . فأجاب اسرائيل طلب السلطان وسار اليه ومعه ولده قتلمش فى جماعة من خيرة فرسان السلاجقة[٢٤٧] فلما وصل الى حضرة السلطان بالغ السلطان محمود فى اكرامه وأجلسه على طرف سريره[٢٤٨] .

أراد محمود أن يعرف قوة السلاجقة على حقيقتها ، فأوهم اسرائيل أنه يود الاستعانة بهم القضاء على من يحاول الخروج عليه حينما يذهب لغزو بلاد الهند ، وسأل اسرائيل عن مقدار ما يستطيع السلاجقة أن يمدوه من الجيوش ، وكان اسرائيل يحمل قوسا وسهمين ، فأخذ سهما وأعطاه للسلطان محمود وقال له : « أرسل هذا السهم لجندنا اذا عرضت لك حاجة الينا يأتك منا مائة ألف فارس ... » فأجابه السلطان : واذا لم يكف هذا العدد ؟ فتناول اسرائيل السهم الآخر وأعطاه للسلطان محمود وقال له : « أرسل هذا السهم الى جبل « بلخان »[٢٤٩] فسوف يأتيك خمسون ألف غيرهم ، واذا لم يكفك هذا العدد فأرسل الينا هذا القوس ، وكان اسرائيل قد ناول السلطان قوسه — فسوف يأتيك اذا شئت مائتا ألف فارس »[٢٥٠] .

---

(٢٤٦) راحة الصدور ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ .
(٢٤٧) ، (٢٤٨) راحة الصدور ، ص ١٤٨ .
(٢٤٩) جبال بلخان : الى الشمال الشرقى من خراسان . الراوندى : راحة الصدور ، هامش ص ١٤٩ .
وبلخان كانت مدينة فى ظهر أبيورد
الكرديزى : زين الأخبار ، هامش ص ١٩٢ .
(٢٥٠) الراوندى : ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

تأكدت مخاوف السلطان محمود الغزنوى تجاه السلاجقة وتعاظم قوتهم ، فأمر بالقبض على اسرائيل بن سلجوق وولده قتلمش وبقية من معــه من الفرسان ، ثم أرسل الأمير السلجوقى الى بلاد الهند حيث سجن فى قلعة كالنجر[٢٥١] ، وبقى هناك حتى توفى[٢٥٢] .

كان لغدر السلطان محمود بالسلاجقة واعتقاله اسرائيل ومن معه من القواد والفرسان أسوأ الأثر فى نفوس السلاجقة ، الذين عزموا على الثأر من الغزنويين ، فأختاروا لقيادتهم ميكائيل بن سلجوق[٢٥٣] ، الذى نجح فى نقل السلاجقة الى اقليم خراسان[٢٥٤] ، فقد كتب الى السلطان محمود يقول : « ان مقامنا أصبح يضيق بنا ، وأن مراعينا أصبحت لا تفى بحاجة مواشينا ، فأذن لنا أن نعبر النهر وأن نجعل مقــامنا بين نســا[٢٥٥] وباورد[٢٥٦] فأشار أرسلان الجــاذب[٢٥٧]

---

(٢٥١) الراوندى : ص ١٤٩ — ١٥١ .
ذكر الكرديزى : انه بعد مقابلة السلطان محمود لقدرخان ، اخبــره جواسيسه بأن اسرائيل ابن سلجوق مختفى فى مكان ما بالصحراء فارسل اليه من قبض عليه وأحضروه فارسل الى غزنة ومن هناك ارسل الى الهند حيث كان آخر العهد به . زين الأخبار ، ص ١٨٩ .

(٢٥٢) قام السلاجقة بمحاولة لاخراج سلجوق من سجنه ، غير أن الحراس تمكنوا من اعادة اسرائيل الى سجنه بعد أن اكتشفوا اختفائه .
الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٤٩ — ١٥١ .

(٢٥٣) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٥ ، حسين أمين : تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ، ص ٤٨ . وتذكر بعض المصادر أن ميكائيل قتل قبل هذا التاريخ اثناء غارات السلاجقة على الاتراك غير المسلمين ، ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ١٦٧ ، ١٧٧ ، أبو الفدا : المختصر ، جـ ٢ ، ص ١٧١ .

(٢٥٤) البندارى : ص ٥ ، عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايــران والعراق ، ص ٢٥ .

(٢٥٥) نسا : مدينة بخراسان بينها وبين سرخس يومان وبين مرو خمسة أيام وبين ابيورد يوم ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٨ ، ص ٢٨٢ .

(٢٥٦) باورد : وهى ابيورد بلد بخراسان بين سرخس ونســا . ياقوت : جـ ٢ ، ص ٥٣ .

(٢٥٧) هو أبو الحرث ارسلان الجاذب . الكرديزى : زين الاخبار ص ١٩٠ .

حاكم مدينة طوس على السلطان محمود بألا يسمح لهم بالعبور الى خراسان[٢٥٨] ، غير أن السلطان محمود لم يلتفت الى قول أرسلان الجاذب ، لأنه لم يعد يخشى بأس السلاجقة بعد القبض على اسرائيل وصفوة قوادهم ، وسمح لهم بعبور نهر جيجون والاستقرار فى اقليم خراسان سنة ٤١٦ هـ / ١٠٢٥ م[٢٥٩] .

عمل السلاجقة منذ أن استقروا فى اقليم خراسان على توطيد نفوذهم فى هذا الاقليم بتدعيم قواتهم وتسليحها ، كما أخذوا يبسطون نفوذهم على الأطراف المجاورة ويتحينون الفرص للقضاء على نفوذ الغزنويين فى خراسان وما وراء النهر[٢٦٠] .

أدت سياسة السلاجقة التى تنطوى على التوسع الى تذمر أهل « نسا » وباورد وفراوة[٢٦١] وجاءوا الى بلاط السلطان محمود سنة ٤١٨ هـ حيث رفعوا شكواهم من عدوان السلاجقة على بلادهم ، فكتب السلطان محمود الى والى طوس أرسلان الجاذب يأمره بمحاربة السلاجقة ودارت عدة معارك انتهى الأمر فيها بانتصار السلاجقة وهزيمة الجيش الغزنوى[٢٦٢] فلما علم السلطان محمود الغزنوى بهزيمة أرسلان الجاذب أرسل اليه يلومه على عجزه وتقصيره فى صد السلاجقة فأجابه بأن أمرهم قد قوى بحيث لا يستطيع وحده مواجهتهم وطلب منه الحضور بنفسه لقمع السلاجقة[٢٦٣] ، فلم يجد السلطان محمود بدا من التوجه بنفسه لمحاربة السلاجقة وتجهز لقصدهم فى سنة

---

(٢٥٨) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٣ .
، الكرديزى : ص ١٩٠ ، ابن الأثير : جـ ٩ ص ١٧٧ .
(٢٥٩) زين الأخبار ، ص ١٩٠ ، حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ، ص ٤٣٥ ، ٤٣٦ (فارسى) .
(٢٦٠) عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ص ٢٦ .
(٢٦١) فراوة : بليدة من اعمال نسا بين دهستان وخوارزم ويقال لها رباط فراوة . معجم البلدان ، جـ ٦ ص ٣٥٢ .
(٢٦٢) الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٩٢ .
(٢٦٣) زين الأخبار ، ص ١٩٢ .

٤١٩ هـ وتحرك من غزنة الى بست ومنهما الى طوس حيث استقبله أميرها ووضح له حقيقة الحال ، فقوى عزمه على محاربة السلاجقة واجلائهم عن البلاد التى استولوا عليها ، وعند « رباط فراوة » التقى الغزنويون بالسلاجقة حيث دارت بين الفريقين معركة كبيرة انتصر فيها الجيش الغزنوى انتصارا ساحقا[٢٦٤] .

على أن جغرى بك داود أبو سليمان ، وطغرلبك أبو طالب ولدى ميكائيل بن سلجوق[٢٦٥] استطاعا بعد هذه الهزيمة جمع شمل السلاجقة وتوحيد صفوفهم واعداد جيش قوى ، وقد اتيحت لهم الفرصة لتحقيق أطماعهم عند وفاة السلطان محمود[٢٦٦] ، فأخذوا يعملون على توسيع رقعة أراضيهم وبسط نفوذهم على المناطق المجاورة ، حتى أصبح معظم اقليم خراسان خاضعا لنفوذ السلاجقة[٢٦٧] .

لم يكتف جغرى بك وطغرلبك بما حققاه من نصر فى خراسان ، وأرسلا الى حاكم مدينة نيسابور « سورى بن المعتز » يطلبان منه أن يأذن للسلاجقة بالاقامة فى هذه المدينة[٢٦٨] ، فرفض اجابة طلبهما وكتب الى السلطان مسعود[٢٦٩] بذلك فعول على المسير الى نيسابور سنة ٤٢٦ هـ ، وأعد جيشا كبيرا لمحاربة السلاجقة[٢٧٠] . غير أنه

---

(٢٦٤) الكرديزى : زين الأخبار ، ص ١٩٢ .
(٢٦٥) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٤ .
(٢٦٦) زين الأخبار ، ص ١٩٤ .
(٢٦٧) عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ، ص ٢٧ .
، حسين أمين : تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ، ص ٤٩ .
(٢٦٨) البيهقى ، ص ٥٠٣ ، ٥٠٤ .
، الراوندى : ص ١٥٤ ، ١٥٥ .
(٢٦٩) زين الأخبر ، ص ١٩٤ — ١٩٧ .
(٢٧٠) عهد مسعود بقيادة هذا الجيش الى عدد من امرائه بلغوا عشرة على رأسهم « بكتغدى الحاجب » وكدخداى خواجه حسين بن على ابن ميكائيل ، وكانت جملة الجيش خمسة عشر الف فارس مجهزين بعدتهم بالاضافة الى الفى من الحراس .
البيهقى : ص ٥١٥ ، ٥١٦ .

لبث أن أضطر الى عقد صلح معهم اعترف فيه بسيادتهم على نسا وفراوة ودهستان(٢٧١) .

وكان السلاجقة قد أرسلوا كتبا(٢٧٢) الى السلطان مسعود رغم النصر الذى حققوه على جيشه يلتمسون فيه العفو عنهم ، وعقد الصلح معهم ، يقرهم فيه على ما بيدهم من البلاد(٢٧٣) وبعد مفاوضات جرت بين رسل السلاجقة والسلطان مسعود ، وافق السلطان الغزنوى على طلب السلاجقة(٢٧٤) .

كان لعقد السلطان مسعود الصلح مع السلاجقة ، أثر كبير فى توطيد نفوذهم بخراسان وتوسيع رقعة أراضيهم ، فقد ذكر الراوندى(٢٧٥) أن السلاجقة بعد عقد الصلح مع السلطان مسعود « اشتد بأسهم وازدادت قوتهم ، ولاحت عليهم امارات الملك ، وعلامات الحكم ، ومخايل السلطان ، فلما عاد السلطان الغزنوى من الهند الى غزنة سنة ٤٢٩ هـ وعلم بعلو شأن السلاجقة وازدياد قوتهم أحس بالخطر الذى بات يتهدد دولته من ناحيتهم(٢٧٦) ، فكتب الى أمير خراسان(٢٧٧) يأمره بوجوب محاربة السلاجقة واخراجهم من خراسان ، غير أن أمير خراسان أجاب على كتاب السلطان مسعود بقوله : « ان أمر السلاجقة قد علا بحيث لا أستطيع أنا ولا غيرى أن

---

(٢٧١) البيهقى : ص ٥٢٨ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٦ ، ١٥٧ ، الحسينى : اخبار الدولة السلجوقية ، ص ٩ ، ص ١٢ .

(٢٧٢) البيهقى : ص ٥٢٥ ، ٥٢٦ .

(٢٧٣) البيهقى : ص ٥٢٨ ، الكرديزى : زين الاخبار ، ص ٢٠٢ .

(٢٧٤) البيهقى : ص ٥٢٨ .

(٢٧٥) راحة الصدور ، ص ١٥٦ ، ١٥٧ ، البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٨ .

(٢٧٦) ابن الاثير : جـ ٩ ، ص ١٧٨ ، ١٧٩ . ، الحسينى : اخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٠ — ١٢ .

(٢٧٧) المراد به الحاجب الكبير سباشى . الراوندى : راحة الصدور ، هامش ص ١٥٧ .

نقاومهم »[٢٧٨] ، لكنه ما لبث أن أضطر الى الخروج لاجلاء السلاجقة عن منازلهم ، وفى آخر شعبان سنة ٤٢٩ هـ (الثلاثاء ٦ يونية ١٠٣٨ م) التقى جيش مسعود بقيادة أمير خراسان بالسلاجقة على باب مدينة سرخس ، ودارت معــركة كبــيرة بين الفريقين انتهت بانتصـــار السلاجقة[٢٧٩] .

كان لهذا النصر الذى أحرزه السلاجقة أثره الكبير فى قيام دولتهم ، فسار طغرلبك الى نيسابور ودخلها بعد أن منح أهلها الأمان ، وجلس على عرش السلطان مسعود فى ذى القعدة من السنة نفسها (٤٢٩ هـ) باسم السلطان طغرلبك وأمر أن تقرأ الخطبــة باسمه على منــابر المدينــة[٢٨٠] .

لمــا بلغ السلطان مسعود ما أحرزه طغرلبك من نصر ، عزم على محاربة السلاجقة[٢٨١] ، فأعد جيشا ضخما[٢٨٢] سار به نحو خراسان

---

(٢٧٨) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٥٧ .

(٢٧٩) البيهقى : ص ٥٧٩ — ٥٩٣ ، راحة الصدور ، ص ١٥٨ ، ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

(٢٨٠) راحة الصدور ، ص ١٥٨ ، البيهقى ، ص ٦٠٠ — ٦٠٤ ، ابن خلكان : جـ ٢ ، ص ٤٤٠ .

وصف البيهقى دخول طغرلبك نيسابور بقوله : « وكان طغرلبك قد كتب الى ابراهيم ينال بقوله : « ان اعيان نيسابور قد تصرفوا بحكمة ، فلا جرم أن يروا ما سيكون لهم وللرعايا جميعا من الطيبات ، وقد اتمنا على الجيوش اخانا داود وعمنا بيغو معهما المقدمون وسنحضر نحن على المقدمة مع خاصتنا ، وذلك حتى لا يمس رعايا تلك البلاد سوء ، جزاء ما قدموا من الطاعة وحفظوا أنفسهم ... » وبلغ طغرلبك نيسابور بعد ثلاثة أيام وخرج الأعيان جميعا لاستقباله ... وكان طغرلبك قد أعتلى سرير (عرش) السلطان مسعود امام الصفة ، واخذ بيد القاضى صاعد الذى طلب منه أن يعدل بين الناس ولا يترك الجيش يظلم الناس » .

البيهقى ، ص ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، بارتولد : تاريخ الترك فى آسيا ، ص ١٠٤ .

(٢٨١) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٢ ، البيهقى : ص ٦٠٥ — ٦٠٧ .

(٢٨٢) بلغ عدده ما بين اربعين وخمسين الف جندى ، البيهقى : ص ٦٠٧ .

حيث قضى الشتاء بنيسابور سنة ٤٣٠ هـ / ١٠٣٩ م ثم تحرك فى الربيع الى باورد ومنهـا الى سرخس[٢٨٣] ، ومن هنـاك اتجـه ناحيـة داندانقان[٢٨٤] .

لم يكد السلطان مسعود ينزل بجنده فى تلك الناحية[٢٨٥] ، حتى أقبل السلاجقة واستولوا على المنطقة المحيطة به ، وقطعوا الطريق عليه الى غزنة[٢٨٦] ، مما أضطره الى استكمال اعداد جيشه ، واسـتغلا السـلاجقة ملاقاته ، فلما دارت الحـرب بين الطرفين هزم جنـد الغزنويين ، وأرتد بعضهم ، فانضموا الى السلاجقة ، وعلى الرغـم مما أبلاه السلطان مسعود من شجاعة أثناء القتال ، الا أن فرار قواده وعصيانهم أوامره لهم بمواصلة القتال أدى الى هزيمة الغزنويين فى داندانقان[٢٨٧] ، وكان ذلك فى يوم الجمعة الثامن من رمضـان سنة ٤٣١ هـ (٢٤ مايو ١٠٤٠ م)[٢٨٨] .

ولمـا حلت الهزيمة بقوات السلطان مسعود وأضطر الى العـودة الى غزنة ، أخذ السلاجقة يتتبعون جيشه المهزوم ويوقعون به ، ويغنمون

---

(٢٨٣) الكرديزى : زين الاخبار ، ص ٢٠٣ .

(٢٨٤) داندانقان : بلدة من نواحى مرو الشاهجان على عشرة فراسخ منها فى الصحراء وتقع بين سرخس ومرو . معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٦١٠ ، زين الأخبار ، هامش ص ٢٠٣ .

(٢٨٥) زين الأخبار ، ص ٢٠٣ .

(٢٨٦) راحة الصدور ، ص ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٢٨٧) يرجع البيهقى هزيمة الغزنويين فى داندانقان الى شدة القيظ وقلة المؤن والعلف وهزال الدواب ، فضلا عن أن المعركة كانت فى الأيام الأولى من رمضان كما أن السلاجقة قاموا باستنزاف مياه الآبار فى منطقة القتال وردموها .

البيهقى : ص ٦٨٠ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٣ .

(٢٨٨) أمر السلطان مسعود بعد عودته الى غزنة باعتقال قواده الثلاثة على داية وحاجبه العظيم سباشى وحاجبه بكتغدى لاهمالهم وعدم طاعتهم أوامره ، حيث أمر بقتلهم . زين الأخبار ، ص ٢٠٣ .

منه ما لا حصر له من الأسرى والأموال والسلاح والدواب[٢٨٩] .

كانت موقعة داندانقان حدا فاصلا بين السلاجقة والدولة الغزنوية ، فبعد هزيمة السلطان مسعود لم يجرؤ الغزنويون على التصدى للسلاجقة أو محاولة استعادة ما فقدوه من البلاد ، كما تطرق الضعف الى جسم الدولة الغزنوية بسبب النزاع بين أمراء الجيش والتنافس بين أمراء البيت الغزنوى على السلطة .

وزعت ولايات الدولة الغزنوية بعد انتصار السلاجقة فى داندانقان على أمرائهم فاتخذ جغرى بك مدينة مرو دارا لملكه واختص بأكثر خراسان ، وتقلد موسى ولاية بست وهراة وسجستان ، وولى قاورد ولاية الطبسين[٢٩٠] ونواحى كرمان ، وعين ابراهيم ينال واليا على قوهستان وجرجان[٢٩١] ، أما طغرلبك فانه فضلا عن استيلائه على نيسابور[٢٩٢] ، استطاع أن يضم الى حوزته مدينة الرى ، واتخذها مقرا لحكومته[٢٩٣] .

استقر رأى السلاجقة على مكاتبة الخليفة القائم بأمر الله العباسى لينالوا تفويضا منه بحكم البلاد التى بسطوا سلطانهم عليها ، فأنفذوا اليه رسالة[٢٩٤] حملها اليه أبو اسحاق الفقاعى[٢٩٥] تضمنت ولاءهم

---

(٢٨٩) البيهقى ، ص ٦٦٣ — ٦٩٥ ، الحسينى : اخبار الدولة السلجوقية ، ص ١١ — ١٢ ، الراوندى :راحة الصدور ، ص ١٦٣ ، ١٦٤ ، ابن الأثير : ج ٩ ، ص ١٧٩ ، ١٨٠ .

(٢٩٠) الطبسين : من مدن اقليم قوهستان لسترنج ، ص ٣٩٩ .

(٢٩١) الراوندى : ص ١٦٧ ، ١٦٨ ، البندارى : ص ٨ ، ابو المحاسن : ج ٥ ، ص ٣٠ .

(٢٩٢) الراوندى : ص ١٥٨ ، البيهقى : ص ٦٠٠ — ٦٠٤ ، وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٤٤٠ .

(٢٩٣) راحة الصدور ، ص ١٦٨ .

(٢٩٤) ومما جاء فيها اننا نحن معشر آل سلجوق اطعنا دائما الحضرة النبوية المقدسة واحببناها من قلوبنا ، ولقد اجتهدنا فى غزو الكفار ، واعلان الجهاد ، وداومنا على زيارة الكعبة المقدسة وكان لنا عم مقدم محترم بيننا

وتمسكهم بأهداب الدين والجهاد فى سبيل الله وحبهم للعدل ، والتمسوا فى ختام رسالتهم اعتراف الخليفة القائم بقيام دولتهم(٢٩٦) .

لما وصلت رسالة السلاجقة الى دار الخلافة أرسل الخليفة القائم بأمر الله الى طغرلبك فى مدينة الرى رسولا(٢٩٧) يبلغه سروره ورضاءه برسالة السلاجقة ويدعوه للحضور الى بغداد(٢٩٨) .

لما عاد السلطان مسعود الى غزنه فى شوال سنة ٤٣١ هـ(٢٩٩) أمر بالقبض على سباشى وغيره من الأمراء(٣٠٠) ، وعين بدلا منهم ، وأرسل

=

اسمه اسرائيل بن سلجوق ، قبض عليه يمين الدولة محمود ابن سبكتكين بغير جرم أو جناية وأرسله الى قلعة كالنجر فى بلاد الهند ، فمات بعد أن قضى فى الأسر سبع سنوات ، واحتجز كذلك فى القلاع الأخرى الكثير من أهلنا واقاربنا ، فلما مات محمود وجلس مكانه ابنه مسعود لم يقم على مصالح الرعية واشتغل باللهو والطرب فلا جرم اذا طلب منا أعيان خراسان ومشاهيرها أن نقوم على حمايتهم ، ولكن مسعودا . وجه الينا جيشه فوقعت بيننا وبينه معارك تناوبناها بين كروفر وهزيمة وانتصار حتى ابتسم لنا الحظ وانحاز الينا آخر عون لمسعود ومعه جيش جرار وظفرنا منه بالغلبة وانكسر مسعود وأصبح ذليلا ، وولى الأدبار تاركا لنا الدولة والاقبال وشكرا لله على ما أفاء علينا من فتح ونصر ، فنشرنا عدلنا ، وانصافنا على العباد ، وابتعدنا عن طريق الظلم والجور والفساد ، ونحن نرجو أن نكون فى هذا قد نهجنا وفقا لتعاليم الدين ولأمر أمير المؤمنين » .

الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٢٩٥) راحة الصدور ، ص ١٦٧ ، البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٧ ، ٨ .

(٢٩٦) الراوندى : ص ١٦٧ ، البندارى : ص ٧ ، ٨ .

(٢٩٧) هبة الله بن محمد المأمون ، الراوندى ، ص ١٦٨ .

(٢٩٨) الراوندى : ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٢٩٩) البيهقى ، ص ٧٠٥ ، ابن الأثير : ج ٩ ، ص ١٨١ .

(٣٠٠) الكرديزى : زين الأخبار ، ص ٢٠٣ ، ابن الاثير : ج ٩ ، ص ١٨١ .

ابنه الأمير مودود الى خراسان[٣٠١] كما أرسل ابنه الأمير مجدود الى الملتان لحمايتها ممن ثار بها من الأفغان[٣٠٢] .

كان لهزيمة داندانقان أثرها السيء فى نفس السلطان مسعود حتى أنه عزم على الانسحاب الى بلاد الهند فيذكر كل من الكرديزى[٣٠٣] وابن الأثير[٣٠٤] أن السلطان مسعود سار الى بلاد الهند ليجمع من هناك جيشا قويا يستعين به على قتال السلاجقة وأصطحب السلطان معه أخاه محمد[٣٠٥] مسمولا[٣٠٦] وحمل معه الخزائن[٣٠٧] ، فلما عبر نهر سيحون واقترب من رباط ماريكله هاجم الجند الموالين لأخيه محمد تلك الخزائن ، ونهبوها وعزلوا السلطان مسعود وولوا مكانه أخـاه محمد[٣٠٧] ، الا أن محمدا أبى قبول الولاية ، ثم اضطر الى اجـابة طلبهم كارها ، وبقى مسعود فيمن معه من العسكر ، ثم التقى الجمعان فى منتصف ربيع الآخر سنة ٤٣٢ هـ فاقتتلوا وعظم الخطب ، وحـلت الهزيمة بعسكر مسعود وتحصن هو فى رباط ماريكله الا أن محمـدا

---

(٣٠١) بعد أن أعطاه امارة بلخ وارسل معه الوزير احمد بن عبدالصمد وارتكين الحاجب واربعة آلاف فارس ، البيهقى : ص ٧٢٣ ، زين الأخبار ، ص ٢٠٤ .

(٣٠٢) زين الأخبار ، ص ٢٠٤ .

(٣٠٣) زين الاخبار ص ٢٠٤ .

(٣٠٤) الكامل ، ج ٩ ، ص ١٨١ .

(٣٠٥) حيث جيء به من قلعة برغند على بعد ستة أيام من غزنة . البيهقى ، ص ٧٢٥ ، زين الأخبار ، ص ٢٠٤ .

(٣٠٦) يذكر البيهقى أن السلطان مسعود أمر بأن يؤتى بأولاد اخيه محمد الاربعة احمد وعبد الرحمن وعمر وعثمان حيث أكرمهم وخلع عليهم بعد أن استحلفهم بأغلظ الايمان على الاخلاص فى خدمته وطاعته . البيهقى : ص ٧٢٦ .

(٣٠٧) الكرديزى : زين الاخبار ، ص ٢٠٤ . ، ابن الأثير : ج ٩ ، ص ١٨١ .

(٣٠٨) الكرديزى : زين الأخبار ، ص ٢٠٤ . ، ابن الأثير : ص ١٨١ .

استطاع أن يقبض عليه وأرسله معتقلا الى قلعة كيرى[٣٠٩] .

لم يلبث الأمير محمد أن فوض أمر دولته الى ولده أحمد — وكان مصابا بخلل فى قواه العقلية — فاتفق مع ابن عمه يوسف بن سبكتكين وابن على خويشاند على قتل مسعود ليصفوا الملك له ولأبيه ، وتمكن من الاستيلاء على خاتم أبيه واحتال به على محافظ القلعة فأدخله الى عمه مسعود فقتله[٣١٠] وأنفذ الأمير محمد الى ابن أخيه مودود بخراسان يخبره بمقتل أبيه[٣١١] ، فعاد مجدا فى عساكره الى غزنة ، وقامت الحرب بينه وبين عمه محمد فى ثالث شعبان سنة ٤٣٢ هـ وتمكن مودود من هزيمة عمه وقضى على أتباعه[٣١٢] وعاد الى غزنة حيث اســتقر له أمـــرها[٣١٣] .

استمر حكم مودود بن مسعود الغزنوى حتى توفى فى العشرين من رجب سنة ٤٤١ هـ وخلفه ابنه مسعود الثانى ، لكنه لم يبق فى السلطنة سوى خمسة أيام ، ثم تقلد السلطنة بعده عمه أبو الحسن على بن مسعود الأول ، غير أن عبد الرشيد بن يمين الدولة محمود الغزنوى انتهز فرصة الاضطراب الذى ساد الدولة الغزنوية بعد موت مودود ودعا الجند الى طاعته فأجابوه ، وساروا الى غزنة ، ففر على بن مسعود واستقر الأمر لعبد الرشيد[٣١٤] .

---

(٣٠٩) زين الاخبار : ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .
، ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ١٨١ .
(٣١٠) الكرديزى : زين الاخبار ، ص ٢٠٥ .
وهناك رواية أخرى أوردها ابن الأثير تفيد بأن محمد استجاب لاغراء ابنه بقتل أخيه مسعود وأرسل اليه من قتله والقاه فى بئر وسد رأسها .
الكامل : جـ ٩، ص ١٨١ .
(٣١١) ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ١٨١ ، ١٨٢ .
(٣١٢) ، (٣١٣) ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ١٨٢ .
يذكر ابن الأثير أن مودود بنى فى المكان الذى انتصر فيه على عمه محمد قرية ورباط سماه فتح آباذ .
(٣١٤) ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٢٠٨ .

أراد عبد الرشيد الاستعانة بطغرل — زوج أخت مودود وحاجبه — لطرد السلاجقة من خراسان ، غير أن طغرل ما لبث أن تآمر ضد عبد الرشيد ، وقصد غزنة حتى أصبح على بعد ستة فراسخ منها ، وحاول خداع عبد الرشيد مدعيا أن الجند تألبوا عليه وألحوا فى العودة للمطالبة بزيادة أرزاقهم ، وعلى الرغم من اعتصام عبد الرشيد بقلعته فى غزنه ، قبض عليه طغرل وقتله (سنة ٤٤٤ هـ) واستولى على بلاده ، غير أن هذا العمل من جانب طغرل لم يرض بعض القواد ، كما لم يرض نائب الغزنويين فى الهند ، على الرغم مما بذله طغرل من جهود فى اغرائه واستمالته اليه . واتصل هذا الوالى بوجوه القواد ، وأنكر عليهم قعودهم عن الأخذ بثأر عبد الرشيد ، مما أثار حماسة بعض القواد ، فدخلوا على طغرل وقتلوه ، وولى عرش الغزنويين فروخ زاده[٣١٥] ، غير أن هذا الأمير لم يسلم من التآمر عليه ، اذ لم يلبث أن [illegible] قواده ومماليكه عليه واتفقوا على قتله ، لكنه نجا من تآمرهم بمساعدة بعض أنصاره ، ويبدو أن هذا الحادث قد أثر فى نفسه تأثيرا سيئا ، فلم يطل به العمر وتوفى فى شهر صفر سنة ٤٥١ هـ[٣١٦] .

مما تقدم يتجلى لنا كيف أدى ظهور السلاجقة واتساع سلطانهم ، وانتصارهم على الغزنويين فى داندانقان الى انهيار الدولة الغزنوية ، وانحلالها نتيجة للنزاع والتنافس بين أفراد البيت الغزنوى الأمر الذى ترتب عليه زوالها على يد شهاب الدين الغورى سنة ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م[٣١٧] .

---

(٣١٥) ابن الاثير : ج ٩ ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ .
(٣١٦) ابن الاثير : ج ١٠ ، ص ٢ .
(٣١٧) حسن ابرهايم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ، ج ٣ ، ص ١٨٣ .

المصادر والمراجع

أولاً : المخطوطات العربية :

● ابن أعثم الكوفى (ت ٣١٤هـ/٩٢٦م) أبو محمد بن أحمد .

– مخطوط الفتوح . الجزء الثانى ، معهد المخطوطات العربية – جامعة الدول العربية رقم ٣٥٧ تاريخ .

● البلاذرى (٢٧٩هـ/٨٩٢م) أحمد بن يحيى بن جابر .

– مخطوط أنساب الأشراف ، جامعة بغداد رقم ١٦٣٦ مصور عن نسخة الدار البيضاء بالرباط رقم ٦٨ .

● بيبرس الدوادار (ت ٧٢٥هـ/١٣٢٤م) ركن الدين المنصورى .

– مخطوط زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة الجزء الرابع معهد المخطوطات العربية – جامعة الدول العربية رقم ٢٧٦ تاريخ .

● الذهبى (٧٤٨هـ/١٣٤٧م) شمس الدين محمد بن أحمد .

– سير أعلام النبلاء الجزء الخامس معهد المخطوطات العربية جامعة الدول العربية رقم ٢٨٧ تاريخ .

– تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والإعلام مخطوط بدار الكتب رقم ٣٩٦ تاريخ .

● سبط بن الجوزى (٦٥٤هـ/١٢٥٧م) أبو المظفر بن قيزوغلى .

– مخطوط مرآة الزمان دار الكتب المصرية رقم ٥٥١ تاريخ .

● السمعانى : عبد الكريم بن محمد .

– الأنساب مخطوط بمكتبة دار العلوم رقم ٨٣٦٧ .

● الصابى : هلال بن الصابى .

– المنتزع من كتابى التاجى فيلم بدار الكتب رقم ٢٣٥ .

- العمرى : ياسين خير الله العمرى البغدادى .
  - مخطوط غاية المرام فى تاريخ محاسن بغداد دار السلام مكتبة الدراسات العليا جامعة بغداد رقم ٨٢٣ .
- العينى (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م) بدر الدين محمود .
  - مخطوط عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان معهد المخطوطات العربية جامعة الدول العربية رقم ٣٣٤ تاريخ ومخطوط بدار الكتب رقم ١٥٨٤م .
- أبو الفدا (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م) إسماعيل بن على عماد الدين .
  - المختصر فى أخبار البشر المطبعة الحسينية ١٣٢٥هـ .
  - تقويم البلدان باريس ١٨٣٠م .
- النويرى (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب .
- نهاية الأرب فى فنون الأدب .
  - مخطوط بدار الكتب رقم ٥٥١ معارف عامة .

ثانيًا : المصادر العربية :

- ابن الآبار (ت ٦٥٨هـ/١٢٥٩م) أبو عبد الله محمد بن عبد الله .
  - إعتاب الكتاب تحقيق د. صالح الأشقر مجمع اللغة العربية دمشق ١٩٦١م .
- الحلة السيراء تحقيق د. حسين مؤنس مصر الطبعة الأولى ١٩٦١م .
- ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٨م) أبو الحسن على بن أبى الكرم .
  - الكامل فى التاريخ بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
- الأصفهانى (ت ٣٥٩هـ/٩٦٧م) أبو الفرج .
  - كتاب الأغانى (٢١ جزءًا) القاهرة ١٩٢٧م - ١٩٣٦م .
- الأصفهانى : حمزة بن الحسين .
  - تاريخ سنى ملوك الأرض كلكتة ١٨٦٦م مطبعة الحياة بيروت ١٩٦١م.

● الأزدى (ت ٣٣٤هـ/٩٤٥م) أبو ذكريا يزيد بن محمد .

– تاريخ الموصل تحقيق د. على حبيبة دار التحرير للطبع والنشر القاهرة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

● الاصطخرى (ت ٣٤١هـ/٩٥٢م) أبو إسحق إبراهيم محمد الفارس .

– المسالك والممالك ليدن ١٨٧٠ – ١٨٩٣م .

● البسوى (ت ٢٧٧هـ/٨٩٠م) أبو يوسف يعقوب بن سفيان .

– المعرفة والتاريخ تحقيق د. أكرم العمرى بغداد ١٣٩٤هـ/١٩٧٣م .

● ابن بكار (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م الزبير .

– الأخبار الموفقيات ، تحقيق د. سامى مكى العانى مطبعة العانى بغداد ١٩٧٢م.

● البندارى (ت فى النصف الأول من القرن السابع الهجرى .

● مختصر تاريخ دولة آل سلجوق مطبعة الموسوعات ١٣١٨هـ/١٩٠٠م .

● البيرونى (ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨م) أبو الريحان محمد أحمد .

– الآثار الباقية من القرون الخالية . نشر ادواردسخاو ليبزج ١٨٧٦م وأعادت طبعة مطبعة المثنى بغداد سنة ١٩٢٣م .

● ابن تغرى بردى (ت ٨٧٤هـ/١٤٩٦م) جمال الدين يوسف .

– النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة دار الكتب ١٩٢٩ – ١٩٣٠م.

● الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م) أبو عثمان عمرو بن بحر .

– التاج فى أخبار الملوك تحقيق د. أحمد زكى المطبعة الأميرية القاهرة ١٩١٤م .

– البيان والتبيين تحقيق د. عبد السلام محمد هارون مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٩م طبعة أولى .

● التبصر بالتجارة نشره حسن حسنى عبد الوهاب القاهرة ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م .

• ابن الجوزى (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠ - ١٢٠١م) جمال الدين أبو الفرج .
- المنتظم فى أخبار الملوك والأمم حيدر أباد الدكن ١٣٥٧هـ/١٣٥٨م .
• الجهشيارى (٣٣١هـ/٩٣٣م) أبو عبد الله محمد بن عبدوس .
- الوزراء والكتاب حققه وراجع فهارسه مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى ، عبد الحفيظ شلبى مطبعة البابى الحلبى بمصر .
• ابن أبى الحديد (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) أبو حامد عز الدين عبد الحميد .
- شرح نهج البلاغة الجزء الثامن تحقيق / الشيخ حسن آدم قاضى بيروت الشرعى بيروت ١٩٦٣م مصر ١٣٨١م .
• الحسينى (عاش فى القرن السابع الهجرى) على بن السيد أحمد .
- أخبار الدولة السلجوقية نشر محمد إقبال جامعة البنجاب ١٩٢٣م .
• ابن حزم (٣٨٤ - ٤٥٦هـ/٩٤٤ - ١٠٦٤م) أبو محمد على .
- جمهرة أنساب العرب تحقيق د.عبدالسلام هارون دار المعارف الطبعة الرابعة.
• ابن حوقل (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م) أبو القاسم محمد .
- صورة الأرض ليدن ١٩٦٧م .
• ابن خرداذبة (توفى فى حدود سنة ٣٠٠هـ) أبو القاسم عبيد الله .
- المسالك والممالك ليدن ١٨٨٩م ، ١٩٦٧م .
• الخطيب البغدادى (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠ - ١٠٧١م) الحافظ بن أبى بكر.
- تاريخ بغداد أو مدينة السلام القاهرة ١٣٤٩هـ/١٩٣١م .
• ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م) عبد الرحمن بن محمد .
- مقدمة ابن خلدون بيروت ١٩٠٠م ترجمة دى سلان .
- العبر وديوان المبتدأ (٧ أجزاء بولاق ١٢٨٤هـ ، بيروت ١٨٨٦م.

• ابن خلكان (ت ٦٨١هـ/١٢٧١م) شمس الدين أبو العباس .
- وفيات الأعيان جزآن المطبعة المينية مصر ١٣١٠م (٨ أجـــزاء دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م) .
• ابن خياط (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م) أبو عمر خليفة بن خياط .
- كتاب التاريخ تحقيق د. أكرم العمرى بغداد ١٩٦٧م .
• ابن الداية (٣٣٣هـ/٩٤١ - ٩٤٢م) أبو جعفر أحمد بن يوسف .
- سيرة أحمد بن طولون نشر فولرز برلين ١٨٩٤م .
• الدينورى (ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م) أبو حنيفة أحمد بن داود .
- الأخبار الطوال تحقيق د. عبد المنعم عامر راجعـــه د. جمـــال الديـــن الشيال أعادت طبعة مكتبة المثنى ببغداد .
• ابن الساعى (ت ٦٧٤هـ/١٢٧٥م) على بن أنجب البغدادى .
- كتاب مختصر أخبار الخلفاء المطبعة الأميرية مصر ١٣٠٩م الطبعـــة الأولى .
• ساويرس بن المقفع (توفى أواخر القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى).
- سير الأباء البطاركة الجزء الأول والخامس عشر من مجموعة بيـــاريس ١٩٠٧، ١٩١٠ ، ١٩١٥م Patrologia Orientalis .
• السيوطى (٩١١هـ/١٦٠٥م) عبد الرحمن بن أبى بكر جمال الدين .
- تاريخ الخلفاء ، القاهرة ١٣٥١م .
• أبو شجاع (ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م) ذيل تجارب الأمم تصحيح هـــــ. ف أمدرور مطبعة الكردى ١٣٣٤هـ .
• الشهرستانى (٥٤٨هـ/١١٥٣م) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم .
- الملل والنحل مصر ١٣١٧م .

● الصابى (ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م) أبو الحسين هلال بن المحسن .
– تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء تحقيق د. عبد الستار أحمد فراج ، دار إحياء الكتب العربية .

● الصولى (ت ٣٣٥هـ/٩٤٦م) أبو بكر محمد بن يحيى .
– كتاب الأوراق عنى بنشره . هيورث دن مكتبة الصاوى ط١ ١٩٣٤م .

● ابن طباطبا (٧٠٩هـ/١٣٠٩م) محمد بن على بن طباطبا .
– الفخرى فى الآداب السلطانية القاهرة ١٩٢٣م ، ١٩٦٢م .

● الطبرى (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى .
– تاريخ الأمم والملوك تحقيق محمد أبو الفضل دار سويدان – بيروت .

● ابن عبد ربه (٣٤٩هـ/٩٤٠م) أبو عمر أحمد بن عبد ربه الأندلس .
– العقد الفريد شرح وتحقيق أحمد أمين ، وأحمد الزين ، إبراهيم الإبيارى دار الكتاب العربى بيروت ٧ أجزاء .

● ابن العبرى (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦ – ١٢٨٧م) جريجوريوس أبى الفرج.
– تاريخ مختصر الدول تحقيق الأب صالحانى اليسوعى المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٨٩٠م .

● العتبى : (ت ٤٢٨هـ/١٠٣٦م) أبو نصر محمد بن عبد الجبار العتبى .
– تاريخ اليمينى جزآن القاهرة ١٢٨٦هـ وبه شرح الشيخ المنينى المعروف باسم الفتح الوهبى على تاريخ أبى نصر العتبى .

● ابن العديم (ت ٦٦٠هـ/١٢٦١م) أبو القاسم كمال الدين عمر بن أحمد .
– زبدة الحلب فى تاريخ حلب تحقيق سامى الدهان المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٣٧٠هـ/١٩٥١م .

● عريب بن سعد (ت ٣٦٦هـ/٩٧٦ – ٩٧٧م) .
– صلة تاريخ الطبرى المطبعة الحسينية ١٣٠٢م .

● ابن عذارى (توفى أواخر القرن السابع الهجرى) أبو عبيـــد الله محمـــد المراكشى .

– البيان المغرب فى أخبار المغرب ٣ أجزاء نشر دوزى ليـــدن ١٨٤٨- ١٨٥١م .

● ابن العماد (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) أبو الفلاح عبد الحـــى بـــن العمـــاد الحنبلى.

– شذرات الذهب فى أخبار من ذهب مكتبة القدسى القاهرة ١٣٥٠هـ .

● أبو الفدا (٧٧٤هـ/١٣٧٢م) عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بـــن كثـــير القرش.

– البداية والنهاية ، مكتبة المعارف بيروت ١٩٧٧م .

– المختصر فى أخبار البشر المطبعة الحسينية الطبعة الأولى ب. ت .

● ابن الفقية (ت ٢٩٠هـ/٩٠٢ – ٩٠٣م) أبو بكر أحمد بن محمد .

– مختصر كتاب البلدان ليدن ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م .

● ابن قتيبه ([illegible]هـ/٨٨٩م) أبو محمد عبد الله بن مسلم .

– الإمامة والسياسة جزءان القاهرة ١٣٢٢هـ .

– كتاب المعارف حققه د. ثروت عكاشة القاهرة ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م .

● القلقشندى (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) أبو العباسى أحمد .

– صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء القاهرة ١٩١٣ – ١٩١٧م .

● المسعودى (٣٤٩هـ/٩٥٦م) أبو الحسن على بن الحسين .

– مروج الذهب ومعادن الجوهر القاهرة ١٩٤٦م .

– التنبيه والإشراف طبعة دى غويه .

● مسكويه (٤٢١هـ/١٠٣٠م) أبو على أحمد بن محمد .

– تجارب الأمم . تصحيح ونشر هـ. ف. أمدروز مطبعة شركة التمـــدن الصناعية ١٣٣٢هـ/١٩١٤م .

● المقدسى (ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م) شمس الدين أبو عبد الله .
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ليدن ١٩٦٧م .
● المقدسى (ت ٣٢٢هـ/٩٣٣م) مطهر بن طاهر المقدسى .
- البدء والتاريخ منسوب إلى أبى زيد أحمد بن سهل البلخى مكتبة المثنى ببغداد ، مؤسسة الخانجى ١٩١٩م .
● المقريزى (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) تقى الدين احمد بن على .
- النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم ١٩٣٧م .
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار بولاق ١٢٧٠هـ .
- السلوك لمعرفة دول الملوك الجزء الأول من القسم الأول تحقيق / مصطفى زيادة طبعة ١٩٥٦م .
● ابن منظور (ت ٧١١هـ/١٣١١م) أبو الفضل جمال الدين .
- لسان العرب طبعة بولاق ب. ت. وطبعة بيروت ١٩٥٥م .
● مؤلف مجهول :
- العيون والحدائق فى أخبار الحقائق . قام بطبعة مكتبة المثنى عن النسخة المطبوعة سنة ١٨٦٩م .
● مؤلف مجهول (من القرن الحادى عشر الميلادى) .
- نبذة من كتاب التاريخ . عنى بنشرها وترجمتها بطرس غرياز نيوبج دار النشر والآداب الشرقية موسكو ١٩٦٠م .
● ابن النديم (٣٨٣هـ/٩٣٣م) محمد بن إسحاق .
- كتاب الفهرست جزءان ليبسك ١٨٧١م .
● الهمذانى (ت ٥٢١هـ/١٢٢٧م) محمد بن عبد الملك .
- تكملة تاريخ الطبرى ملحق بالجزء الحادى عشر من تاريخ الطبرى دار سويدان - بيروت .

- ابن الوردى (٧٥٠هـ/١٣٤٩ - ١٣٥٠م) زين الدين عمر .
  - تاريخ ابن الوردى .
- ياقوت الحموى (ت ٦٣٦هـ/١٢٢٩م) شهاب الدين أبو عبد الله .
  - معجم البلدان مطبعة السعادة ١٩٠٦م .
- اليعقوبى : (٢٨٢هـ/٨٩٥م) أحمد بن أبى يعقوب .
  - تاريخ اليعقوبى قدم له وعلق عليه السيد محمد صادق بحر العلوم المطبعة الحيدرية ، النجف ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م وحققه هوتسما بطبعة بريل ليدن ١٨٨٣م .
  - البلدان . المطبعة الحيدرية النجف ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م وطبعة ليدن ١٣٠٩هـ/١٨٩١م وطبعة دى غوية ١٨٩٢م .

ثالثا : المراجع العربية :

- أحمد أمين : فجر الإسلام الجزء الأول الطبعة الثالثة ١٩٣٥م .
- أرنولد : (السير توماس) .
  - الدعوة إلى الإسلام ترجمه إلى العربية حسن إبراهيم حسن ، عبد المجيد عابدين ، إسماعيل النحراوى مكتبة النهضة العربية .
- بارتولد : فاسيلى فلاديميرج - تاريخ الترك فى آسيا ترجمة أحمد السعيد سليمان مكتبة الأنجلو ١٩٥٨م .
- بدر عبد الرحمن محمد (الدكتور) .
  ١ - ولاية العهد من بداية الدولة الأموية حتى أوائل القرن الثالث الهجرى مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٦م .
  ٢ - الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى العراق والمشرق الإسلامى من أوائل القرن الرابع الهجرى حتى ظهور السلاجقة مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الأولى ١٩٨٩م/١٤١٠هـ .

٣ – سياسة الخلفاء العباسيين الداخلية من قيام دولتهم حتى نهاية القرن الثالث الهجرى مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .

٤ – بنو الفرات فى العراق فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى مكتبة الأنجلو ١٩٨٧م .

● البيلى : محمد بركات (الدكتور) .

– دراسات فى تاريخ الدولة العباسية .

● حسن إبراهيم حسن .

– تاريخ الإسلام السياسى الجزء الثالث الطبعة الأولى الجزء الثانى الطبعة الخامسة ١٩٥٩م مكتبة النهضة المصرية .

– تاريخ الدولة الفاطمية مكتبة النهضة المصرية .

● حسن أحمد محمود . (الدكتور) .

– الإسلام والحضارة العربية فى آسيا الوسطى . دار النهضة العربية ١٩٦٨م .

● حسين أمين .

تاريخ العراق فى العصر السلجوقى بغداد ١٩٦٥م .

● حسين عطوان .

– الدعوة العباسية تاريخ وتطور بيروت ١٩٨٤م .

● خاشع المعاضيدى .

– دولة بنى عقيل فى الموصل بغداد الطبعة الأولى .

● الخربوطلى : الدكتور على حسنى .

– الدولة العربية الإسلامية ١٩٥٨م .

● الدورى : الدكتور عبد العزيز .

– دراسات فى العصور العباسية المتأخرة بغداد ١٩٤٦م .

● زامباور (فون) .

- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة أخرجه زكى حسن وحسن أحمد محمود جزءان القاهرة ١٩٥٢ - ١٩٥٣م .

● الزركلى : خير الدين .

- الأعلام الطبعة الثانية - القاهرة .

● زيدان : جورجى .

- تاريخ التمدن الإسلامى (خمسة أجزاء) القاهرة ١٩٠٢ - ١٩٠٦م .

● سرور : الدكتور محمد جمال الدين .

- الحياة السياسية فى الدولة العربية خلال القرنين الأول والثانى بعد الهجرة . دار الفكر العربى الطبعة الرابعة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

- تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجرى دار الفكر العربى الطبعة الرابعة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .

● العانى : حسن فاضل زعين .

- سياسة المنصور أبى جعفر الداخلية والخارجية منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية دار الرشيد ١٩٨١م .

● العبادى : الدكتور أحمد مختار .

- فى التاريخ العباسى والفاطمى دار النهضة العربية بيروت لبنان .

● عبد المنعم ماجد (الدكتور) .

العصر العباسى الأول .

● عبد النعيم حسنين .

- سلاجقة إيران والعراق مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩ ، ١٩٧٠م .

● على حبيبة (الدكتور) .

- العباسيون فى التاريخ مكتبة الشباب مصر ١٩٨٠م .

• عمر كمال توفيق .
– تاريخ الدولة البيزنطية الهيئة العامة للكتاب فرع إسكندرية .
• – فاروق عمر .
– العباسيون الأوائل الجزء الأول بغداد ١٩٧٧م .
• فاميرى (أرمينيوس) :
– تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر . ترجمة أحمد محمود الساداتى مراجعة وتقديم يحيى الخشاب وزارة الثقافة والإرشاد القومى المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر .
• فان فلوتن .
– السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات فى عهد بنى أمية . نقله إلى العربية وعلق عليه حسن إبراهيم حسن ، محمد زكى إبراهيم القاهرة ١٩٣٤م .
• فلهوزن : يوليوس .
– تاريخ الدولة العربية إلى نهاية الدولة الأموية . ترجمه إلى العربية د. محمد عبد الهادى أبو ريدة ، مراجعة د. حسين مؤنس مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٥٨ ، ١٩٦٨م .
• كارل بروكلمان .
– تاريخ الشعوب الإسلامية . نقله إلى العربية الدكتور نبيه فارس والأستاذ منير بعلبكى دار العلم للملايين بيروت ١٩٤٨م .
• كريستينسن .
– إيران فى عهد الساسانيين ترجمة يحيى الخشاب القاهرة ١٩٥٧م .
• لسترنج : كى .
– بلدان الخلافة الشرقية ترجمة كوركيس عواد بشير فرنسيس بغداد ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م .

● لين بول (ستانلى) :
- طبقات سلاطين الإسلام ترجمه إلى الفارسية عباس إقبال وترجمه عن الفارسية طاهر مكى مطبعة البصرى بغداد ١٩٦٨م .
● المباركبورى : القاضى أطهر :
- العرب والهند فى عهد الرسالة . ترجمة عبد العزيز عزت الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٣م .
● متز : آدم .
- الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى . نقله إلى العربية محمد عبد الهادى أو ريدة القاهرة ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م .
● محمد حسين الزبيدى .
العراق فى العصر البويهى .
● محمد كرد على .
خطط الشام بيروت ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .
● محمد مختار .
- التوفيقات الإلهامية دراسة وتحقيق د. محمد عمارة الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

رابعا : الكتب الفارسية :

● بدوانى : عبد القادر بن ملوك شاه .
- منتخب التواريخ ، كلكتة ١٨٦٨م .
● البلعمى .
- تاريخ طبرى بالفارسية مطبعة نوال كشور الهند ١٢٩١هـ .
● البيهقى (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٦م) أبو الفضل محمد بن الحسين .
- تاريخ مسعودى المعروف بتاريخ البيهقى .

– ترجمه إلى العربية يحيى الخشاب وصادق نشأت دار النهضة العربية ١٩٨٢م .
● الجوزجانى : القاضي منهاج سراج الجوزجانى .
– طبقات ناصرى تصحيح وتعليق عبد الحى حبيبى فى مجلدين كابل ١٣٤٢ ش. هـ.
● حمد الله المستوفى .
– تاريخ كزيدة نشر براون لندن ١٩١٠م .
● خواند أمير : غياث الدين بن همام الدين .
– حبيب السير فى أخبار البشر المجلد الثانى بومباى ١٨٥٧م .
● الراوندى : محمد بن على بن سليمان الراوندى .
– راحة الصدور وآية السرور ترجمه إلى العربية إبراهيم أمين الشواربى وعبد النعيم حسنين وفؤاد عبد المعطى الصياد .
● الكرديزى : (عاش فى القرن الخامس الهجرى) أبو سعيد عبد الحى .
– زين الأخبار تحقيق د. عبد الحى حبيبى من منشورات إيران .
● ناصر خسرو .
– سفرنامه ترجمة يحيى الخشاب .
● النرشخى (ألفه بين سنتى ٣٣٢ – ٣٣٧ هـ) أبو بكر محمد بن جعفر الزشخى .
– تاريخ بخارى وملحق به الفصل الثانى من الباب الرابع لتاريخ كزيدة ترجمة أمين عبد المجيد ، ونصر الله مبشر الطرازى دار المعارف .
● نظام الملك (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) أبو على الحسن بن على .
– سياست نامة ترجمة وتعليق د. السعيد محمد العزاوى دار الرائد العربى بغداد.

خامسًا : الدوريات والبحوث :

• دائرة المعارف الإسلامية .

– الدورى : الدكتور عبد العزيز .

– ضوء جديد على الدعوة العباسية . مجلة كلية الآداب ببغداد العدد الثانى ١٩٥٧م .

• سامية توفيق عبد الله (الدكتورة) .

– الحياة السياسية فى خراسان فى القرنين الأول والثانى الهجرى . رسالة دكتوراه كلية الآداب – جامعة القاهرة .

• طه حسين .

– ثورتان مقالة بمجلة الكاتب المصرى العدد الثامن .

• على مسعود الشابى .

– الأدب الفارسى فى العصر الغزنوى . رسالة دكتوراه كلية الآداب – جامعة القاهرة .

• فاروق عمر (الدكتور) .

– الألقاب الإسلامية مقالة فى مجلة كلية آداب بغداد العدد ١٣ سنة ١٩٧٠م .

سادساً : المراجع الأجنبية :

1 - Ali. M. A: New History of indo - Pakestan (Dacca 1970).
2 - Brown: (Edward G): A literary History of persia From the Earliest times until Firdawsi (London 1909).
3 - Dozy (R. P. A): Histoire des Musulmans d' Espagne 3 Toms (Leyden 1932).
4 - Gibb.(H): The Arab conquest (London 1928).
5 - Guest (B. R.): Action of Abu muslim. The journal of the Royal Asiatic society (1932).
6 - Harold Bowen: the life and time of Ali ibn isa the good visier (cambridg 1926).

- Fry: turks. J. A. O. S. (1926).
- Ibn isfandyar: History of tabaristan (London 1905).
9 - Lane Poole: Muhammadan Dynasties (Paris 1925).
10 - Muir (willian Temple) the caliphate its rise Declin and fall (London 1924).
11 - Nicholson (John): Aliterary History of the Arab's (London 1919).
12 - Noldeka: sketches From Eastern History (London 1892).
13 - Walker: A rara coin of the zang. J. A. O. S.
14 - Encyclopedia of Islam.
15 - Encyclopedia Br itaunica.

فهرس الموضوعات

تم بحمد الله

رقم الإيداع ١٤٨٤١/١٩٩٨
I.S.B.N. 977-19-5102-5